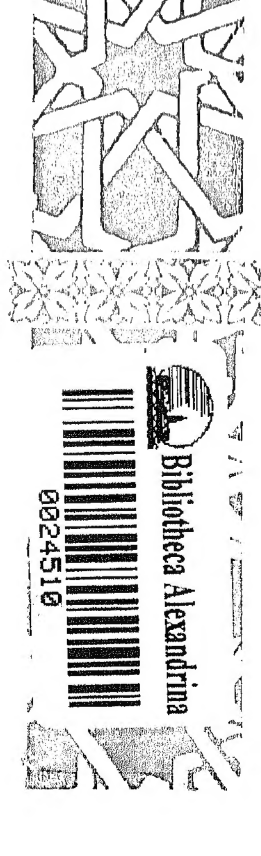
العروبة والإسلام فى دارفور

فى العصور الوسطى

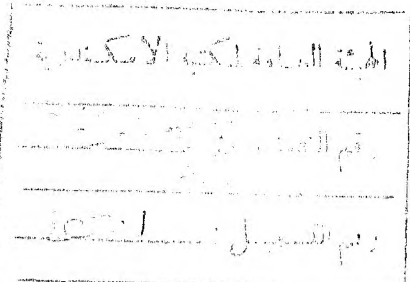
تاليف

دكتور
رجب محمد عبد الحليم
معهد البحوث والدراسات الافريقية
جامعة القاهرة

دار الثقافة للنشر والتوزيع
٢ ش سيف الدين المهراني - الفجالة
ت : ٩٠٤٦٩٦







العروبة والإسلام في دارفور

في العصور الوسطى



دكتور
رجب محمد عبد الحليم

دار الثقافة للنشر والتوزيع
٢ ش سيف الدين المهراني ـ الفجالة
ت : ٩٠٤٦٩٦

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

الى الشعب السوداني الشقيق أهدى هذا الكتاب ، تعبيرا عن روابط الاخوة والمصير الواحد والدم المشترك الذى يجرى فى عروقنا ممزوجا بمياه النيل التى تهب الحياة لأبناء الوادى فى شماله وجنوبه ، وتجعلهم كالغصون فى دوحة واحدة تسقى بماء واحد .

المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحديث فى هذا الكتاب هو حديث العروبة والاسلام فى دارفور فى العصور الوسطى ، تلك العصور التى انتهت بعد قيام سلطنة الفور الاسلامية فى هذا الاقليم بقليل ، وذلك حسب تقسيم الغربيين لعصور التاريخ . ولم يكن قيام هذه السلطنة فى الواقع الا تتويجا لحركة انتشار الاسلام وازدياد الطابع العربى لهذا الاقليم ، نتيجة لتدفق قبائل عربية عديدة عليه فى القرون الثلاثة الأخيرة من العصور الوسطى .

ومع ذلك فان اخبار هذه الهجرات واخبار انتشار الاسلام فى دارفور نادرة ويلفها الغموض ، وانعكس هذا الأمر على تاريخ هذا الاقليم ، فلم يتعرض له احد بالحديث عن تاريخه العربى والاسلامى فيما قبل القرن السادس عشر أو السابع عشر للميلاد . وعلى ذلك فان هناك نقصا شديدا يكاد يصل الى حد العدم بالنسبة لتاريخ العروبة والاسلام فى دارفور فى العصور الوسطى وقبل قيام سلطنة دارفور الاسلامية قرب نهاية هذه العصور .

وكان من أهدافنا فى هذا الكتاب ازالة هذا الغموض ، وسد ذلك النقص الذى تعرض له تاريخ هذا الاقليم قبل قيام السلطنة الاسلامية فيه ، وذلك بالقاء الضوء على تاريخ هجرات العرب اليه ، على تاريخ انتشار الاسلام والثقافة الاسلامية فيه ، لنعرف مدى تغلغل العروبة والاسلام بين سكانه ، ولنعرف ايضا مدى ارتباط هذا الاقليم الواسع بالمحيط العربى والاسلامى العام فى العصور الوسطى ، واثر ذلك فى انفعاله بالعروبة والاسلام فى تلك العصور ، هذا الانفعال الذى

ادى - وكما سنرى - الى تأكيد عروبته واسلامه ، وادى فيما ادى الى قيام سلطنة اسلامية عربية كانت هى الفصل الختامى فى الجهود التى بذلتها القبائل العربية فى اضفاء صفة العروبة والاسلام على هذا الاقليم الهام من اقاليم السودان الشقيق .

اما هذا الغموض وذلك النقص الذى اشرنا اليه وادى الى جهالة شبه كاملة بالتاريخ العربى والاسلامى لهذا الاقليم الهام قبل قيام سلطنة دارفور الاسلامية قرب نهاية العصور الوسطى ، فانه يعود الى عوامل عديدة . من هذه العوامل ان بعض الكتاب والمؤرخين يربطون بين انتشار العروبة والاسلام فى بلاد السودان عامة ومنها دارفور ، وبين قيام الدولة العربية الاسلامية فى هذه البلاد ، فلا يرون ان الاسلام والعروبة انتشرا فى مملكة مقرة ببلاد النوبة على سبيل المثال الا بعد قيام دولة بنى كنز الاسلامية فى عام ٧٢٣هـ / ١٣٢٣م على انقاض مملكة مقرة المسيحية(١) .

وبالنسبة لدار فور فانهم بالتالى لا يرون انتشار العروبة والاسلام فيها الا بعد قيام سلطنة دارفور الاسلامية والتى اختلفوا فى زمن قيامها اختلافا عظيما . فبعضهم - كما سنرى - جعل قيامها قرب منتصف القرن الخامس عشر للميلاد ، وآخرون جعلوا ذلك قرب منتصف القرن السادس عشر ، وغيرهم جعلوا ذلك قرب نهاية القرن السابع عشر .

ومعنى ذلك ان انتشار العروبة والاسلام فى دارفور لم يبدأ

---

(١) محمد عوض محمد : الشعوب والسلالات الافريقية ، الدار المصرية التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة سنة ١٣٨٥هـ / ١٩٦٥ ، ص ٣١٠

وعن قيام وتاريخ دولة بنى كنز ، انظر الدراسة القيمة التى قام بها الدكتور عطية القوصى باسم « تاريخ دولة الكنوز الاسلامية » دار المعارف ، القاهرة ، الطبعة الثانية سنة ١٩٨١ م .

فى نظرهم الا مع قيام هـذه السلطنة أو حتى بعد قيامها ، فهو انتشار لا يرجع عندهم لأكثر من ثلاثة قرون ونصف ان لم يكن اقل ، وهم فى ذلك يخلطون بين العروبة والسياسة خلطا شديدا • وقد دعتهم هـذه النظرة غير الواقعية بالنسبة لدارفور والسودان بصفة عامة الى انهم لم يكلفوا أنفسهم مشقة البحث عن تاريخ انتشار العروبة والاسلام فى هـذه البلاد قبل قيام السلطنة الاسلامية فيها ، سواء كانت هـذه السلطنة قرب منتصف القرن الخامس عشر أو بعد منتصف القرن السابع عشر •

وبطبيعة الحال فان العناصر الأساسية للعروبة هى النسب العربى واللغة العربية ، ولا علاقة لهذين العنصرين بقيام حكومة اسلامية بالمعنى المعروف ، سواء فى دارفور خاصة او فى بلاد السودان عامة • فقد عاشت فى هـذه البلاد جماعات عربية مسلمة خضعت للنظام القبلى وعاشت فى ظل الدولة المسيحية فى بلاد النوبة وكذلك فى دارفور الوثنية ، وذلك قبل أن تقوم فى هـذه البلاد جميعها ممالك اسلامية • ولم تقم هـذه القبائل العربية المسلمة بالتوسع فى هـذه الممالك والاستحواز على السلطة فيها وتحويلها نهائيا الى الاسلام الا بعد أن تهيأت الظروف واشتد ساعد الهجرات العربية فى العصور الوسطى •

اذن فتاريخ العروبة والاسلام فى دارفور قديم وسابق على قيام سلطنة دار فور الاسلامية ، وكان لزاما علينا أن ندلى بدلونا فى هـذا التاريخ ، حتى نبين للناس الجذور الضاربة للعروبة والاسلام فى هـذا الاقليم الهام •

ومن الأسباب الأخرى التى ادت الى عدم وجود تاريخ للعروبة والاسلام فى دارفور فى العصور الوسطى ، هو عدم وصول احد من الرحالة المسلمين اليها فى تلك العصور ، ومن ذهب منهم الى بلاد النوبة او السودان النيلى وتوغلوا فيه الى مسافات بعيدة مشاحلين

لنهر النيل ، ضاعت كتبهم ولم يصلنا منها الا فقرات قليلة واشارات خاطفة لا تسمن ولا تغنى من جوع ، وردت فى بعض الكتب الأخرى التى نقل فيها أصحابها هذه الاشارات .

وعلى سبيل المثال ، فالرحالة المعروف باسم ابن سليم الأسوانى الذى عاش فى القرن الثالث للهجرة / التاسع للميلاد زار السودان وتوغل فيه وألف كتابا يسمى « كتاب تاريخ النوبة والمقرة وعلوة والبجة والنيل » ولكن هذا الكتاب ضاع ولم يعثر عليه حتى الآن ، وان كانت فقرات منه قد وردت عند المقريزى الذى نقل عنه نص معاهدة البقط(٢) وغيرها من أخبار السودان التى لا تشير من قريب او بعيد الى دارفور ، وذلك بسبب بعدها عن مجرى نهر النيل الذى كان دليل المسافرين أو الرحالة الذين حاولوا اكتشاف هذه البلدان .

وكذلك الحال بالنسبة لرحالة آخر هو الحسن بن محمد المهلبى الذي قام برحلة طويلة فى السودان بتكليف من الخليفة العزيز بالله الفاطمى (٣٦٥ — ٣٨٦ هـ / ٩٧٥ — ٩٩٦ م) ، والف له فى عام ٣٧٥هـ / ١٩٨٥م كتابا فى الطرق والمسالك تحدث فيه عما رآه وشاهده فى بلاد السودان ومنابع النيل . وقد ضاع هذا الكتاب هو الآخر ولم يبق منه الا فقرات قليلة اقتبسها بعض المؤرخين مثل ياقوت الحموى والقلقشندى وابى الفدا(٣) . وفى هذه الفقرات لا نجد ايضا ذكرا لدارفور .

وقد أدى هذا الأمر الى حرمان السودان عامة ودارفور خاصة

---

(٢) محمد عوض محمد : نفس المرجع ، ص ١١٣ ، وانظر ايضا هامش (٢) بنفس الصفحة .

(٣) عطية القوصى : محاولة العرب والمسلمين كشف منابع النيل فى القرن الأولى للاسلام ، بحث فى كتاب العرب وافريقيا ، دار الثقافة العربية ، القاهرة سنة ١٩٨٧ ، ص ٥١

من التجربة الشخصية لهؤلاء الجغرافيين والرحالة ، تلك التجربة التى اماطت اللثام عن كثير من جوانب الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية للأمصار الاسلامية التى زارها هؤلاء الرحالة او كتب عنها أولئك الجغرافيون . يضاف الى ذلك ان هؤلاء الرحالة سواء ابن سليم الأسوانى أو المهلبى لم يثبت ان ايا منهما زار دارفور ، وكل ما عرفاه عن السودان هو مملكة مقرة ومملكة علوة وبلاد البجة .

وقد حاول ابن سليم الأسوانى ان يعرف ما وراء هذه الممالك فلم يستطع ، ويقول فى ذلك : « ولقد اكثرت فى السؤال عنها — أى عن الأنهار والروافد التى تصب فى نهر النيل وبالذات الروافد التى تاتى من الحبشة — واستكشفتها من قوم عن قوم ، فما وجدت مخبرا يقول انه وقف على نهاية جميع هذه الأنهار ، والذى انتهى اليه علم من عرفنى عن آخرين الى خراب ... وان هذه الروافد وكذا النيل الأبيض ليس له نهاية »(٤) .

وعلى ذلك فان السودان فى نظره لم يكن الا مملكة مقرة ومملكة علوة التى لم تكن حدودها الجنوبية واضحة تماما فى ذهنه ، والتى كانت لا تزيد فى الغالب عن ارض الجزيرة المحصورة بين النيلين الأبيض والأزرق .

وحتى الجغرافيون والرحالة المسلمون الذين أتوا بعد ذلك وتحدثوا عن هجرات القبائل العربية من مصر الى السودان ، فانهم لم يتحدثوا الا عن الهجرات التى اتجهت الى بلاد مقرة وأوطان البجة ، ولم نعلم ان احدا من هؤلاء الجغرافيين والرحالة تحدث عن هذه الهجرات الى بقية السودان مثل بلاد علوة او بلاد دارفور ، ولم تصلنا اخبار هذه الهجرات الا من مصادر سودانية تتمثل فى اوراق النسبة التى يحتفظ

---

(٤) المقريزى : الخطط المقريزية ، مطبعة النيل ، القاهرة ، سنة ١٣٢٥هـ / ١٩٠٧م ، جـ١ ص٣٣٩

بها كثير من الأسر السودانية حتى الآن ، والتى استطاع ماكمايكل أن يجمع معظمها وقام بنشرها فى الجزء الثانى من كتابة المعروف باسم
The history of the Arabs in the sudan

ولم يعوض هذا النقص الشديد فى تدوين تاريخ دارفور فى العصور الوسطى ما كتبه المؤرخون فى العصر الحديث والمعاصر . ذلك أن من كتب منهم كتب عن بلاد النوبة الاسلامية بقسميها وهى بلاد النوبة السفلى التى قامت فيها دولة الكنوز الاسلامية قرب انتهاء الربع الأول من القرن الرابع عشر للميلاد على أنقاض مملكة مقرة المسيحية كما أشرنا ، وبلاد النوبة العليا التى قامت فيها مملكة الفونج الاسلامية على أنقاض مملكة علوة المسيحية فى بداية القرن السادس عشر الميلادى ، ومن تعرض منهم لتاريخ دارفور الاسلامى فانه لم يتناول من هذا التاريخ الا ما ظهر منه بعد قيام سلطنة دارفور الاسلامية على يد سليمان سولون ، أما قبل قيام هذه السلطنة فلم يكتب أحد شيئا . فالحديث عن دارفور عندهم هو حديث عنها منذ منتصف القرن الخامس عشر أو منتصف القرن السادس عشر أو منتصف القرن السابع عشر حسب التاريخ الذى جعلوه بدءا لقيام هذه السلطنة .

وحتى الأستاذ الشاطر بصيلى عبد الجليل الذى كنا ننتظر منه أن يكتب لنا عن دارفور بصفته من أهل السودان وتتوافر له امكانيات ربما لا تتوافر عند غيره ممن كتبوا عن السودان من المصريين وغيرهم ، نراه حينما يتحدث عن هجرات العرب الى السودان لا يذكر هجرتهم الى دارفور فى أكثر من صفحة واحدة فى كتابه المعروف باسم « تاريخ وحضارات السودان الشرقى والأوسط » ، وربما لم يجد الأستاذ الشاطر من المعلومات والأخبار ما يساعده على القيام بهذا العمل ، ولذلك فهو

---

(٥) مصطفى مسعد : امتداد الاسلام والعروبة الى وادى النيل الأوسط ، المجلة المصرية للدراسات التاريخية ، العدد ٨ ، سنة ١٩٥٩ ، ص ٧٥

يدعو الى الاهتمام بهذا الموضوع الذى تصدينا له والذى كان جديرا ان يقوم به قبل غيره من الناس .

ولهذه الأسباب كلها اصبح البحث فى تاريخ العروبة والاسلام فى دارفور قبل قيام سلطنة دارفور الاسلامية امرا فى غاية الصعوبة ، وقد بذلنا كل ما استطعنا ، وتلمسنا الاخبار والروايات التى تتعلق بهذا الموضوع من خلال اطلاعنا على كتابات عديدة ، عربية وغير عربية ، تناولت تاريخ السودان بصفة عامة ، واختصت احداها بدراسة لاقليم دارفور فى بداية القرن التاسع عشر الميلادى .

وصاحب هذه الدراسة فى تاريخ دارفور الحديثة هو محمد بن عمر التونسى الذى زار دارفور فى عام ١٨٠٣م ، وعاش فيها حوالى سبع سنوات ونصف السنة ، الم فيها بأحوال البلاد الماما تاما وترك لنا كتابا سماه « تشحيذ الأذهان بسيرة بلاد العرب والسودان » تحدث فيه عن هذه الأحوال وعن طريق سلاطين الفور المعاصرين له ، معتمدا على رؤيته الشخصية وعلى روايات الثقات من اهل البلاد ، تلك الروايات التى حفظوها جيلا بعد جيل . ولكنه للأسف لم يتعرض لتاريخ دارفور السياسى والثقافى فى الفترة التى حددناها لهذا البحث ، وليس هناك فى كتابه منها الا مجرد اشارات يمكن أن تفيد فى موضوعنا الذى خصصنا له هذه الدراسة .

ومع ذلك فان كتاب التونسى مصدر هام عن الأحوال العرقية والقبلية والثقافية والسياسية لدارفور فى عصره ، لأنه أول من زودنا بأخبار واقعية موثوق بها عن هذا الاقليم ، ولم يكن لدينا قبل عهده سوى مذكرات قليلة كتبها الرحالة براون G. Browne وبارث Barth ، وناختيجال Nachtigal . وما كتبه هؤلاء الباحثون ايضا عن دار فور وعن العروبة فيها قبل قيام سلطنة دارفور الاسلامية ما هو الا اشارات عابرة ، ولم يتركوا لنا دراسة وافية أو مفصلة عن هذا الموضوع ، مع انهم كتبوا كثيرا عن اقاليم السودان الأخرى

في شيء من الاستفاضة ، كما يلاحظ ان ما كتبوه عن بلاد السودان بصفة عامة في العصور الوسطى قد اضفوا عليه صفة الغموض ، وصبوه رغم قلته في قالب من التشكيك ، سعيا منهم الى طمس التاريخ العربى والاسلامى لهذه البلاد في تلك العصور ، وحتى يقال بان تاريخ السودان العربى والاسلامى لا يرجع الا لبضع قرون ، وحتى يقال ان جذور العروبة والاسلام فيه غير ضاربة في اعماق التاريخ ومن السهل اقتلاعها والقضاء عليها .

وقد حاول من جاء من اخوانهم من المستعمرين ان يقوموا فعلا بهذا العمل ، فعزلوا جنوب السودان عن شماله ، وبذلوا مجهودات جبارة لعزل السودان عامة عن بقية الأسرة العربية وربطه بالثقافة الأوربية حتى يتمكنوا من القضاء على هويته العربية الاسلامية . وقد جنحوا في ذلك اولا الى الاساءة الى العرب واتهامهم بتجارة الرقيق وشن الحروب على القبائل ، كما عمدوا الى تخريب البلاد وطمس معالم الحضارة العربية بها(٦) ، ثم تطرقوا بعد ذلك الى التشكيك في عروبة السودان بصفة عامة حتى قال المستر هولت على سبيل المثال بأن مجموعة الجعليين الذين ينتشرون في السودان الشمالى حول ضفاف نهر النيل يعود اجدادهم الأوائل الى اصل نوبى ، وان ما يدعيه الجعليون من انهم من نسل بنى العباس هو نسب منتحل ادعته جماعات حديثة النعمة ، وأنه لابد ان تفهم بهذا المعنى مزاعم الأسرات الحاكمة في دارفور من انها تنحدر من اصل عباسى(٧) ، وتطرف احدهم وقال ان عرب السودان جميعا ما هم الا اجانب وليسوا من اهله في شيء(٨) .

---

(٦) الشاطر بصيلى عبد الجليل : تاريخ وحضارات السودان الشرقى والأوسط ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، سنة ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م ، ص ١٦

(٧) دائرة المعارف الاسلامية ، طبعة دار الشعب ، مصر ، بدون تاريخ ، جـ١٢ ، ص ٦٦

(8) Mac Michael : Ahistory of the Arabs in the Sudan, Vol.2, Comridge , 1922, p. 197.

وللأسف فقد تأثر بعض المؤرخين السودانيين بهـذه الأقوال حتى قال احدهم انه وقت عمل احصـاء لسـكان السودان فى عـام ١٩٥٦م ادعى (وتأمل كلمة ادعى) ٣٩٪ من مجموع السكان أنهم ينتسبون الى قبائل عربية(٩) ٠

ومع ذلك فقد استطاع بعض الكتاب الاخرين ان يعطونا اخبارا عن دارفور ، وتمكن احدهم وهو ماكمايكل الذى كان ضمن الحملة التى غزت الاقليم فى عام ١٩١٦ وانهت حكم على دينار(١٠) ، أن يقـدم لنا صورة شـاملة للمجتمع العربى فى السـودان ، سـاعده فى ذلك شـغله لمنصب السكرتير الادارى فى الخرطوم اثنـاء الحكم البريطانى ٠

وقـد اتاح له هـذا المنصب الذى كان يعادل منصب وكيل وزارة الادارة المحليـة فى ذلك الحين فرصـة الاتصال المباشر بزعماء القبائل والعشـائر العربية فى السـودان عامة ٠ وقد افاض له هؤلاء الزعمـاء بكل ما لديهم من معلومات عن تاريخ العروبة فى السـودان ، كما انه تنقل فى بوادى السـودان بحكم منصبه كمفتش للادارة المحلية ، واستطاع ان يجمع عددا من الوثائق وان يسـجل كثيرا من الروايات المحلية التى تتعلق بالاسـلام والعروبة فى السودان ، وفى اقليم دارفور بطبيعة الحال (١١) ٠ ولذلك كان اعتمادنا كبيرا على هـذا الباحث ، وخاصة فى الحديث عن القبائل العربيـة فى دارفور ٠

---

(٩) مدثر عبد الرحيم : الامبريالية والقومية فى السـودان (١٨٩٩ - ١٨٥٦ م) ، دار النهار للنشر ، بيروت ، سنة ١٣٩١ هـ / ١٩٧١ ، ص ١٤

(10) Arkell : The History of Darfur 1200 - 1700 A. D. (journal of the Sudan Notes and Records, XXX III, part Iv ,1952, p. 268.

(١١) سر الختم عثمان على : العلاقات بين مصر والسودان فى العصور الوسطى بين القرنين الثانى عشر والرابع عشر ، رسـالة ماجسـتير غير منشـورة ، جامعة القاهرة ، سـنة ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م ، ص ٢٨١

وعلى ذلك فان المصــادر والمراجع التى تتحدث عن تاريخ العروبة والاســلام فى دارفور فى العصور الوسـطى تكاد تكون نادرة ، لمـا سقناه من اسـباب ، ولأسباب اخرى يمكن أن نقول عنهـا أنها أســباب ذات طــابع تاريخى ٠

ذلك ان كثيرا من القبائل العربية التى هاجرت الى دارفور فى تلك العصور ذابت تدريجيا فى السكان المحليين بحكم الجوار والمصاهرة والاختلاط ، مما أدى الى ضـياع انســاب بعض هــذه القبائل ، وبالتالى تعذر تدوين تاريخهــا ومعرفة البلدان التى أتت منهــا ، وتعذر معرفة دورهــا على وجــه التحـديد فى نشر العـروبة والإسـلام فى هــذا الاقليــم(١٢) ٠

كما أن بعضا من القبائل العربية المهاجـرة الى دارفور اختلطت ببعضها اثناء اقامتها فى دارفور وفى بلاد السـودان بصفة عامة ، ونجم عن ذلك تكتلات قبلية جديدة يتعذر معها معرفة أصولها الأولى(١٣) ، مما ادى الى قلة الكتــابة عن هــذه القبائل ٠

وهكذا كانت ندرة المصادر والمراجـع التى كتبت عن دارفور فى العصور الوسطى تعتبر تحديا كبيرا لأى كاتب يحاول أن يخوض فى هذا الموضوع ٠ ولذلك كان علينا ان نبذل المزيد من البحث والتنقيب وكان علينا أن نسـتخدم أسلوب استكشاف ما كان موجـودا فى دارفور على ضوء ظروف هــذا الاقليم وظروف الأقاليم والبلدان المحيطة به ، ومدى تغلب العروبة والاســلام عليها ، وتاثير ذلك كله على اقليم دارفور قبل أن يصبح سـاطنة اسـلامية على يد سليمان سـولون ، لأنه لا يمكن فصـل تاريخ هــذا الاقليم عن تاريخ هــذه البلدان بأى حال من الأحوال ، وخاصــة فى العصور القديمة والوسـطى ٠

وقـد رجعنا فى جمع مادة هــذا الكتاب الى العديد من المصــادر

---

(١٢) المرجع الســابق ، ص ٢٨٢

(١٣) نفس المرجــع ونفس الصفحة ٠

العربية القديمة ، والمراجع العربية الحديثة ، والى عديد من المراجع الأجنبية التى افادتنا كثيرا والتى ترى ثبتا بأسمائها فى نهاية هـذا الكتاب ، ومنها استطعنا أن نقدم صورة واضحة بقدر الامكان لهذا الموضوع ٠ فتحدثنا أولا وفى ايجاز عن البيئة الجغرافية لدارفور وعن المتاح معرفته من التاريخ القديم والوسيط لهذا الاقليم وذلك فى الفصل الأول من هـذا الكتاب ، ثم تحدثنا بعد ذلك عن هجرات العرب الى دارفور ٠

وفى هـذه النقطة رأينا أن نبدأ بالحديث عن أسباب هـذه الهجرات ، ثم عن الجهات التى أتت منها ، والطرق التى سلكتها ، والأزمنة التى اتبلت فيها ، وذلك فى الفصل الثانى ٠ أما الفصل الثالث فقد خصصناه الحديث عن القبائل العربية التى هاجرت الى دارفور ، ومظاهر حياة هـذه القبائل وعلاقتها بالسكان المحليين ، وعن مساهماتها فى نشر العروبة فى هـذا الاقليم ٠

اما النقطة المحورية الثانية فى هـذا الكتاب والتى استغرقت الفصل الرابع والأخير ، فهى الحديث عن الاسلام وانتشاره بين أهل دارفور ، وعن العوامل التى أدت الى هـذا الانتشار ، وما نتج عن هـذا الانتشار من قيام سلطنة اسلامية عربية كتتويج لنجاح حركة التعريب ، وكنتيجة من أهم نتائج انتشار الاسلام فى هـذا الاقليم الهام ٠ وختمنا حديثنا عن الاسلام فى دارفور بدراسة تبين مظاهر انتشاره ، وهى مظاهر كثيرة دعمها وعمقها وأعطاها طابع الدوام والاستمرار ، ظهور سلطنة دارفور الاسلامية فى عام ٨٤٨هـ / ١٤٤٥م ٠

ورغم الجهود التى بذلناها فى هـذا الكتاب ، فاننا لا نزعم أننا اتينا بالقول الفصل فى هـذا الموضوع الهام ، وما فعلناه ما هـو الا محاولة قد تتبعها محاولات فى ضوء ما يكتشف من وثائق أو آثار ، وعلى أية حال فلا كمال الا لله وحده ، وهو من وراء القصد ، وهو يهدينا سواء السبيل ٠

رجب محمد عبد الحليم

الفصـــل الأول

جغرافيـة دارفور وتاريخهـا القـديم

الحـديث فى هـذا الكتاب كما قلنا هو حـديث عن هجرات العرب الى دارفور وقيامهم بنشر العروبة والاسـلام فيه • ولم يكن قيامهم بهذا العمل التاريخى فى فراغ من الأرض ، أو فى فراغ من الناس ، ذلك ان العرب قدموا الى أرض ذات حدود معروفة ، ولها طبيعتها الخاصة ، ولا قبائلها وسـكانها المنتشرون على ارضها ، ولها مواردهـا الطبيعية وأسـلوب حياتها • ولابد أن ذلك مؤثر فى القادمين الجدد من العرب ، ومؤثر فى جهودهم العربية والاسـلامية ، وفى اعطاء هـذه الجهـود طابعا خاصـا يتواءم مع المكان والزمان •

وتأثير البيئة على هـذا النحو هو تأثير الجغرافيـا فى التاريخ وأحداثه ، ولذلك كان لابد من حديث عن جغرافية دارفور لمعرفة مدى تأثيرها فى موضوعنا الذى نقصـده فى هـذا الكتـاب •

جغرافيـة دارفور :

تقـع دارفور فى الجزء الغربى من جمهورية السـودان الحالية ، ويمكن ان نعين حدودها على وجه التقريب • فهى تحد حاليا شـمالا بخط عرض ١٥ درجـة ، وجنوبا بخط عرض ١٠ درجة ، وغربا بخط طول ٢٢ درجة ، وشرقا بخط طول ٢٧ درجة شرقى جرينتش(١) •

وهـذه الحدود تتقارب مع الحدود التى اتى بها المؤرخون ،

---

(١) دائرة المعارف الاسلامية ، جـ ١ ، ص ٨٣

فقال عنها نعوم شــقير أنها تمتد من بئر النطرون بالصحراء الكبرى شــمالا الى بحر العرب ومديرية بحر الغزال جنوبا ، وتمتد من كردفان عند حلة الشريف كباشى شرقا ، الى وادى كجا الذى يفصلها عن مقاطعة وادای غربــا(٢) ٠

وقال عنها التونسى أنها تمتد شرقا من شرقى الطويشة(٣) بمسيرة يومين ونصف يوم(٤) ، وتمتد غربا عند آخــر دار المســاليط وآخر دار قمر واول دار تامة ، وهو الخلاء الكائن بينها وبين وادای ، اما من ناحية الجنوب فقد امتدت الى الخلاء الكائن بينها وبين دار فرتيت ، وامتدت من الشــمال الى بئر المزروب ، وهو اول بئر يعرض لمن يتوجه اليها من مصر(٥) ، وكثيرا ما تغيرت هذه الحدود فى عصور التاريخ المختلفة ٠ اذ كانت دارفور تمــد رواقها على اراضى واســعة من بلاد وادای ومن كردفان ، واحيانا من بحر الغــزال(٦) ٠

كما أن هــذه الحدود كانت تجعلها على اتصــال بدول احاطت بها من معظم جهاتها ٠ فمن الشــمال كانت توجد مملكة الزغاوة وما وراءها من الدول العربية القائمة فى شمال افريقيا ، ومن الشرق كانت هنــاك

---

(٢) نعوم شــقير : تاريخ السودان القديم والحديث وجغرافيته ، القاهرة سنة ١٩٠٣ ، جـ١ ص ٧٢ ، عبد الله حسين : السودان من التاريخ القديم الى رحلة البعثــة المصرية ، القاهرة ســنة ١٩٣٥ ، جـ٢ ص ٤٦٣

(٣) التونسى : تشحيذ الأذهان بســيرة بلاد العرب والسودان ، تحقيق د٠ خليل محمــود عســاكر ، د٠ مصطفى مســعد ، الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر ، ســنة ١٩٦٠ ، ص ١٣٦ ، الشاطر بصيلى عبد الجليل : تاريخ وحضارات السودان الشرقى والأوسط ، ص ٢٧٦

(٤) التونسى : نفس المصدر ، ص ٣٤٧

(٥) المصــدر الســابق ، ص ١٣٦

(٦) دائرة المعارف الاســلامية ، جـ ٩ ، ص ٨٣

مملكة مقرة ومملكة علوة المسيحيتين ، ثم مملكة الكنوز ومملكة الفونج الاسلاميتين اللذين قامتا على انقاض هاتين المملكتين فى أواخر العصور الوسطى • ومن الغرب مملكة واداى ومملكة الكانم والبرنو وما وراء ذلك من ممالك السودان الغربى مثل مالى والتكرور وغانة • ومن الجنوب بحر الغزال وما وراءه من بلاد الكونغو وأواسط افريقيا •

وموقع دارفور على هذا النحو يعتبر موقعا جغرافيا هاما اذ انها بهذا الوضع تصبح منطقة ربط وصلة وعبور بين السودان النيلى وبلاد السودان الأوسط التى نشأت فيها ممالك الكانم والبرنو التى تقع فى حوض بحيرة تشاد • كما أن دارفور بهذا الموقع تقع على طرق القوافل التى ربطت شمال الصحراء الكبرى وجنوبها الشرقى وبين شرق القارة وغربها(٧) •

وقد ترتب على هذه الحقيقة الجغرافية الواضحة أن تعرضت دارفور للتاثيرات الثقافية والعرقية التى ميزتها وطبعتها بطابع خاص(٨) بعد أن أصبحت ميدانا تقابلت فيه الهجرات وطرق القوافل(٩) ، كما ان هذا الموقع دفع حكام دارفور الى السيطرة فى بعض الأحيان على مناطق بعيدة تقع وراء دارفور ، اذ امتدت سيطرتهم على منطقة دارفرتيت وحوض بحر الغزال ، وكذلك على جانب من كردفان وعلى جزء كبير من واداى(١٠) •

---

(٧) نعوم شقير : نفس المرجع ، جـ ١ ، ص ٧٢ ، عبد الله حسين : السودان من التاريخ القديم الى رحلة البعثة المصرية ، جـ ٢ ص ٤٦٣

(٨) الشاطر بصيلى : تاريخ وحضارات السودان الشرقى والأوسط ، ص ٣٧١ ، Mandour El Mahdi : A short history . of the Sudan, London, 1965, p. 54.

(٩) الشاطر بصيلى : تاريخ وحضارات السودان الشرقى والأوسط ، ص ٣٧٣

(١٠) المرجع السابق ، ص ٣٧١ ، دائرة المعارف الاسلامية ، جـ ٩ ص ٨٣ •

وفى نفس الوقت فان دارفور وبسبب موقعها الذى يعطى حماية طبيعية لأهلها بسبب بعدها عن الدول ذات النفوذ والمنعة كانت ملجأ للأسرات الحاكمة التى خرجت من حوض وادى النيل الأوسط منذ العصور التاريخية القديمة . والمثال على ذلك ما اشارت اليه المصادر التاريخية عن هجرة الأسرة الحاكمة فى مملكة مروى الواقعة شمال الخرطوم فى منتصف القرن الرابع للميلاد الى دارفور بعد غزو الحبشة لهذه المملكة فى عام ٣٥٠م(١١) ، وكذلك خروج ملك علوة المسيحية نحو الغرب فى القرن الثالث عشر للميلاد لأسباب تاريخية معينة(١٢) .

وقد ساعد على اعطاء الحماية لسكان دارفور عامل آخر غير عامل الموقع ، وهو عامل التضاريس التى تحيط بها ذلك أن حدودها

---

(١١) قام الملك عيزانا ملك اكسوم (اثيوبيا) بحملة على مملكة مروى وقوض اركانها ونتج عن ذلك أن قامت على انقاضها ثلاث ممالك نوبية . ففى الشمال قامت مملكة النوبات التى امتدت من الشلال الأول الى الشلال الثالث وعاصمتها فرس ، وتليها جنوبا مملكة مقرة وتنتهى حدودها الجنوبية عند مكان عرف بالأبواب عند الكتاب العرب ، ويظن أنه بالقرب من كبوشية ، وكانت دنقلة العجوز عاصمة لهذه المملكة ، ثم تأتى جنوبا منها مملكة علوة وعاصمتها سوبا التى تقع على النيل الأزرق جنوب الخرطوم الحالية . وقد انتشرت المسيحية فى هذه الممالك الثلاث .

انظر : سر الختم عثمان على : نفس المرجع ، ص ١٥٨ ، مصطفى مسعد : سلطنة دارفور ، تاريخها وبعض مظاهر حضارتها ، مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، العدد ١١ سنة ١٩٦٣ ، ص ٢٢٣ ، الاسلام والنوبة فى العصور الوسطى لنفس المؤلف ، الأنجلو المصرية ، سنة ١٩٦٠ ، ص ١٢ ، ١٣

(١٢) الشاطر بصيلى : تاريخ وحضارات السودان الشرقى والأوسط ، ص ٣٧

تنتهى فى الشمال عند الصحراء الليبية الى مساحات رملية وصحراوية شاسعة ، نادرة الماء والزرع ، وتمثل فى نفس الوقت حاجزا مانعا لأى هجمات عسكرية مباغتة يمكن أن تأتيها من هذه الناحية ، وتعطى لأهل دارفور امكانية السيطرة على الواحات القريبة منها والتى تقع فى شمالها ٠

اما المنطقة التى تقع شرق اقليم دارفور فهى عبارة عن سلسلة عريضة من التلال الرملية تعرف بالأقواز ، وقد قامت هذه التلال بدور الحاجز بينها وبين جارتها كردفان ٠ كما قام حاجز من نوع آخر فى جنوب دارفور ، الا وهو بحر العرب الذى يخرج من دارفور ويصب فى بحر الغزال ، وتقع فى جنوبه منطقة واسعة ينتشر فيها البعوض وذباب تسى تسى ٠ أما الناحية الغربية لدارفور فهى منطقة مفتوحة فليس بينها وبين ما يقع خلفها من بلدان من هذه الناحية موانع جغرافية ، سواء كانت جبلية أو مائية ، ولذلك فقد كانت على صلة بهذه البلدان ، مثل واداى وباجرمى والكانم والبورنو التى تقع فى حوض بحيرة تشاد ، ومن ثم كانت حدود دارفور الغربية تخضع لطبيعة علاقاتها مع هذه الدول ، وكانت تؤثر فيها العوامل السياسية والقبلية(١٣) ٠

وتضاريس دارفور نفسها عبارة عن هضبة تكثر بها الجبال والتلال خصوصا فى الشرق والشمال والغرب ، وقليل منها فى الجنوب كجبال الداجو وغيرها ، ولا يكاد يوجد بها مكان متناسب الا نادرا ، وأرضها رملية وكثيرة الأودية والأشجار(١٤) ٠

ولعل ابرز ظاهرة طبيعية فى هذا الاقليم هو وجود سلسلة

---

(١٣) مصطفى سعد : سلطنة دارفور ، ص ٢١٥

(١٤) عبد الله حسين : السودان من التاريخ القديم ، حـ٢ ص ٤٦٣ ، الموسوعة العربية الميسرة ، دار نهضة لبنان للطبع والنشر ، سنة ١٩٨٧ ، جـ١ ص ٧٧٣

جبال اشهرها جبل مرة الصغير الذى سميت هذه السلسلة كلها باسمه وصارت تعرف باسم جبل مرة(١٥) . ويقع هذا الجبل فوق هضبة تحدها الفاشر ونيالا وكبكبية ، وهى المواطن الأصلية لشعب الفور(١٦) ، ويمتد نحو مائة ميل من الشمال الى الجنوب ، ونحو ستين ميلا من الشرق الى الغرب ، ويبلغ ارتفاع أعلى قممه نحو ١٥٠٠ قدم عن سطح الأرض المجاورة له ، ونحو ٦٠٠٠ قدم عن سطح البحر . وهو جبل وافر الخصب كثير الينابيع كثير المطر ، وفيه كثير من أشجار الفاكهة والحبوب مما لا يوجد فى غيره من اعمال دارفور ، ومن اشهر قممه « جبل طرة » الذى كان مركز سلاطين الفور قبل انتقالهم الى الفاشر ، وفيه مدفن السلاطين الخاص ، وجامع كبير قديم(١٧) .

واذا قسمنا دارفور الى اقسام جغرافية فانه يمكن تقسيمها من حيث التضاريس الى ثلاثة اقسام عرضية . القسم الأول فى الشمال وهو عبارة عن منطقة برارى وسهوب تتخللها مجموعة من التلال والأودية ذات الأشجار والأعشاب التى تصلح للرعى ، اذ تسقط عليها أمطار بمقدار حوالى ١٠ بوصات ، تساعد على نمو النباتات والأعشاب اللازمة للرعى ، ولا تساعد كثيرا على الاشتغال بالزراعة ولذلك فان أهل هذه المنطقة أو هذا القسم من دارفور من البدو وأشباه البدو الذين تقوم حياتهم أساسا على رعى الابل وتربيتها والاتجار فيها(١٨) .

أما القسم الثانى من دارفور فهو المنطقة التى تقع فى وسطها ، وهى منطقة جبلية فى بعض اجزائها ، ورملية فى طرفيها الشرقى

---

(١٥) التونسى : نفس المصدر ، ص ١٥٧

(١٦) الشاطر بصيلى : تاريخ وحضارات السودان الشرقى الأوسط ، ص ٣٧٥ ، مصطفى مسعد : سلطنة دارفور ، ص ٢١٦

(١٧) نعوم شقير : تاريخ السودان القديم والحديث ، ج١ ص١٠٩

(١٨) الشاطر بصيلى : تاريخ وحضارات السودان الشرقى والأوسط ، ص ٣٧٥ ، مصطفى مسعد : سلطنة دارفور ، ص ٢١٦

والغربى ، وهى أكثر أمطارا من المنطقة الشمالية ، اذ تسقط عليها أمطار تتراوح بين ١٢ بوصة فى منطقة السهول ، و٢٥ بوصة حول تلال جبل مرة . ولذلك فان حياة أهلها تقوم على الاشتغال بالزراعة (١٩) .

اما المنطقة الجنوبية والتى تقع جنوبى خط عرض ١٢ شمالا فهى عبارة عن منطقة رعوية كثيرة الأشجار كثيرة الأمطار ، اذ تتراوح امطارها بين ٢٥ و ٣٥ بوصة ، ولذلك فان حياة اهلها تقوم على رعى الماشية وتربيتها ، وينتقل أهلها لمزاولة هذا العمل بالقرب من الأنهار فى الجنوب (٢٠) .

هذا عن تضاريس دارفور المتنوعة وامطارها المتفاوتة ، اما مناخها فانه يتدرج من حيث الحرارة من الشمال الى الجنوب ، فهو حسن فى الشرق والوسط والشمال ، ردىء فى الجنوب ، ومتوسط فى الغرب (٢١) . ومن المفيد هنا أن نتعرف على مناخ السودان بصفة عامة حتى نعرف منه وضع دارفور وموقعها فى هذا المناخ بالنسبة لغيره من اقاليم السودان الأخرى .

فمناخ السودان يغلب عليه المناخ القارى ، اذ يقع ضمن المنطقة الاستوائية . ونظرا لعظم مساحته التى تزيد عن مليونين ونصف مليون كيلو متر مربع ، ونظرا لامتداده الواسع ما بين خط عرض ٢٢ درجة و ٤ درجات شمال خط الاستواء ، فان مناخه يتنوع من منطقة لأخرى ، ففى المنطقة الشمالية التى تنحصر بين خطى عرض ٢٢ و ١٨ شمالا تهب عليه الرياح الشمالية طول السنة من الصحراء ، ولذلك فان هذه المنطقة تعتبر من اكثر أجزاء العالم حرارة وجفافا . اما الحزام الأوسط

---

(١٩) المرجعين السابقين ونفس الصفحات .

(٢٠) المرجعين السابقين ونفس الصفحات .

(٢١) عبد الله حسين : السودان من التاريخ القديم ، ص ٤٦٣

الذى يمتد من خط ١٨ الى خط ١٢ شمال خط الاستواء فهو أكثر مطرا من المنطقة الشمالية ، وذلك فالمناخ فيه الطف قليلا منه فى هذه المنطقة . أما المنطقة الجنوبية التى تقع بين خطى عرض ١٢ و ٤ فهى غزيرة المطر مرتفعة الرطوبة كثيرة الأشجار والغابات(٢٢) .

ولما كان اقليم دارفور ذو المساحة التى تزيد حاليا عن نصف مليون كيلو متر مربع(٢٣) يمتد ما بين خطى عرض ١٥ و ١٠ شمال خط الاستواء ، فانه بذلك يقع فى المنطقة الوسطى أو الحزام الأوسط من دولة السودان ، ولذلك فان مناخه يعتبر افضل بكثير مما يقع شماله وجنوبه من أراضى هذه الدولة وأقاليمها ، وان كان الجزء الشمالى من دارفور يتأثر كثيرا بالرياح الشمالية الجافة ، ويقل فيه المطر وترتفع درجة الحرارة ، بينما تقل درجة الحرارة كلما اتجهنا جنوبا وتقل كثيرا فى جبال مرة حيث تطيب الحياة .

أما موارد اقليم دارفور الاقتصادية فهى متنوعة وتتناسب مع ظروفه الطبيعية والجغرافية ، فأهله من الرعاة يربون الماشية والابل والأغنام ، والاقليم يعتبر اهم مصدر للجلود ، وسن الفيل وريش النعام ، وتزرع فيه محاصيل عديدة ، منها الذرة والدخن الذى يعتبر الغذاء الرئيسى عندهم ، وكذلك تزرع أنواع الخضروات المختلفة ، ويزرع القمح الذى لا يزرع عندهم الا فى جبل مرة ، لكثرة امطاره ، وعلى مياه الآبار فى كوبيه وكبكبية . ويزرعون ايضا القطن والأرز والسمسم الذى يزرعون منه الشىء الكثير(٢٤) .

وتنمو فى بلادهم الأشجار المثمرة وغير المثمرة . اما المثمرة فمنها النخيل والليمون والموز والهجليج والنبق والتبلدى وهو شجر ضخم

---

(٢٢) مدثر عبد الرحيم : نفس المرجع ، ص ١٢ ، ١٣

(٢٣) الموسوعة العربية الميسرة ، جا ، ص ٧٧٣

(٢٤) التونسى : نفس المصدر ، ص ٣٠٤ - ٣٠٦

أجوف الجذع ينبت فى الفيافى ويختزن ماء المطر فى تجويفه ، فياتى اليه اهل البادية فى غير أوقات المطر ويشربون منه ، وهناك ايضا شجر الدليب (الجوز الهندى) والحميض والدوم(٢٥) .

أما الأشجار غير المثمرة فكثيرة جدا وتكاد لا تدخل تحت حصر ، ومن اشهرها وانفعها شجر العشر والحشاب الذى يؤخذ منه الصمغ العربى ، والسنط والطلح والكتر والقفل والحراز ، وهى اشجار ينتفعون بأخشابها فى بناء بيوتهم . وهذه البيوت تبنى اما من قصب الدخن أو قصب رفيع يسمى المرهبيب الذى لا يعمل الا للأغنياء واكابر الدولة(٢٦) . وعلى هذا النحو ترى تنوع الموارد الطبيعية والنباتية التى يعيش عليها سكان دارفور .

وسكان دارفور نزوح العرب اليها كانوا يتكونون اساسا من عناصر السود وشبه السود . وعناصر السود هى العناصر أو القبائل التى كانت تهاجر الى الاقليم من السودان الجنوبى ، وهى عناصر زنجية فى الأساس(٢٧) ، وكانت لها السيادة فى عصر من العصور على ما يعرف الآن باسم دارفور(٢٨) ، أما عناصر الشبه السود فهى من اقدم السكان اصولا فى البلاد . وقد اتت هذه العناصر الى دارفور نتيجة لهجرات مختلفة من عناصر مختلفة من الشمال والغرب والشرق ، لأن الاقليم وكما سبق القول منطقة عبور بين الشمال والجنوب ، وبين السودان النيلى والسودان الأوسط وتشاد(٢٩) .

---

(٢٥) المصدر السابق ، ص ٣٠٧ — ٣١١

(٢٦) المصدر السابق ، ص ٣١٢ — ٣١٤

(٢٧) نعوم شقير : تاريخ السودان القديم والحديث ، ج١ ص ٤٧ — ٤٨

(28) Mandour : op . cit. p. 54 .

(29) Ibid : p. 54.

ولذلك فان معظم سكان دارفور وكذلك معظم سكان واداى وكانم وباجرمى وبرنو من بلاد السودان الأوسط ، وسكونو ومالى من بلاد السودان الغربى ، اقل سوادا وأوفر عقلا وأرقى حضارة من السود بل انهم فى الملامح والحضارة اقرب الى العرب منهم الى السود . وكانوا على الديانة الفتشية قبل هجرة العرب اليهم ونشر الاسلام بينهم، كما انهم ينقسمون الى قبائل مختلفة ، لكل منها لغة خاصة بها ، وملك من جنسها يحكمها(٣٠) .

ومن اقدم هذه القبائل او الممالك الصغيرة التى سكنت اقليم دارفور شعب الداجو ، ولعلهم أصحاب الاقليم الأقدمون ، وكان مركزهم فى جبل داجو الذى يقع على مسيرة يومين الى الغرب من داره(٣١) . ويرى بعض المؤرخين انهم هاجروا الى دارفور اصلا من جبال النوبا الواقعة غرب النيل الأبيض جنوب خط عرض ١١ درجة ، وفرضوا نفوذهم على المنطقة الوسطى والجنوبية من دارفور وعاشوا فيها ، واستطاع هذا الشعب معتصما بجبال مرة أن يؤسس سلطنة محلية تشبه من بعض الوجوه سلطنة غانة فى غرب افريقيا ، أو ممالك النوبة فى وادى النيل(٣٢) ، وأصبحوا مع شعب الفور يكونون معظم اهل دارفور(٣٣) .

ويذهب ناختيجال الى أن الداجو او التاجو او التاجوين كما سماهم بعض الكتاب المسلمين القدامى ، استطاعوا أن يحكموا دارفور قرونا من جبال مرة ، وسلموا سلطانهم بعد ذلك الى العرب التجار الذين

---

(٣٠) نعوم شقير : نفس المرجع ، ج ١ ص ٤٨

(٣١) دائرة المعارف الاسلامية ، ج ٩ ص ٨٤ ، نعوم شقير : نفس المرجع ج ١ ص ٤٩

(٣٢) حسن محمود : الاسلام والثقافة العربية فى افريقية ، دار الفكر العربى ، القاهرة سنة ١٩٨٦ ، ص ٣٢٤

(٣٣) دائرة المعارف الاسلامية ، ج ٩ ص ٨٤

نزحوا الى الاقليم(٣٤) . ومن المحتمل أن مملكة الداجو قد امتدت الى المنطقة الشرقية الجنوبية ولم تمتد سلطتها الى الشمال أو الغرب ولم تشمل جبل مرة(٣٥) .

وعلى ذلك فان الداجو هم فى الغالب أول من أسسوا ملكا فى اقليم دارفور(٣٦) ، وسوف نتعرض لتاريخهم فى شىء من التفصيل حين حديثنا عن تاريخ دارفور القديم .

ومن القبائل أو الشعوب الأخرى التى سكنت دارفور شعب التنجور ، وهو شعب يختلف عن الداجو ، فقد قيل فى اصله انهم من العرب أو النوبة أو البربر(٣٧) ، ولعل اسمهم مشتق من كلمة « تجار » ، مما يدل على أصلهم العربى(٣٨) ، ولذلك فاننا نؤجل مناقشة أهل هذه الفئة من أهل دارفور الى حديثنا عن الهجرات العربية الى هذا الاقليم . ومهما كان الأمر فان مملكتهم استقرت فى شمال دارفور .

ومن المحتمل أن مملكتى الداجو والتنجور قامتا جنبا الى جنب ، التنجور فى الشمال والداجو فى الجنوب والوسط ، غير أن سلطان التنجور لم يستمر طويلا فى دارفور ، وربما كان مرجع ذلك الى أن ضغطا وقع عليهم من الشمال ، أو الى أنهم توسعوا فى بسط نفوذهم حتى وصلوا غربا الى واداى ، مما أدى الى تخلخل سلطانهم وضعف نفوذهم فى دار فور بعد مضى قرنين من قدومهم اليها وحكمهم للجزء الشمالى من هذا الاقليم(٣٩) ، مما مهد الأمر أمام الفور كى يبسطوا نفوذهم على الاقليم كله .

---

(٣٤) المرجع السابق ، ج ٩ ص ٨٤

(35) Mandour : op. cit, p. 55.

(36) Ibid : op é cit . p 55.

(٣٧) مصطفى مسعد : سلطنة دارفور ، ص ٢٢٥

(٣٨) دائرة المعارف الاسلامية ، ج ٩ ص ٨٤

(٣٩) مصطفى مسعد : سلطنة دارفور ، ص ٢٢٦

وكان هؤلاء الفور أصحاب السيادة فى جبال مرة ، وفى المرتفعات التى تقع غرب هذه الجبال(٤٠) ، وهم الذين اعطوا اسمهم للاقليم كله ، فصار يعرف باسم دارالفور أو دارفور ، على الرغم من أن هذا الاقليم كانت تسكنه عناصر وقبائل كثيرة مختلفة ، بينما كان الفور يمثلون فقط جزءا محدودا منه ويتركزون فى جبال مرة . والسبب فى اطلاق اسم الفور على كل الاقليم يعود الى أنهم كانوا بصفة عامة أهم قبيلة فى هذه المنطقة ، اذ أنهم نجحوا فى تأسيس سلطنة كبيرة ازدهرت طويلا ، وكانت سابقة لسلطنة الفونج التى ظهرت فى الشرق ، وسلطنة واداى التى ظهرت فى الغرب(٤١) .

وربما يعود السبب فى ذلك أيضا الى ان الفور كانوا اسبق القبائل فى سكنى هذا الاقليم(٤٢) ، وان كان هذا الأمر لا يمكن التحقق منه ، أو لأن كلمة الفور تعنى اللون الاسود ، وكان معظم سكان الاقليم ممن يحملون هذا اللون ، ولذلك تم اطلاقه على الجميع ، فسموا باسم الفور ، وسميت بلادهم باسم دارفور(٤٣) .

ومهما كان الأمر فان شعب الفور باعدادهم وفروعهم الكثيرة كانوا يشكلون مجموعة من السكان الوطنيين الذين اختلطوا على مر العصور بمجموعة من أناس أبيض منهم لونا كانوا يتكلمون لسانا نوبيا وأتوا من السودان الشمالى ، ومن بلاد النوبة على وجه التحديد(٤٤) .

وذلك انه منذ حوالىالقرن السابع للميلاد وفد على هذا الاقليم

(40) Mac Michael : The Coming of the Arabs to the Sudan (in the Anglo Egyptian Sudan from within) London, 1932, p. 32

(41) Mandour, op . cit, p. 54.

(٤٢) عبد الله حسين : السودان من التاريخ القديم ، جـ٢ ، ص٤٦٣

(٤٣) المرجع السابق ، جـ٢ ص ٤٦٣

Arkell : Ahistory of the Sudan, p. 217

(44) Mandour : op. cit, p. 54.

قبائل من الشمال عن طريق النيل من ناحية ، وعن طريق الصحراء من ناحية أخرى . فمن ناحية النيل جاءت جماعات نوبية من الميدوب والبرقد ، على حين جاءت جماعات ليبية من البدايات والزغاوة من شمال افريقيا ، واستطاعت هذه القبائل النوبية والليبية بفضل ما امتازت به من الغلبة العقلية وما لديها من وسائل حربية جديدة ، أن تطرد جماعات السود الى الجبال وان تقيم فى هذه المنطقة ممالك خاصة(٤٥) ، وخاصة فى شمالى الاقليم(٤٦) .

ومهما كانت درجة اختلاط الفور بغيرهم ، فانهم حافظوا على نقاء جنسهم وعاشوا فى جبل مرة ، وانقسموا الى ثلاث شعب أو ثلاث مجموعات كبرى ، هى الكنجارة الذين كانوا يعيشون فى شرق جبل مرة ، والذين تسربت اليهم الدماء العربية عند هجرة العرب الى الاقليم ومصاهرتهم لهم ، ونتج عن ذلك قيام سلطنة اسلامية على يد سليمان سولون كما سيجىء القول . أما الشعبة الثانية من الفور فهم الكراريت ، وكانوا يسكنون فى جبل يسمى جبل سمى ، وهو احد جبال مرة ، وتمتد مناطق سكناهم الى حد دار اباديما فى الجنوب ، واما الشعبة الثالثة فهم الفور المسمون تمرركه ، وكانوا يسكنون فى دار أباديما نفسها والتى تقع فى جنوب جبال مرة ، أو على وجه التحديد فى جنوب غربى دارفور(٤٧) . وكان لكل من هذه الشعب الثلاث لغتها الخاصة التى تتكلم بها ولها ملوكها وحكامها(٤٨) .

وبجانب الداجو والتنجور والفور ، عاشت فى دارفور ، قبائل أخرى كثيرة لم تستطع أن تؤسس مملكة واسعة فيها كما فعلت هذه الشعوب الثلاثة . من هذه القبائل : الزغاوة ، والبرتى ، وميدوب

---

(٤٥) مصطفى مسعد : سلطنة دارفور ، ص ٢١٧

(46) Mac Michael : op. cit, p. 32.

(٤٧) التونسى : نفس المصدر ، هامش ٤ ص ١٤٣ ، ص ١٤٤ ، ١٤٥

(٤٨) دائرة المعارف الاسلامية ، ج ٩ ص ٨٤

فى الشمال ، والمساليط والقمر (بكسر القاف وتسكين الميم) فى الغرب ، والفلاتة والبرقد والفرتيت والبيقو فى الجنوب(٤٩) .

اما الزغاوة فقد كانوا فريقين ، زغاوة كبا فى شرق دار قمر ، وعندهم الكثير من الخيل والحمير ، وزغاوة الدور ، وهم على بعد مسيرة اربعة أيام من الشمال من الفاشر(٥٠) . والزغاوة كما يقول التونسى « مملكة واسعة وبها خلق لا يحصون كثرة ، لهم سلطان وحدهم يخضع لسلطان الفور ، وهو يشبه قائدا من قواده »(٥١) .

والبرتى قبيلة كبيرة من أصل مختلط تسكن جنوبى تلال ميدوب فى شرقى دارفور عند خط عرض ٢٤ : ١٤ وخط طول ٤٣ : ١٥ ، وكانوا قد هجروا وطنهم الأصلى فى تلال تجابو (تقابو) التى تقع على بعد مسيرة ثلاثة ايام الى الشمال من الفاشر ، بسبب ضغط سلاطين الفور عليهم(٥٢) .

واما الميدوب فهم سكان جبل يحمل نفس الاسم ويقع فى الركن الشمالى الشرقى من دارفور على بعد اربعمائة ميل من مدينة الخرطوم الحالية ، و ٣٥٠ ميلا جنوب غربى بلدة الدبة . وتعود جماعة الميدوب الى أصل نوبى حيث أنهم يتكلمون لغة تشبه لغة النوبيين ، مما يرجح أن هجرتهم اتت من بلاد النوبة الى منطقة جبل ميدوب(٥٣) . وتقع

---

(٤٩) التونسى : نفس المصدر ، ص ١٣٦ - ١٣٧ ، ١٤٧ ،
Mac Michael : op cit, p 17

(٥٠) نعوم شقير : نفس المرجع ، جـ ١ ص ٤٩

(٥١) التونسى : نفس المصدر ، ص ١٣٦ - ١٣٧

(٥٢) المصدر السابق ، هامش ١ ص ١٠٠ ، نعوم شقير : نفس المرجع ، جـ ١ ص ٤٩

(٥٣) التونسى : نفس المصدر ، هامش ١ ص ١٣٧ ،
Mandour : op cit , p 33

بلادهم فى طـريق درب الأربعين ، وهم يعيشـون على تربيـة الابل والخيل والضأن(٤٥) ٠

أما القمر فهم يعيشون فى غربى دارفور ، وتعرف بلادهم بدار قمر ، وتقع شـمال بلاد المساليط وشرق دار تاماه ، ومركزهم أبو عشر على مسـيرة ثلاثة أيام الى الشـمال من كلكل ، وملوكهم مصاهرون لملوك الفور(٥٥) ، وبلادهم فقيرة فى مواردها الطبيعية ٠ وتعيش جماعاتهم على زراعة الدخن ورعى الأغنام والماشية ٠ ويدعى القمر الانتساب الى أصل عربى ، ويتكلم معظمهم اللغة العربية(٥٦) ٠

والمساليط مجاورون للقمر من جهة الجنوب ، وهم أصلا من الزنوج ثم اختلطوا بالعرب بعد هجرتهم اليهم ، ويتكلمون لغـة تختلف عن لغات سـكان دارفور ، وتبلغ مسـاحة بلادهم ما بين ٧٠٠٠ الى ٧٥٠٠ ميل مربع ، وتحدها واداى من ناحية الغرب ، ودار صليح من ناحية الجنوب ، ودار قمر ودار تاما من ناحية الشمال ، والفور من ناحية الشرق ، وبلاد المسـاليط بلاد فقيرة ، وتحتل الأغنام والماشية الثروة الرئيسية لدى هؤلاء القوم(٥٧) ٠

أما قبائل الجنوب ، فمنها الفرتيت ، وان كان التونسى لا يعدها ضمن دارفور ، اذ يعتبر أن آخر حدود دارفور الجنوبية تنتهى الى الخلاء الكائن بينها وبين دار فرتيت(٥٨) ، بينما أطلق العرب فى زمن التونسى على القبـائل الزنجية والوثنيـة التى تسـكن فى أقصى جنوب دارفـور وشـمال بحر الغزال وفى اقليم واداى اسـم فرتيت ويقول آركل وماكمايكل أن الفرتيت كانوا سـكان جبل مرة الى الجنوب ، حيث انقسـموا هناك

---

(٥٤) نعوم شقير : نفس المرجع ، ج ١ ص ٤٩

(٥٥) المرجع السابق ، ج ١ ص ٤٨

(٥٦) التونسى : نفس المصدر ، هامش ٢ ص ١٣٦

(٥٧) المصدر السابق ، هامش ٤ ص ١٣٦

(٥٨) المصدر السابق ، ص ١٣٦

الى قبائل شتى ، منها رونجة ، وبندا ، وشث ، وبنجا ، وفراوجيه(٥٩) ،

وبخلاف الفرتيت فهناك من قبائل جنوبى دارفور أيضا البرقد ، وهى قبيلة تسكن شمال وشرق قبيلة الداجو ، ومركزها جبل مسكو الواقع بين جبل مرة فى الغرب وبين جبل حريز ومنطقة الرزيقات فى الشرق . وتسكن شعبة من هذه القبيلة على مسيرة يوم شمال شرقى مدينة الفاشر الحالية ، وشعبة اخرى فى وادای ، ويقول بارت أنهم من أصل زنجى(٦٠) .

وكذلك البيقو ، فهم أيضا من سكان جنوبى دار فور . ويقال ان موطنهم الأصلى يقع فى منطقة بحر الغزال ، وانهم هاجروا من هذه المنطقة الى دارفور منذ زمن بعيد ، حيث منحهم سلطان دارفور أرضا ينزلون فيها ، وكانت أم السلطان محمد فضل (١٨٠٢ - ١٨٣٩ م) منهم ، ولذلك فقد أعطاهم حريتهم وفرض عقوبة الاعدام على من يتجر فى ابنائهم(٦١) .

وهناك أيضا من القبائل التى تعيش فى دارفور ، قبائل البرقو ، والميمة ، والمراريت ، والعورة ، وكبقة ، وكاجة البدو ، وروتق ، وتامة ، وسميار ، والبديات .

أما البرقو فهم أصلا من سكان وادای وبرنو ، وانتقلت جماعات منهم الى دارفور حيث عرفوا مع غيرهم من الجماعات القليلة الوافدة من وادای باسم المراريت ، ويسكن معظمهم شرق ووسط دارفور(٦٢) .

---

(٥٩) المصدر السابق ، هامش ٤ ص ١٣٦ ،

Arkell : op ,cit, (S.N.R.) IV, p. 273.

(٦٠) التونسى : نفس المصدر ، هامش ٢ ص ٧٦ ، نعوم شقير : نفس المرجع ، ج ١ ص ٤٨

(٦١) التونسى : نفس المصدر ، هامش ١ ص ١٠٢

(٦٢) المصدر السابق ، هامش ٢ ص ١٣٧

وتقع ديار الميمة فى شرقى دارفور ومركزهم فافا(٦٣) • وتعود اصولهم اما الى البربر حيث اشار ابن بطوطة فى منتصف القرن الرابع عشر للميلاد الى بلدة ميمة التى تقع على نهر النيجر ولا تبعد كثيرا عن غربى مدينة تمبكت فى بلاد مالى ، ولاحظ أن معظم سكان مدينة تمبكت من قبائل مسوفة ، وهى احدى قبائل البربر الملثمين(٦٤) ، وفى الغالب فان سكان ميمة كانوا من هؤلاء البربر ، ومن المحتمل أن بعضا منهم هاجروا شرقا واستقروا فى شرقى دارفور •

ويقول الرحالة ناختيجال أن الميمة قبيلة كبيرة فى واداى ، وانتشر معظمها جنوبا حيث اختلطوا بسكان جنوب واداى ، ففقدوا صفاتهم الجنسية نتيجة لهذا الاختلاط ، واحتفظت البقية الباقية منهم بلغتهم الخاصة التى تقرب من لغة الزغاوة والقرعان ، وكان يحكمهم ملك من أنفسهم(٦٥) •

أما تامه فتقع ديارها غرب دار قمر على حدود واداى • وكانت دار تامة دائما همزة الوصل بين دارفور وواداى ، وكثيرا ما اخضعت الدولتان دار تامة لسلطانهما فى أزمنة مختلفة • ولهذه الجماعة لغتها الخاصة بها(٦٦) كغيرها من بقية قبائل المنطقة •

والبدايات تقع بلادهم شمال دارفور غرب بئر النطرون ، وهم أهل بادية ولا زالوا على الفتشية ويعبدون الشجر ، مع أنهم محاطون بالمسلمين من كل جهة (٦٧) •

---

(٦٣) نعوم شقير : نفس المرجع ، جـ ١ ص ٤٨

(٦٤) ابن بطوطة : رحلته ، دار احياء العلوم ، بيروت ، الطبعة الأولى سنة ١٩٨٧ م ، جـ ٢ ص ٧٠٤

(٦٥) التونسى : نفس المصدر ، هامش ٤ ص ١٣٧ — ١٣٨

(٦٦) المصدر السابق ، هامش ٣ ص ١٣٦

(٦٧) نعوم شقير : نفس المرجع ، جـ ١ ص ٤٩

وسميار تقع بلادهم فى غرب دارفور بجوار المساليط . وقد قيل ان لغات القمر والمساليط وسميار تقرب جدا من بعضها حتى كانها لغة واحدة لها ثلاث لهجات(٦٨) .

اما المراريت فمركزهم منطقة جلى بين كبكبية وكلكل ، وقبيلة العورة مجاورة لهم ، وتقع بلاد كبقة الى الشمال الغربى من جبل مرة ، وتقع « كاجة البدو » الى الشمال الشرقى من أم شفقة ، وقد سموا بذلك تمييزا لهم عن كاجة كتول فى أرض كردفان ، وقد اشتهروا جميعا بصيد الزراف وصناعة الدرق . أما رونق فان بلادهم تقع الى الجنوب الغربى من بلاد الداجو(٦٩) .

هذه هى اشهر القبائل التى سكنت دارفور ولازالت تعيش فيها حتى الآن . وفى الحقيقة فاننا لا نجد ذكرا لهذه القبائل فى المصادر التاريخية العربية القديمة ، لسبب بسيط ، وهو أن هذه المصادر لم تتحدث عن دارفور ، وكان حديثها مركزا على البلدان التى تقع على نهر النيل وفروعه ، وخاصة بلاد النوبة وما فيها من ممالك مسيحيه ثم اسلامية .

وكنا نامل ان نجد عند الحسن الوزان الذى زار عددا من ممالك بلاد السودان الغربى والأوسط ، كما زار بلاد النوبة فى الفترة التى تقع بين عامى ١٥٠٨ و ١٥٢٠ م ، حديثا عن سلطنة دارفور ، لأن هذه السلطنة كانت قائمة وموجودة فى تلك الفترة ، ولكنه لم يفعل لأنه لم يكتب الا عن البلاد التى زارها فقط ، وقال فى ذلك :

« لن اتعرض الا للبلاد التى ذهبت اليها وترددت عليها كثيرا او التى كان التجار ياتون منها الى البلدان التى زرتها ، فيبيعون بضائعهم ويزودوننى بمعلومات عنها . ولا اكتم انى زرت خمس عشرة

---

(٦٨) المرجع السابق ، جـ ١ ص ٤٩

(٦٩) المرجع السابق ، جـ ١ ص ٤٨ - ٤٩

مملكة من أرض السودان ، وفاتتنى ثلاثة أضعافها لم أزرها ، وكل منها معروف ومجاور للممالك التى كنت فيها »(٧٠) ٠

ولذلك فقد كان اعتمادنا كثيرا على المصادر والمراجع الحديثة مثل التونسى وغيره من الكتاب الأجانب الذين زاروا دارفور بدءا من منتصف القرن الثامن عشر وأعطونا وصفا لها ولقبائلها ولنظام الحياة فيها ٠ وبطبيعة الحال فان القبائل سواء جاء ذكرها عند الكتاب القدامى او المحدثين او المعاصرين فان اسماءها لا تتغير ، ونظام حياتها لا يختلف كثيرا عنه فى الزمن القديم الا بمقدار ما اثر فيه الدين الاسلامى ٠ وكذلك اماكن استقرارها فانها فى الغالب هى نفس الأماكن التى كانت عليها قبل هجرة العرب الى دارفور وظهور الاسلام فى هذا الاقليم ٠

ونفس الشىء يمكن أن يقال عن تاريخ دارفور القديم ٠ فليس لدينا شىء مكتوب عنه ، ومن ثم فان المعلومات القليلة التى وصلت الينا خاصة بتاريخها تعتمد أساسا على الروايات الشفوية التى حفظها اهل البلاد جيلا بعد جيل ، وهى روايات يكتنفها التناقض أحيانا والغموض احيانا اخرى ٠

ولذلك يتعين على الباحث فى تاريخ دارفور الرجوع الى ما سجله الرحالة الذين زاروها فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر(٧١) ، وخاصة ما كتبه محمد بن عمر التونسى الذى وصل اليها من أسيوط عن طريق درب الأربعين فى عام ١٨٠٣ م ، واستقر فيها حوالى سبع سنوات ، الم فيها بأحوالها الاجتماعية والاقتصادية ونظمها السياسية

---

(٧٠) الحسن الوزان : وصف افريقيا ، ترجمة محمد حجى ومحمد الأخضر ، دار الغرب الاسلامى ، بيروت ، الطبعة الثانية سنة ١٩٨٣ م ، جـ ١ ص ٣٣

(٧١) مصطفى مسعد : سلطنة دارفور ، ص ٢١٩

والادارية والحربية وعلاقاتها بجيرانها الماما واسعا واودع ذلك كله فى كتابه القيم « تشحيذ الأذهان بسيرة بلاد العرب والسودان »(٧٢) ٠

وكذلك الرحالة الألمانى ناختيجال الذى وصل الى دارفور فى عام ١٨٧٤ م من طرابلس الغرب عن طريق بحيرة تشاد وباجرمى وودای ٠ وقضى ستة شهور فى الفاشر عاصمة دارفور وقتذاك وجمع اثناءها كل ما استطاع جمعه من روايات شفوية ومكتوبة عن تاريخ دارفور الوسيط ، ومع ذلك لم تتح له الفرصة الكاملة لدراسة هذا الاقليم دارسة كافية ، لارتياب السلطات الحاكمة فى نواياه وفى مهمته ، فلم تسمح له بالتجول فى أنحاء البلاد كما فعل التونسى من قبل ومع ذلك فان الجزء الذى كتبه عن دارفور يعتبر مصدرا أصيلا بالنسبة لتاريخ هذا الاقليم(٧٣) ، ولم نطلع على ما كتبه ناختيجال مباشرة لأنه باللغة الألمانية ، وانما استفدنا منه عن طريق ما كتبه الكتاب الآخرون باللغة الانجليزية مثل آركل وماكمايكل وغيرهما ٠

ومن خلال هذه المراجع وغيرها مما ذكرناه فى ثبت المصادر والمراجع فى نهاية الكتاب ، يمكن أن نقول فى معرض الحديث عن تاريخ دارفور القديم ، أن هذا التاريخ يعتبر تاريخا مجهولا فى غالب جوانبه ، ولا يمكن معرفة شىء عنه على وجه التحقيق ، وربما تكشف الأيام والحفريات فى المستقبل عما غمض من تاريخ ذلك العصر فى هذا الاقليم (٧٤) ٠

وفى هذا الصدد يمكن أن يقال أن ثمة علاقة نشأت بين اقليمى دارفور وكردفان من ناحية وبين مملكة كوش فى بلاد النوبة من ناحية اخرى ، حيث كانت الأجزاء الشمالية الغربية من كردفان جزءاً من

---

(٧٢) المرجع السابق ، ص ٢١٩

(٧٣) المرجع السابق ، ص ٢٢١

(٧٤) المرجع السابق ، ص ٢٢٣

مملكة كوش خلال العصر المروى ، وربما كان هـذا هو السر فى أن الجماعات التى تتحدث اللغـة النوبية فى كردفان ودارفور ، تحاول دائما أن تستعيد ماضيها وعلاقتها بدولة كوش بتمسكها بأصلها القديم ، باعتبارها « اهل كوش » أو « ناس كوش » أو « كاش » التى تقابل « كاج » ، ومن هؤلاء جماعات « كاجدى » Kajiddi فى الطرف الجنوبى من جبل « كاجا » فى شـمال كردفان(٧٥) .

ويقول هؤلاء الكاجدى أنهم اتوا من ناحية الشرق بقيادة ملكـة ، وأن هـذه الملكة مدفونة فى قبر قريب من جبل كابوجيـا kaboija فى الطرف الجنوبى الشرقى من جبـل ميدوب . وليس من المستبعد ان تكون الأسرة المـالكة فى مروى عاصمة كوش ، أو فروع منها لجات الى الأقاليم الغربية من دولتهم المنهارة ، عقب سـقوط عاصمتهم مروى فى منتصف القرن الرابع الميـلادى على يد عيزانا ملك اكسـوم ، وان الجماعات التى تتحدث اللغـة النوبية فى كردفان ودارفور ترجع هجراتها الى هـذا العهد البعيد(٧٦) .

ويدل على هذه الهجرة أيضا دلائل أخرى بجانب هذه الجماعات المهاجرة تسمى نفسـها « اهل كوش » . فهناك عمليات التنقيب والحفر التى تدل نتائجها بوضوح على توغل مروى بعـد هزيمتها من أكسوم فى اتجاه الغرب نحو كردفان ودارفور ، فشكل الفخار الذى عثر عليه فى هـذه الحفريات وتصميمه ، وكذلك الملامح المصرية فى حجرات الدفن ، ووجود هرم من الطوب الأحمر مماثل للمقابر الاخيرة لملوك مروى ، واحتواء دارفور على قصر يمكن أن ينتمى الى الطراز المعمارى الذى

---

(٧٥) المرجع السابق ، ص ٢٢٣ ،

Robert july : A history of the African people , London, 1970, p. 38.

(٧٦) مصطفى مسعد : نفس المرجع ، ص ٢٢٣ ،

Arkell : A history of the Sodan to A. D. 1821, London, 1953 , p. 201.

كان سائدا فى عمارة مروى فى عصورها الأخيرة ، كل ذلك يدل على وجود صلة بين كوش وبين دارفور وكردفان فى العصور القديمة(٧٧) .

غير ان هذه العلاقة التى يمكن أن تكون قد نشأت بين دارفور وبين دولة كوش لا تدل على ان دارفور خضعت للدولة الأخيرة او للممالك التى قامت على انقاضها وهى ممالك مقره وعلوة ، اذ لا توجد شواهد اثرية واضحة تدل على ان دارفور كانت ضمن مملكة كوش (مروى) او كانت جزءا منها ، او كان لبلاد النوبة تأثير سياسى او ثقافى مسيحى على دارفور(٧٨) .

ويبدو ان العلاقات بينهما كانت علاقة تجارية . ولم تكن هذه العلاقة التجارية فى التاريخ القديم مع دارفور قاصرة على الكوشيين والنوبيين فقط ، بل انه من المحتمل ان تجارا مصريين قد زاروا هذا الاقليم منذ ايام حركوف ، واتصلت زياراتهم واتصالهم به حتى العصور الوسطى ، ويمكن ان يكون واحد منهم او اكثر قد اقام نفسه كحاكم محلى ، وهناك اتصل بسلاطينها القدماء التقليديين وهم الداجو الذى لا يزالون فى دار سلا Silla ، وهذا امر وضحته لنا الكتابة الهيروغليفية المصرية(٧٩) .

وتذكر روايات اهل البلاد ان الداجو هم اول من اسس دولة فى اقليم دارفور ، ثم تلاهم التنجور ، ثم اسرة كيرا من الفرر ، ومن هذا الاسم الأخير جاء اسم دارفور(٨٠) كما سبق القول .

اما الداجو فقد بدا بهم تاريخ العصور الوسطى فى دارفور حوالى

(77) Robert july : op . cit p. 38.

(78) Arkell : A history of the Sudan, pp. 173 — 199.

(79) Ibid : pp. 175 - 175.

(٨٠) مصطفى مسعد : سلطنة دارفور ، ص ٢٢٣

القرن الثانى عشر للميلاد ، حيث اقاموا سلطنة لهم فى هذه البلاد (٨١) ٠ واصل الداجو غير معروف تماما ، ويذكر الرحالة بارت انهم كانوا فى زمنه (١٨٤٩ — ١٨٥٥ م) يطلقون على انفسهم « ناس فرعون » ، ويرى انهم جاءوا من اقليم فازوغلى جنوبى سنار (٨٢) ، على حين يرى آركل اعتمادا على ما ذكره براون — انهم من البربر الذين جاءوا من الشمال واقاموا دولة لهم فى دارفور (٨٣) ٠

وقد تعرضت هذه الدولة للغزو على يد حملة من النوبة حوالى عام ١١٥٠ م ، وقد تمكنت هذه الحملة من تخريب مدينة سميا **Simia** احدى عواصم الداجو ، ومن المحتمل أن دولة الداجو فى دارفور قد انقسمت الى امارات عديدة منذ عام ١٢٠٠ م سيطر عليها امراء من الداجو (٨٤) ٠

ويفسر آركل هذا الرأى بقوله انه من المحتمل ان هؤلاء الأمراء او الرؤساء كانوا ينتمون فى الأصل الى جنس بنى ، ومن الممكن انهم ينحدرون من البربر المعروفين حتى اليوم باسم الطوارق **Tuareg** مع أنهم كانوا دون شك فى ذلك الوقت قد اختلطت دماؤهم بالدماء الزنجية التى اصبحت تجرى فى عروقهم ، نتيجة لاختلاطهم برعاياهم من الزنوج ٠ وعلى اية حال فانهم كانوا يتكلمون اصلا احدى اللهجات البربرية وكانوا يستعملون العلامات البربرية فى وشم حيواناتهم منذ وقت مبكر ٠ ويبدو ان ثقافتهم وديانتهم كانت تقليدا مباشرا لما كان موجودا فى مروى (٨٥) ٠

---

(٨١) التونسى : نفس المصدر ، مقدمة الكتاب ، ص ٦

(٨٢) مصطفى سعد : سلطنة دارفور ، ص ٢٢٣

(٨٣) المرجع السابق ، ص ٢٢٣ — ٢٢٤

(84) Arkell : the history of Darfur, S N R., IV, p. 274.

(85) Ibid : p. 269.

ومن المحتمل ان معظم زعامات الداجو ظهرت تاريخيا فى الفترة التى ازدهرت فيها مملكتا نباتا ومروى نتيجة السيطرة على طرق التجارة التى كانت تجلب عبرها منتجات السودان الى مصر . وعلى اية حال فان اصول الداجو يمكن أن تكون هى نفس الأصول التى تنتمى اليها مملكة كانم المبكرة وتنتمى اليها ايضا مملكة جوكون Jukun التى تأسست فى الجنوب الغربى لبحيرة تشاد(٨٦) ، اى من البربر المنحدرين الى هذه البلاد من الصحراء الكبرى .

ويذكر الشاطر بصيلى عبد الجليل بأن الداجو اتوا الى دارفور من الشمال ، ويحتمل أنهم خرجوا من مواطنهم فى منطقة الواحات المصرية(٨٧) ويرى أنه يمكن أن نربط بين هؤلاء الداجو وبين التاجو او التجوين الذين ذكرهم ابن سعيد(٨٨) ، والادريسى(٨٩) ، على اعتبار انها صيغة الجمع لكلمة تاجو ، فصارت تاجوين(٩٠) .

كما يمكن الربط بين الداجو أو التاجو وبين الزغاوة الذين كانت لهم مملكة واسعة تقع بين النوبة وكانم(٩١) . اذ يفهم من ابن سعيد أن الداجو كانوا فرعا من الزغاوة ، وأنهم جنس واحد ، وأنهم انحدروا من النيل الى مواطنهم فى الصحراء الواقعة بين النوبة والكانم هربا من البعوض الذى يؤذى الناس والخيل ، وانه كانت لهم مدينتان كبيرتان

(86) Ibid : p. 269.

(٨٧) تاريخ حضارات السودان الشرقى والأوسط ، ص ٣٧٤

(٨٨) بسط الأرض فى الطول والعرض ، تطوان ، المغرب ، سنة ١٩٥٨ ، ص ٣٠

(٨٩) نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق ، عالم الكتب ، بيروت ، الطبعة الأولى ، سنة ١٩٨٩ ، جـ ١ ، ص ٣٠

(٩٠) الشاطر بصيلى عبد الجليل : تاريخ وحضارات السودان الشرقى والأوسط ، ص ٣٧٤

(٩١) المرجع السابق ، ص ٣٧٤

يمكن ان تكونا عاصمتين ، احداهما مدينة تاجوه التى يمكن أن تكون مشتقة أو نسبة الى التاجو ، والتى قال عنها ابن سعيد انها سلطنة ، وانها قاعدة الزغاويين ، وحدد موقعها بانها تقع على مسافة مائة ميل غربى نهر النيل ، وتقع على خط طولى ٥٥ درجة وخط عرض ١٤ درجة ، والمدينة الثانية هى مدينة زغاوة التى تقع جنوب المدينة السابقة وتقع على خط طول ٥٤ درجة ، وخط عرض ١١ درجة و ٣٠ دقيقة(٩٢) .

ويبدو أن خطوط الطول التى ذكرها ابن سعيد غير دقيقة ، وذلك بالنظر الى الخرائط الحديثة التى تجعل من خط الطول ٥٥ الذى تقع عليه مدينة تاجوه هو خط طول ٢٥ ، وخط طول ٥٤ الذى تقع عليه مدينة زغاوة والتى سماها الادريسى مدينة سمنة(٩٣) هو تقريبا خط طول ٢٤ . وربما كانت سمنة هى نفسها مدينة سوينة التى جاءت فى خريطة التونسى(٩٤) والتى تقع فى شمال مدينة الفاشر الحالية . وربما كانت سمنة أو سوينة تقع فى تلال سيميات على بعد عشرين ميلا شرقى مدينة الفاشر حيث تعيش جماعة تعرف بهذا الاسم ، ثم انتقلت جماعات سيميات الى حدود وأداى ، وهناك عرفوا باسم سيميار ويزعم هؤلاء الانتساب الى الداجو القدماء(٩٥) .

ومما يدل على صحة ما نذهب اليه ان ابن سعيد نفسه حدد « مجالات التاجويين والزغاويين » فقال انها « تمتد فى المسافة التى تقع بين قوس نهر النيل من الجنوب الى الشمال »(٩٦) . وهذه المنطقة تقع تقريبا شرق خط ٣٠ درجة ، وتمتد غربا الى المنطقة التى تقع

---

(٩٢) ابن سعيد : نفس المصدر ، ص ٢٨ ، ٣٩

(٩٣) نزهة المشتاق ، ج ١ ،ص ٣٠

(٩٤) التونسى ، نفس المصدر ، ص ١٤٧ ، وانظر خريطة رقم ١

(٩٥) مصطفى سعد : سلطنة دارفور ، ص ٢٢٤

(٩٦) بسط الأرض فى الطول والعرض ، ص ٣٠

شمال دارفور . ولا زال الداجو والزغاوة لهم وجود فى درافور حسبما ذكرنا من قبل عند حديثنا عن السكان فى هذا الاقليم ، مما يدل على امتداد سلطان هذه القبائل الى دارفور ، وتوطنهم فيها فى الأماكن التى مازالوا يسكنونها حتى الآن والتى اشار اليها التونسى حينما زار هذا الاقليم(٩٧) .

ويرجح بعض المؤرخين أن الداجو سلالة سودانية قديمة وانهم ليسوا من البربر أو من الزغاوة ، غير انهم مدينون فى قيام دولتهم هذه الى مهاجرين أرقى منهم حضارة ، وانشأ هؤلاء المهاجرون طبقة حاكمة خضع لها الداجو . وليس من المعروف تماما مصدر هذه الطبقة الحاكمة ، ويغلب على الظن انها جاءت من الشرق ، أى من وادى النيل ، والدليل على ذلك هو توزيع جماعات الداجو ، اذ ان امتدادهم من الشرق الى الغرب يساعد على هذا الاستنتاج . ذلك انه كان للداجو مواطن موزعة بين كردفان ودار صليح (واداى) وفى اقليم بحيرة تشاد(٩٨) ، كما أن عادات السلاطين تتشابه فى هذه البلاد(٩٩) .

وربما يعود توزيع الداجو وتشتتهم على هذا النحو الى ضعف دولتهم وتعرضها لغزوات أتت من ناحية النوبة ، وغزوات أخرى اتت من ناحية الكانم ، ولهجرات اتت من الشمال والشرق ، وهى هجرات عربية . اما غزوة دولة النوبة فقد اشرنا اليها وقلنا انها تسببت فى تخريب عاصمة الداجو المعروفة باسم سيميا Simia والتى يمكن أن تكون هى سمنة التى أشار اليها الادريسى(١٠٠) كما سبق القول ، وذلك حوالى منتصف القرن الثانى عشر للميلاد .

---

(٩٧) تشحيذ الأذهان ، ص ١٣٦ ، ١٣٨

(٩٨) مصطفى مسعد : سلطنة دارفور ، ص ٢٢٤ ،

Arkell : The history of Dorfur (S. N. R.) **11, pp. 228, 234, 1V, p. 244** .

(99) Arkell : The history of Dafur (S.N.R.) II, pp. 228,234

(١٠٠) نزهة المشتاق ، ج ١ ص ٣٠

. ومعنى ذلك ان دولة الداجو كان لهـا وجود قبل ذلك التاريخ ، وربما امتد هـذا الوجود الى القرن السـابع او الثامن للميلاد ، حيث تشير بعض المراجع الى انه حدثت هجرات لقبائل اتت الى دارفور من الشـمال عن طريق نهر النيل من ناحية ، وعن طريق الصحراء من ناحية أخرى حوالى القرن السـابع للميلاد ، واستطاعت هـذه القبائل أن تطرد جماعات السـود الى الجبال وأن تقيم فى هـذه المنطقة ممالك خاصـة بها(١٠١) .

والغالب أن الداجو كانوا ضمن هـذه القبائل التى هاجرت الى دارفور فى تلك الفترة ، ثم تمكنت من التغلب على غيرها من القبائل واقامت دولة استمرت حتى تعرضت الى الغزوة النوبية التى اشرنا اليها ، وادت الى ضعف دولة الداجو وانقسامها الى دويلات حوالى عام ٥٩٨ هـ ١٢٠٠ م ، ثم تعرضت هـذه الدولة مرة ثانية لتهديد جديد من دولة الكانم حوالى ٦٣٨ هـ / ١٢٤٠ م وذلك بسبب النزاع بخصوص السيطرة على طرق التجارة التى تمر عبر الصحراء وتمتد من شـمال دارفور وتتجه الى مصر عن طريق سليما Selima وجزيرة ساى Sai على نهر النيل ، أو عن طريق بئر النطرون عبر الصحراء شـمالا الى الواحات المصرية الى اسـيوط فيما يعرف بدرب الأربعين(١٠٢) . وقد استطاع المـاى دوناما دباليمى سلطان الكانم (٦١٨ - ٦٥٧ هـ / ١٢٢١ - ١٢٥٩ م) أن يؤمن السـيطرة على هـذا الطريق وينشىء محطات فى مرتفعات تجابو Tagabo وفى وادى الكعب ، ولا يمكنه أن يفعل ذلك الا اذا كان له سـلطان على شـمالى دارفور(١٠٣) .

وهناك دلائل تدل فعلا على سـيطرة الكانم على شـمالى دارفور حيث كان يقيم الزغاوة والداجو ، اذ يشـير ابن سـعيد فى القرن السابع

---

(١٠١) التونسى : نفس المصدر ، مقدمة الكتاب ، ص ٦

للهجرة / الثالث عشر للميلاد الى أن الزغاويين كان معظمهم مسلمين وكانوا تحت طاعة الكانمي »(١٠٤) ، وان « اهل تاجوه قاعدة الزغاويين اسلموا ودخلوا في طاعة الكانمي »(١٠٥) ٠

وهناك من يقول بأن زغاوة دارفور من أصل ليبي(١٠٦) ، وانهم كانوا يعيشون من قبل في بلاد الكانم في الشمال الشرقي لبحيرة تشاد ، وانهم فرع من بربر صنهاجة الملثمين لأن اسمهم ما هو الا صيغة معربة من كلمة بربرية تعني « الناس الحمر » تمييزا لهم عن السود الذين كانوا يسكنون الكانم والبرنو ، ولذلك فان كلمة زغاوة في لغة الطوارق من البربر تعني « ناس برنو » ٠ ويبدو ان اسم الزغاوة أصبح اسما محليا في كانم وان هذا الاسم الذي كان موجودا في كانم في القرن التاسع للميلاد انتقل الى منطقة شمالي دارفور ، وظل بها وانتهى في بلاد الكانم في فترة عظمتها في القرن الثالث عشر للميلاد حيث لم تعد تعرف بهذا الاسم أو تعرفه ، بينما ظل في دارفور ، حيث مازال الزغاوة الموجودون بها يدعون أن أصلهم من الكانم والبرنو ، كما أن تقاليدهم

(102) Arkell : A history of the Sudan, p. 200 & The history of Dorfur (S.N.R) IV, pp . 270, 271, 274.

(103) Ibid : 274.

(١٠٤) بسط الأرض في الطول والعرض ، ص ٢٩

(١٠٥) المصدر السابق ، ص ٣٠ ٠ وقد اشار ابن سعيد في موضع آخر الى جماعة أخرى من الداجو وقال عنهم انهم عصاة خارجون على طاعة الكانمي ، وقال أنهم كفرة عصاة يألفون الصحاري والجبال (انظر : بسط الأرض ، ص ٣٠) ، مما يدل على ان هذه الجماعة من الداجو ليسوا هم الداجو الذين كانوا يعيشون في شمال دارفور واسلموا ودخلوا في طاعة ملك الكانم ، اما الأولون فكانوا يعيشون بعيدا وشمالا في الصحراء الكبرى ولا سلطان لملك الكانم عليهم لبعد بلادهم وتوغلها في الصحراء ٠

(106) Mandour , op. cit, 133.

هى نفس تقاليد زغاوة هذين البلدين(١٠٧) . وهــذا الرأى فى مجمله يدل على صــلة الكانم بزغاوة دارفور ، كما يدل أيضا على ســيطرتها على شمالى هــذا الاقليم اثناء فترة قوتها واتساعها .

وهناك أيضا آثار كثيرة تدل على تاثيرات ثقافية للكانم على ثقافة دارفور فى تلك الفترة ، مما يؤيد القول بســيطرة الكانم على شــمال دارفور فى القرن الثالث عشر للميلاد . فبالاضافة الى ما اشــار اليه ابن ســعيد من ان الزغاوة اصبحوا مســلمين واصبحوا تحت حكم الكانم ، هناك أيضا بعض التنظيمات الادارية فى دارفور كانت على مثال تنظيم دولة الكانم والبرنو ، وهناك التماثل بين مساجد وقصور عين فرح فى دارفور وتلك التى فى جامبارو ونجزر جامز فى بلاد الكانم والبرنو(١٠٨) .

ويبدو أن قبضة الكانم على شمالى دارفور قد تهاوت حوالى منتصف القرن الرابع عشر للميلاد ان لم يكن قبل هــذا التاريخ ، بسبب النزاع على الســلطة فى بلاد الكانم نفسها ، وبسبب دخول عنصر جديد فى دارفور فى ذلك الوقت . وكان هــذا العنصر هو عنصر العرب الذين بدأت جموعهم البدوية تنصب فى الســودان من مصر عن طريق وادى النيل حوالى عام ٦٩٩ هـ / ١٣٠٠ م . ومن المحتمل ان هؤلاء البدو من العرب مروا عبر مراعى كردفان والاقليم المفتوح فى شــمالى دارفور المعروف باســم دار زغاوة الذى يقع فى شــمال المرتفعات على الحافة الشــمالية التى تقع فيها مدينة اورى Uri . وهكذا أجتاح العرب دار الزغاوة وحطموا مملكة الداجو الذين كانوا هم السلطة الحاكمة فى دار الزغاوة ، تلك الدار التى كانت تعرف باســم زغاوة ميرا ، وفر أمام العرب بعض حكام الداجو الى المناطق الغربية ، حيث استقروا فى دار سلا التى تقع على الحواف الجنوبية لواداى ، واستقر بعض هؤلاء العرب فى دارفور ، بينما واصل بعضهم الآخر زحفهم غربا حتى وصلوا

---

(107) Ark.ell : The history of Dorfur (S.N.R) II, pp. 223 - 244, IV, pp. 269 ? 270.

(108) Ibid : S. N. R. IV, p. 267.

بلاد الكانم فى شمال شرق تشاد ، وأثاروا هناك اضطرابات شديدة اشتكى منها سلاطين الكانم لسلاطين مصر(١٠٩) .

وعلى اية حال فقد كان للداجو وشعبهم من الزغاوة مملكة واسعة فى اقليم دارفور وخاصة فى الجزء الشمالى منه ، وتشير المبانى الحجرية التى كان يستعملها الداجو والتى وصلت الى مرحلة عالية من التطور تحت حكم التنجور الذين خلفوهم فى حكم هذا الاقليم ، الى الرقى والتقدم التدريجى لهذا العنصر من الحضارة الذى ادخله الداجو الى البلاد منذ العصور الأولى ، كما يتبين ايضا من حقول الزراعة وسلسلة الآبار المبنية بالحجارة وايضا من التشابه الواضح بين مخلفات داجو واره Doju wara فى مسميات Simiat ، وتنجور واره الأوائل (١١٠) .

اما الديانة التى كان يعتنقها الداجو فان المدونة التى حصل عليها ناختيجال من امير الداجو الذى كان يحكم دار سلا ، ذكرت بوضوح ان ملوك الداجو الستة الأوائل الذين كانوا يحكمون فى جبل مرة كانوا وثنيين(١١١) .

ومن الطقوس الوثنية التى كانوا يتبعونها عند تنصيبهم فى واره wara ، ان الملك أو السلطان كان يقضى سبعة ايام على جبل ثريا ، حيث يضحى هناك بعدد كبير من الجمال والماشية والأغنام على شرف اجدادهم الأوائل . وكانت هذه التقاليد متبعة عند تنصيب السلطان

---

(١٠٩) القلقشندى : صبح الأعشى ، طبعة وزارة الثقافة والارشاد القومى بمصر ، بدون تاريخ ، ج ٨ ص ١١٧ ،

Arkell : Ahistory of the Sudan, p 200 & The history of Darfur (S.N.R.) IV, pp 271-274.

(110) Arkell : The history of Darfur fut (S.N.R.) II, p. 221, IV, p. 272.

(111) Ibid : S. N. R., II, p. 227 .

بالنسبة لزغاوة كوب فى شمال غربى دارفور ، وكان يؤتى بجمل عند تعيين هذا السلطان ويؤخذ الى مرتفع من الأرض ويذبح ويخوض السلطان بقدميه ويديه فى دمه ، ثم يرقد على سرير حيث يصب عليه الماء ثم يلبس ملابس جديدة ، وينعم بملابس جديدة للميرا ورجال تورى Turi (١١٢) .

كما كان من التقاليد الوثنية التى حافظ عليها حكام الداجو الأوائل والذين لم يكونوا قد اعتنقوا الاسلام بعد ، انهم كانوا يشعلون النار عند اختيار ملوكهم ، وكان يحافظ على هذه النار مشتعلة بعناية حتى وفاته . والرحالة الانجليزى براون Browne الذى زار دارفور وظل فيها نحو ثلاث سنوات من يولية ١٧٩٣ الى مارس ١٧٩٦ م ، هو أول من تحدث عن هذه الظاهرة (١١٣) .

ويبدو أن هذه الظاهرة وهى ظاهرة النار المقدسة ظلت موجودة منذ ذلك التاريخ وحتى القرن الماضى عند الوثنيين من أهل دارفور ، بل وعند بعض المسلمين الذين كانوا يحاولون الاحتفاظ بهذه العادة الغير اسلامية سرا حسبما ذكر ناختيجال الذى زار دارفور فى عام ١٨٧٤ م وقال ان رئيس الخصيان المسمى أبو شيخ كان يحتفظ فى منزله بنار مقدسة ، وانه كان لا يسمح بخروجها الا عند وفاة السلطان فقط ، وأن نارا مشابهة كانت تحفظ مستقلة فى قصر السلطان . ويعلق آركل على كلام ناختيجال بأنه كلام لا شك فيه ، وان هذه العادة الغير اسلامية كان يحتفظ بها سرا (١١٤) حتى انتهى حكم الداجو ، وظهر على مسرح الأحداث فى دارفور شعب التنجور الذى استولى على السلطة واقام لنفسه دولة فى هذه البلاد .

وقد تمكن التنجور من السيطرة على دارفور بعد ان تعرض حكامها

---

(112) Ibid : S.N.R, II, p. 230.

(113) Ibid : S.N.R, II, p. 235.

(114) Ibid : S. N. R, II, p. 235.

السابقون من الداجو الى ضربات شـديدة كما قلنا سـواء من الكانم أم من العـرب الذين نزحوا اليهـا منـذ القرن الثـانى عشر للميـلاد ٠ ولمـا كان التنجور من ذوى اصـول اختلف فيها حتى قال البعض انهم من عرب بنى هلال من شـمال افريقيا ، وقال آخرون أنهم من بقـايا العباسيين الذين هاجروا الى السـودان بعد زوال دولتهم ، وثالث قال بانهم من النوبيين الذين هاجروا من دنقلة الى دارفور ومدوا نفوذهم على واداى وأرغموا الكانم احيانا على دفع الجزية ، ورابع قال بأنهم من التبو البربر وانهم هاجروا من اقليم تبستى تحت ضغط بنى هـلال فى شـمال افريقيا(١١٥) ٠

نقول لمـا كانت إصـول التنجور على هـذا النحو مختلفة ودخل فيها عنصر عربى اسـلامى ، لذلك فضلنا أن نرجىء البحث فى تاريخهم بعد أن صـار هناك شـك فى انهم عنصر وثنى اقام دولة وثنية ، ليكون الحديث عنهم ضمن الحـديث عن الهجرات العربية ، وعن الدول التى قامت نتيجة لهجرة العرب الى هـذا الاقليم ٠

وكذلك الحال بالنسـبة لتاريخ الفور الذين حكموا دارفور بعـد التنجور ، واقاموا سلطنة دارفور الاسـلامية ، فقـد أرجأنا بحث تاريخهم لنفس الأسـباب ليكون الحديث عنهم حين تعرضـنا للكلام عن بداية تاريخ سـلطنة دارفور الاسـلامية التى أنشـأتها أسرة كيرا على يد سليمان سـولون ، أول سـلاطين هـذه الأسرة التى تنتمى الى شـعب الفور ٠

ومع ذلك فان ما سـقناه حتى الآن من حـديث عن دارفور يعطى صـورة واضحة عن جغرافيـة هـذا الاقليم ، وعن سكانه ، وعن معالم تاريخه القديم ، وما نشـأ فيه من كيانات سـياسية أهمها مملكة الداجو الذين حكموه حتى القرن الثالث عشر للميلاد ، حيث انهارت دولتهم نتيجة لتدخل دولة الكانم من ناحيـة ، ونتيجة لقدوم البدو من العرب المهاجرين الى هـذا الاقليم من ناحيـة أخرى ٠

---

(١١٥) مصطفى مسـعد : سلطنة دارفور ، ص ٢٢٥

الفصل الثاني

أسباب الهجرة العربية الى دارفور

تعود هجرات العرب الى دارفور الى زمن متقدم وليس كما يظن البعض الى القرن الخامس عشر أو السادس عشر للميلاد حينما قامت سلطنة دارفور الاسلامية كنتيجة مباشرة لاحدى هذه الهجرات حسبما قالوا . ذلك أن بعض العرب هاجروا الى هذا الاقليم وكما سنرى قبل القرن العاشر للميلاد ، وازدادت هذه الهجرة زيادة كبيرة بعد القرن الثانى عشر للميلاد ، وصارت سيلا جارفا فى القرن الرابع عشر للميلاد عقب سقوط مملكة مقرة النوبية المسيحية فى عام ٧٢٣هـ/١٣٢٣م.

وقد أتت هذه الهجرات الى هذا الاقليم لأسباب وعوامل متنوعة، ومن بلدان عديدة ، وعبر مسالك وطرق مختلفة .. ولابد من بيان وتفصيل لكل هذه الأمور حتى نعرف كيف ولماذا كانت هجرة العرب الى هذا الاقليم الهام من اقاليم السودان الشقيق .

(أ) العوامل التى ادت الى هجرة العرب الى دارفور :

العوامل التى أدت الى قدوم الهجرات العربية الى دارفور كثيرة ومتنوعة ، بعضها يتصل بالعوامل السياسية ، وبعضها الآخر يتصل بعوامل البيئة الطبيعية الخاصة بهذا الاقليم ، وثالثة تتصل بموقع الاقليم واثره فى قدوم هذه الهجرات ، ورابعة تتصل بالتجارة والنشاط التجارى الذى كان له أثره فى قدوم كثير من العرب الى دارفور .

١ ــ العوامل السياسية :

تعددت العوامل السياسية التى أدت الى هجرة العرب الى اقليم دارفور ، واول هذه العوامل ما يتصل بسوء العلاقة بين عرب مصر

وبين حكامها . وقد نشأ سوء العلاقة هذا كما هو معروف منذ أن امر الخليفة العباسى المعتصم بالله واليه على مصر باسقاط أسماء العرب من الديوان وقطع العطاء والرواتب والأرزاق عنهم منذ عام ٢١٨هـ / ٨٣٣م(١) ، فثار العرب فى مصر وانتهى الأمر بهزيمتهم وتخليهم عن نفوذهم وسلطانهم لعناصر اخرى غير عربية(٢) .

ويورد المقريزى فقرة طويلة تبين هذا الحال وتدل على النتائج التى ترتبت عليه فيقول :

« فانقرضت دولة العرب من مصر وصار جندها العجم والموالى من عهد المعتصم الى أن ولى الأمير أبو العباس أحمد بن طولون مصر واستكثر من العبيد ، وبلغت عدتهم زيادة على اربعة وعشرين ألف غلام تركى ، وأربعين الف أسود ، وسبعة آلاف حر مرتزق ... فلما كانت امارة محمد بن طغج الأخشيد على مصر بلغت عدة عساكره بمصر والشام أربعمائة ألف تشتمل على عدة طوائف . ثم أن الأستاذ أبا المسك كافور الاخشيدى استجد عدة من السودان فى أيام تحكمه بمصر ، فلما تغلب المعز لدين الله الفاطمى على مصر صارت عساكرها ما بين كتامة وزويلة ونحوها من طوائف البربر ، وفيهم من الروم والصقالبة ... ولما زالت دولة الفاطميين على يد صلاح الدين الأيوبى ازال جند مصر من العبيد السود والأمراء المصريين والعربان والأرمن وغيرهم واستجد عسكرا من الأكراد والأتراك خاصة ... أما المماليك فقد اقتصروا على الأتراك »(٣) .

وهكذا كانت سياسة الحكام منذ المعتصم باستخدام العناصر غير

---

(١) الكندى : تاريخ مصر وحضارتها ، بيروت ، سنة ١٩٨٧م ، ص ١٥١

(٢) المصدر السابق ، ص ١٥٢ ، ١٥٨ .

(٣) الخطط المقريزية ، جـ١ ، ص ١٦٨ ، ١٦٩

الدربية فى الجيش • ولم يقتصر الأمر على اختيار جند مصر من غير العرب ، بل ان حكامها انفسهم صاروا من غير العرب منذ أن عزل عنبسة ابن اسحاق الضبى فى عام ٢٤٢هـ/٨٥٦م ، وكان اختيارهم يتم من بين الأتراك الذين يكرهون العرب ويحقدون عليهم(٤) • وبهذا فقد العرب نفوذهم القديم وعانوا ضيقا اقتصاديا شديدا بسبب ما فرض عليهم من اتاوات وضرائب مختلفة ابتدعها ابن المدبر والى الخراج فى مصر فى الفترة من عام ٢٣٨ هـ / ٨٥٢ م الى عام ٢٥٣ هـ / ٨٦٧ م • واثارت هذه التدابير المالية الجديدة حفيظة العرب على الاتراك فقاموا بعدة ثورات فى انحاء مختلفة قمعها الأتراك بعنف وقسوة وزجوا بزعماء العرب فى السجون وفرضوا عليهم غرامات باهظة(٥) •

وكان لهذا الضغط السياسى والاقتصادى اسوأ الأثر فى نفوس العرب ، وبدأت جماعات كثيرة تسعى للرحيل والهجرة ، ولم يكن امامهم الا الانسياب جنوبا وغربا بعيدا عن ضغط الأتراك واستبدادهم بحكم مصر • وحانت الفرصة عندما اعلن احمد بن طولون الذى أسس الدولة الطولونية التركية فى مصر عام ٢٥٤هـ/٨٦٨م عن اعداد حملة حربية تتجه الى بلاد النوبة وارض البجة بقيادة أبى عبد الله ابن عبد الحميد العمرى لتأديب ملوك هذه البلاد لاعتدائهم على صعيد مصر ، فاشترك فيها كثير من العرب معظمهم من ربيعة وجهينة(٦) •

---

(٤) الكندى : نفس المصدر ، ص ١٥٨

Mac Michael, The Coming of the Arabs to the Sudan , pp, 49-50.

(٥) مصطفي مسعد : الاسلام والنوبة فى العصور الوسطى ، ص ١٢٤

(٦) الكندى : نفس المصدر ، ص ١٦٨ ، مصطفى مسعد ، الاسلام والنوبة ، ص ١٢٤

ويلاحظ أن اعتداء ملوك النوبة على صعيد مصر وواحاتها توالى بعد ذلك فى العصور التالية ، وذلك اذا ما اصبح هؤلاء الملوك على شىء =

وعلى ذلك فان العرب الذين اشتركوا فى هــذه الحملة لم تكن أهدافهم الوحيدة مجرد تأديب البجة أو النوبة ، بل كان هدفهم هو البحث عن مهاجر جديدة تتسـع لهم بعــد أن ضاقت بهم الحياة فى مصر(٧) ٠

وخلال عصــور التاريخ المختلفــة وحتى تم القضـاء على دولة المماليك فى مصر فى نهاية العصور الوسـطى ، اتبع كثير من العرب هذا الأسلوب وهو مصاحبة بعض الحملات العسكرية التى كانت تتجه الى بلاد السودان لتأديب النوبيين والبجة ، اذا ما رفضوا دفع البقط أو اذا ما هددوا حدود مصر الجنوبية واغاروا على سكانها ٠ والمثال على ذلك هو ما حـدث عندما ارسـل السلطان المنصور قلاون حملة على بلاد النوبة عام ٦٨٦هـ/١٢٨٧م فقد ضمت هذه الحملة كثيرا من عربان الديار المصرية من الوجهين القبلى والبحرى ٠ ويحدثنا المقريزى بأن بنى هلال على سـبيل المثال كانوا ضمن عربان الصـعيد الذين اشتركوا في هـذه الحملة

= من القوة والمنعة ٠ والأمثلة على ذلك كثيرة ، منها ما حدث فى عام ٣٣٩ هـ / ٩٥٠ م من اغارة ملك النوبة على الواحات ، وما حدث بعد ذلك بخمس سـنوات من اغارته على أسـوان حيث قام النوبيون فى كلتا الغزوتين بقتل الرجال وسـبى النسـاء وحرق البيوت والدور ٠

انظر : الخطط المقريزية ، جا ص ٣٤٩ ، ٤١٤ ، أحمد كاتب الشـونة : مخطوط كاتب الشـونة ، ورقة ١٢٧ ، بتشر : تاريخ الأمـة القبطيـة ، ج٢ ص ٢٨٨ ، ٢٩٣ ، سـيدة الكاشـف : مصر فى عصـر الاخشيدين ، ص ٣٥٨ ، ٣٥٩ ٠

ونفس الشيء يمكن ان يقال عن هـجوم ملوك النوبة على جنوب مصر فى عصر الفاطميين والأيوبيين والمماليك ، وكان حكام مصر يردون على هــذه الهجمات بغزو هــذه البلاد بمساعدة عربان الصعيد فى كثير من الأحيـان ٠

(٧) مصطفى مسعد : الاسـلام والنوبة ، ص ١٢٥

وان الحملة انقسمت فرقتين ، فرقة اتبعت البر الغربى من النيل ، والأخرى سارت فى البر الشرقى(٨) ٠

وكان كثير من هؤلاء العربان تحت ضغط المماليك وكراهيتهم لهم يفضلون عدم العودة مع الجيش بعد انتهاء مهمته ، ولذلك ليس ببعيد ان يكون بنو هلال وغيرهم من العرب اتخذوا طريق البر الغربى مع الفرقة الأولى ، ثم تسربوا الى السودان واستقروا فى غربه فى كردفان ودارفور(٩) ٠ ولذلك اننا نجد فى غرب السودان عدداً من الجماعات تنتسب الى الهلاليين او الى ابى زيد الهلالى ، منهم التنجور والفور والرزيقات وهلالية البرقد والزيادية(١٠) ، وكل هؤلاء يعيشون فى دارفور ٠ والى هذا التاريخ بل ومنذ حملة احمد بن طولون التى أشرنا اليها والتى تعود الى القرن الثالث للهجرة / التاسع للميلاد يمكن أن نرجع بداية هجرات العرب الى دارفور ٠

واذا كان الأتراك فى عهد الطولونيين (٢٥٤ ـ ٢٩٢هـ / ٨٦٨ ـ ٩٠٥م) والاخشيديين (٣٢٣ ـ ٣٥٨هـ / ٩٣٥ ـ ٩٦٩م) قد ضغطوا على العرب فى مصر حتى أكرهوهم على النزوح والهجرة الى هذه البلاد منذ ذلك العصر المبكر ، فان من جاء من بعدهم من الفاطميين (٣٥٨ ـ ٥٦٧هـ/ ٩٦٩ ـ ١١٧٢م) فعلوا نفس الشيء ٠ فقد شهد عصر

(٨) المقريزى : السلوك لمعرفة دول الملوك ، جـ١ قسم ٣ ، تحقيق محمد مصطفى زيادة ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، سنة ١٩٥٧م ، ص ٧٣٦ ، ٧٣٧

(٩) عبد الحميد عابدين : دراسات فى تاريخ العروبة والاسلام ٠ ضمن تحقيقه لكتاب البيان والاعراب عما بأرض مصر من الاعراب للمقريزى ، عالم الكتب ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، سنة ١٩٦١م ، ص ١٥٢ ، الشاطر بصيلى ، : تاريخ وحضارات السودان الشرقى والأوسط ، ص ٤٨٣

(١٠) عبد المجيد عابدين : نفس المرجع ، ص ١٥٢

المستنصر بالله الفاطمى (٤٢٧ – ٤٨٧هـ / ١٠٣٦ – ١٠٨٥م) على وجه الخصوص عداء متبادلا وعنيفا بين حكومة مصر وبين البدو النازحين الى الصعيد ، بعد أن اشتد الأذى الذى الحقه هؤلاء البدو بالفلاحين المصريين ؛ وبعد أن ضايقوا حكام الصعيد(١١) ، مما أدى الى سوء العلاقة بين الفاطميين وبين القبائل العربية الى حد بعيد ، ورأى الفاطميون ضرورة التخلص من بعض هذه القبائل ، وخاصة بنى هلال وبنى سليم الذين كانوا قد استقدموهم من بلاد الحجاز ووطنوهم فى صعيد مصر ، فدفعوهم الى بلاد المغرب للقضاء على بنى زيرى الصنهاجيين الذين كانوا قد اعلنوا التمرد والعصيان على حكم الفاطميين(١٢) ٠

وفى نفس الوقت مارس الفاطميون ضغوطهم على من بقى بالصعيد منهم ومن القبائل العربية الأخرى ، فاندفعت بعض بطونهم الى بلاد النوبة بعد أن أغراها النجاح الذى حققه اخوانهم من المهاجرين السابقين ، وتحقيقا لما يريدونه من حياة الاستقرار والاستقلال بعيدا عن تضييق سلطات مصر واستبدادها بهم(١٣) ٠

ويفيدنا ابن سليم الأسوانى الذى زار بلاد النوبة أواخر القرن العاشر الميلادى بأن تيار الهجرة العربية قد اشتد الى هذه البلاد قبل عصر المستنصر بالله الفاطمى ، حيث أن المنطقة الممتدة من أسوان حتى الشلال الثالث كان العرب يتصرفون فيها تصرف الملاك وأصحاب البلاد ، لا تصرف المهاجرين اللاجئين ، وأن اضطراب العلاقات السياسية بين مصر والنوبة لم يحل دون هذه الهجرات ، وأن المسلمين كانوا هناك متمتعين بكامل استقلالهم ، وانهم اندمجوا فى حياة الناس وتعلموا لغتهم وفهموا عاداتهم وتقاليدهم(١٤) ٠

(١١) الحسن الوزان : نفس المصدر ، جـ٢ ص ٢٣٨

(١٢) حسن محمود : نفس المرجع ، ص ٢٩٠

(١٣) المرجع السابق ، ونفس الصفحة ٠

(١٤) المرجع السابق ، نفس الصفحة ٠

ولا شك أن وجـود العرب فى بلاد النوبة على هـذا النحو ، وخاصة بعد ان اقاموا امارة عربية نوبية تعرف باسم امارة بنى كنز ، اتخذت اسـوان مركزا لها وامتدت نفوذها جنوبا فى أرض مريس واعترفت بهـا الخلافة الفاطمية فى عهد الحاكم بأمر الله بعد أن سـاعد أمير ربيعـة الذى اقام هـذه الامارة فى القضـاء على أحـد الثائرين ضـد هـذا الخليفة والمعروف باسـم ابى ركوة ، مما جعل الخليفة الحاكم بأمر الله يمنح هـذا الأمير لقب كنز الدولة الذى توارثه أبناؤه وصار علما عليهم وعلى امارتهم فيما بعد(١٥) ٠

نقول أن وجـود العرب على هـذا النحو فى بلاد النوبة والسودان سـوف يقودنا الى نتيجتين : النتيجة الأولى هى التمهيد لانهيـار مملكة مقرة النوبية المسيحية ، والنتيجة الأولى هى نزوح بعض هؤلاء العرب الذيين اسـتقروا فى النوبة الى دارفور واسـتقرارهم فيها ٠ ذلك أن بلاد النوبة بعـد أن غلب عليها العرب صارت أحـد المواطن الأسـاسية التى انطلقت منها الهجرات العربية الى شرق وغرب السودان ٠

وفى عصر سلاطين المماليك (٦٤٨ ـ ٩٢٣هـ / ١٢٥٠ ـ ١٥١٧م) اشـتد العداء بينهم وبين عرب مصر الى حـد كبير ، بعد أن أصبح ينظر للعرب فيها على أنهم عنصر غير مرغوب فى بقائه ، والى أنهم عناصر خارجة على القانون(١٦) ، وهو بطبيعة الحال قانون الترك فى فرض النفوذ والسـيطرة المطلقة على كل عناصر السكان والاسـتبداد بحكم البلاد اسـتبدادا مطلقـا ٠

وعلى ذلك لم يتعاطف مع العرب فى مصر أحـد ، فقد نظر اليهم الأقبـاط على أنهم دخـلاء ومزعجين ، ونظـر اليهم سـلاطين المماليك

---

(١٥) المرجع السابق ، ص ٢٩٠ ـ ٢٩١

(١٦) مصطفى مسـعد : امتداد الاسـلام والعروبة الى وادى النيل الأوسـط ، ص ٧٨

باستخفاف ، لأنهم لم يكونوا مفيدين عسكريا اذا ما قورنت قدراتهم العسكرية والقتالية بالقوات العسكرية المدربة المنظمة التى كونها هؤلاء السلاطين من بنى جنسهم من الترك ، كما أنهم كدافعى ضرائب كانوا مراوغين ومماطلين ، وكتابعين كانوا مصدرا دائما للازعاج والفتن ، فقد كانوا يثورون فى أحيان كثيرة رغم أنهم كانوا لا ينجحون فى هذه الثورات(١٧) .

وكانت النتيجة أن جرد عليهم سلاطين المماليك الكثير من الحملات ليس لتأديبهم فقط ، بل وايضا للقضاء عليهم وابادتهم تماما . من ذلك مافعله السلطان الناصر محمد بن قلاون فى عام ٧١٣هـ/١٣١٣م حينما « بلغه ما نزل بالصعيد من عيث العربان وفسادهم فى نواحيه واضرارهم بالسابلة ، فسرح العسكر فى كل ناحية منه ، وأخذ الهلاك منهم مأخذه . واستباحهم من كل ناحية ، وشرد بهم من خلفهم »(١٨) .

وكذلك ما فعله نفس السلطان من ارسال حملة اخرى بعد ذلك بثلاثة اعوام على راسها ستة أمراء بالاضافة الى امير قوص ، بهدف مطاردة العربان الذين عبثوا بالأمن فى برية الصعيد ، واعتدوا على رسول كان قد قدم من اليمن متجها الى الأبواب السلطانية بالقاهرة ، انتقاما من والى قوص الذى كان قد اعتقل احد امرائهم ، فأرسل السلطان حملة للقضاء على هؤلاء العربان « ومطاردتهم حيث كانوا من البرية » ، وانتهت هذه المطاردة الى عيذاب ثم الى سواكن التى خرج صاحبها معلنا الطاعة ، فترك الجيش سواكن وتوجه خلف العربان فى البرية ، واتبعوا آثارهم حتى وصلوا الى نهر عطبرة واجتازوه خلفهم حتى وصلوا الى التاكة (كسلا) بالسودان ومن هنا توجهوا الى جهة الأبواب

---

(17) Hamilton : The Anglo - Egyptian Sudan from Within, London , 1925, p. 50.

(١٨) ابن خلدون : نفس المصدر جـ٥ ص ٤٢٧.

من بلاد النوبة ، ومنها الى دنقلة ثم الى اسوان فالقاهرة فوصلوها فى جمادى الآخرة ، من عام ٧١٧هـ/١٣١٧م(١٩) ٠

وقد بلغ تمرد العربان فى صعيد مصر مبلغا كبيرا بعد ذلك فى عام ٧٥٤هـ / ١٣٥٣م ، حتى ان الملك صالح بن الملك الناصر محمد بن قلاون خرج بنفسه على رأس جيشه للقضاء على تمرد هؤلاء العربان الذين كانوا قد خرجوا قاطبة عن الطاعة بزعامة ابن الأحدب شيخ قبيلة عرك التى تنتمى الى جهينة ، والذى التفت حوله قبائل العربان واشتد نفوذه حتى نادى بالسلطنة لنفسه ، وتحالفت معه جهينة وبنو كلب وعرب منفلوط وعرب المراغة فيما عرف بالحلف العركى ، واخذت هذه القبائل فى نهب الزروع والأموال فى بلاد الصعيد تحديا منها للسلطان المملوكى ، فخرج إليهم السلطان بنفسه على رأس قواته ، ودارت بين الفريقين معارك شرسة قتل فيها خلق كثير وهزم العرب فى النهاية وقتل الكثير منهم وطوردوا الى بلاد السودان ، « ولم يبق عربى بصعيد مصر » ٠ وأمر السلطان الأمير شيخو أن يطارد ابن الأحدب الى آخر بلاد الزنج ، فسار وراءه سبعة ايام حتى دخل الى آخر بلاد الزنج ولم يستطع أن يقضى عليه(٢٠) ٠

وهكذا ترى ان سلاطين المماليك قد اشتدوا فى مطاردة العرب حتى انهم تتبعوهم الى بلاد الزنج ، وقد بلغ عداؤهم للعرب فى مصر

(١٩) النويرى : نهاية الأرب فى فنون الادب ، مخطوط بدار الكتب المصرية ، معارف عامة رقم ٥٤٩ ، جـ٣٠ ورقة ٩٦ ، ٩٧ ، الشاطر بصيلى : تاريخ وحضارات السودان الشرقى والأوسط ، ص ٤٨٨

(٢٠) ابن خلدون : نفس المصدر ، جـ ٥ ص ٤٥٠ ، ابن اياس : بدائع الزهور ، جـ ١ قسم ١ ، القاهرة ، الطبعة الثانية سنة ١٩٦٣ ، ص ٥٥٠ ، ٥٥١ ، عبد المجيد عابدين : دراسات فى تاريخ العروبة فى وادى النيل ، ص ١٣٠ ـ ١٣١

انهم كانوا يشترطون على ملوك النوبة المسيحية الا يتركوا احدا من العربان في بلادهم . وقد حدث هذا الأمر فى عهد السلطان الظاهر بيبرس فى عام ٦٧٤ هـ / ١٢٧٥ م ، عندما ارسل هذا السلطان حملة غزت مملكة مقرة ببلاد النوبة بعد اعتداء ملكها على جنوب مصر ، وأخضعت هذه الحملة النوبيين وعينت عليهم ملكا بعد أن فر ملكها المتمرد ، وأبرمت مع الملك الجديد معاهدة نصت على تبعية مملكة مقرة للسلطنة المملوكية ، وجعلت للسلطان المملوكى حق تعيين وعزل ملوك مقرة ، ونصت على الشرط المشار اليه ، فقد تعهد ملك مقرة الجديد المدعو شكندة للسلطان الظاهر بيبرس بطرد العربان من بلاده ، ومن وجده منهم يقوم بارساله الى الباب السلطانى بالقاهرة(٢١) .

كما بلغ عداء المماليك لعربان مصر انهم رفضوا أن يتولى أمير عربى حكم مملكة مقرة النوبية بعد ان اعتلى احد الأمراء العرب المعروفين فى بلاد النوبة باسم بنى كنز عرش هذه المملكة بمساعدة أهله من بنى كنز ومن انحاز اليه من القبائل العربية المقيمة فى بلاد النوبة ، ومن النوبيين الذين ثاروا فى عام ٧١٧هـ / ١٣١٧م على ملكهم المدعو عبد الله برشنبو المعين من قبل السلطان المملوكى فى مصر ، وقاموا بتنصيب كنز الدولة ملكا عليهم(٢٢) .

غير ان السلطان الناصر محمد بن قلاون رفض الاعتراف بهذا الأمير ملكا على مقرة ، لأن تولية ملك عربى حكم النوبة يؤدى فى نظره الى زوال نفوذ السلطنة المملوكية على هذه البلاد . ولهذا أطلق السلطان سراح احد الأمراء النوبيين وكان خالا لكنز الدولة ، وحرضه على قتل

---

(٢١) النويرى : نفس المصدر ، جـ ٢٨ ورقة ١٠٩ ، المقريزى : السلوك لمعرفة دول الملوك ، جـ١ قسم ٣ ص ٩٧٤

(٢٢) المصدر السابق ، جـ ٣ ورقة ٩٥ ، ٩٦ ، مصطفى مسعد : الاسلام والنوبة فى العصور الوسطى ، ص ١٦٨ — ١٦٩

ابن اخته وتولى الحكم بدلا منه ، ولكن هذا الخال النوبى فشل فى مهمته بسبب موته ، وتمكن كنز الدولة من السيطرة على البلاد وممارسة حقوقه كملك لها فى عام ٧١٧ هـ / ١٣١٧ م • ولم يهنأ للسلطان بال حتى ارسل الى بلاد النوبة حملة ثانية فى عام ٧٢٣ هـ / ١٣٢٣ م لخلع كنز الدولة ، ولكنه فشل فى ذلك وتم انتقال حكم مملكة مقرة النوبية من أيدى ملوكها المسيحيين الى ايدى بنى كنز منذ ذلك التاريخ(٢٣) •

ونتيجة لهذا العداء المستمر والمتصاعد من جانب سلاطين المماليك للعربان فى مصر وفى بلاد النوبة ، التف هؤلاء العربان حول بعضهم فى شكل احلاف تقف فى وجه التيار التركى الذى ارتكز على العناصر المجلوبة الى مصر من الاتراك ومن لف لفيفهم • وكان هدف هذه الأحلاف هو أن تمنع العربان من اضطهاد المماليك لهم وتعمل فى نفس الوقت على الوقوف امام الحملات المملوكية المتصاعدة والتى تجرد بكثرة للقضاء على عربان الصعيد وعربان بلاد النوبة(٢٤) •

ومع بداية فترة الأحلاف تبدأ اهم فترة فى تاريخ الهجرات العربية الى جنوب وادى النيل ، ولسنا نذهب بعيدا اذا قلنا أن بقايا الأحلاف التى لجأت الى السودان كانت هى العمود الفقرى الذى التفت حوله المجموعات العربية التى نراها حتى اليوم فى السودان(٢٥) •

وعلى سبيل المثال فان عرب لخم وجذام الذين ابعدوا عن مساكنهم فى عهود الفاطميين والأيوبيين ، يبدو انهم تحالفوا فيما بينهم ومع غيرهم

---

(٢٣) المصدر والمرجع السابقين ، ونفس الصفحات •

(٢٤) عبد المجيد عابدين : دراسات فى تاريخ العروبة فى وادى النيل ، ص ١٤٥

(٢٥) عبد المجيد عابدين : المرجع السابق ، ص ١٤٥

من القبائل الأخرى المضطهدة ، واتخذوا اطراف مصر موطنا لهم ولا سيما الأطراف الغربية ، ثم تدفقوا الى غرب السودان فى عصر سلاطين المماليك الذين اضطهدوهم وجردوا عليهم وعلى غيرهم من العرب حملات عديدة أشرنا الى بعضها ، ووصل بعض هؤلاء العرب الفارين من بطش المماليك الى بلاد الكانم والبرنو مما أفزع سلطانها فاشتكاهم الى سلطان المماليك فى مصر الظاهر برقوق(٢٦) .

ويظهر أن بعض هذه الجماعات تدفقت شرقا حوالى سنة ٧٩٤ هـ / ١٣٩١ م حتى بلغت شمالى دارفور وقضت على حكم الزغاوة هناك . ولكننا لا نجد اسم جذام فى القبائل التى تعيش اليوم فى دارفور أو فى بلاد السودان بصفة عامة . ويبدو ان هذه القبيلة وأحلافها من لخم وغيرهم قد اندمجوا فى قبائل البقارة والكبابيش الذين يمثلون الغالبية من العرب فى دارفور وكردفان فى الوقت الحاضر ، والذين ينتسبون اليوم الى جهينة ، وان كانوا فى واقع الأمر احلافا تجمعت على فترات وتألفت من بطون عدة ، لعل اهمها جذام وجهينة وهوارة وبنو هلال ، وأحلاف هؤلاء وأولئك من فزارة وسليم ولخم وبلى وغيرهم(٢٧) .

وقد تدفق عرب الحلف الجهنى على بلاد السودان وتوغلوا فيه بعيدا حتى الحبشة فى الشرق ودارفور فى الغرب ، بل وفيما وراء ذلك حتى بلاد الكانم والبرنو كما سبق القول ، وذلك فى القرن الرابع عشر للميلاد ، نتيجة لأن الأحوال فى مصر كانت تدفع قبائل العرب من البدو الى مغادرتها الى اقاليم لا يكونون فيها تابعين لأى قوة غريبة عنهم ، أو لأى قوة غير عربية تريد فرض نفوذها وسلطانها عليهم(٢٨) .

---

(٢٦) القلقشندى : نفس المصدر ، ج ٨ ص ١١٧

(٢٧) عبد المجيد عابدين : نفس المرجع ص ١٤٦ - ١٤٧

(28) **Arkell** : A history of the Sudan, p. 199 & Mac. Michael , **The Coming of the Arabs to the Sudan**, pp. 54 - 55.

ومن الأسباب السياسية الأخرى التى دفعت ببعض عربان مصر الى النزوح الى دارفور وبلاد السودان عامة هى قيام النزاع بين بعض القبائل العربية فى مصر ، وتدخل المماليك فى هذا النزاع الذى كان يقوم فى الغالب بسبب التنافس على الزعامة ، مما كان يدفع بالفريق المهزوم الى الهجرة الى أرض جديدة يستطيع أن يمارس فيها حياته فى حرية بعيداً عن سيطرة المنتصرين والمتغلبين عليهم .

والمثال على ذلك ما حدث من نزاع فى بلاد الصعيد بين الحلف العركى وحلف الهلاليين فى عام ٧٤٩ هـ / ١٣٤٨ م ، وانتهز المماليك الفرصة وتدخلوا فى هذا النزاع فى جانب بنى هلال ، وقتل فى الصراع الذى دار بين الفريقين عدد كبير من المماليك وأمرائهم ، مما جعل المماليك يشنون حربا عنيفة على العركيين وحلفائهم(٢٩) . ونتج عن ذلك أن هاجر كثير من العركيين الذين يدخلون فى مجموعة جهينة الآن الى بلاد السودان وسكنوا قرى الجزيرة بين النيلين الأبيض والأزرق ، وقرى غرب السودان ، أى فى دارفور وكردفان(٣٠) .

والمثال الآخر على قيام النزاع بين بعض القبائل العربية فى مصر وهجرة بعضها الى دارفور وبلاد السودان ، هو ما حدث أيضا من نزاع بين هوارة وبين قبائل زناره وحلفائهم من بقية عرب البحيرة فى أواخر القرن الرابع عشر للميلاد . وكان هؤلاء الهواوير يعيشون فى منطقة تمتد من مديرية البحيرة ومن الاسكندرية الى مسافة بعيدة تمتد نحو الغرب والجنوب ، وظلوا مقيمين فى هذه المناطق حتى قام النزاع بينهم وبين قبائل زنارة وحلفائهم ، مما أجبرهم الى النزوح عن أوطانهم هذه الى صعيد مصر ، فنزلوا بالأعمال الأخميمية فى جرجا وما حولها ، ثم قوى

---

(٢٩) انظر ، ص ٥٧ ، عبد المجيد عابدين : نفس المرجع ، ص ١٢٩ - ١٣١

(٣٠) عبد المجيد عابدين : نفس المرجع ، ص ١٥٠

امرهم واشتد بأسهم وكثر جمعهم حتى انتشروا فى معظم انحاء الوجه القبلى فيما بين أعمال قوص والى غربى الأعمال البهنساوية ، وصارت الامرة لهم فى تلك الجهات حتى عصر القلقشندى ، وامتد نفوذهم الى مديرية قنا وهاجموا ثغر اسوان وهزموا بنى كنز فى عام ٨١٥ هـ / ١٤١٢ م، مما يدل على ان هذه القبيلة تقدمت جنوبا كذلك فى أرض النوبة . ولما زاد نفوذ الهواوير على هذا النحو فى صعيد مصر وبلاد النوبة منذ منتصف القرن الرابع عشر للميلاد ، اضطرت حكومة المماليك الى محاربتهم واخضاعهم ، فانتقل بعضهم الى بلاد النوبة ، وهاجر آخرون الى شمالى دارفور بعيدا عن ضغط المماليك ، واشتغلوا هناك بالتجارة ، وصاروا يعرفون باسم الهوارة الجلابة(٣١) .

وثالث الأسباب السياسية التى أدت الى زيادة تدفق العرب الى السودان وبالتالى الى دارفور ، هو السقوط النهائى لمملكة مقرة النوبية المسيحية فى عام ٧٢٣ هـ / ١٣٢٣ م ، وقيام مملكة عربية اسلامية حلت محلها فى ذلك العام عرفت باسم دولة بنى كنز أو دولة الكنوز . ولا شك أن قيام هذه الدولة واصطدامها بسلاطين المماليك الذين رفضوا الاعتراف بكنز الدولة ملكا على بلاد النوبة لأنه عربى ، أدى الى توقف البقط الذى كان يرسل كل عام من هذه البلاد الى القاهرة ، حسبما جرت العادة بذلك منذ أن ابرمت معاهدة البقط بين والى مصر عبد الله ابن سعد بن أبى السرح عام ٣١ هـ/ ٦٥١ م وبين ملك النوبة ، مما أدى الى ازدياد سوء العلاقات بين عرب النوبة وسلاطين المماليك فى مصر ، والى اتساع هوة الأحقاد بين الفريقين(٣٢) .

---

(٣١) محمد عوض محمد : السودان الشمالى ، سكانه وقبائله ، القاهرة ، الطبعة الأولى سنة ١٩٥١ ، ص ٢٤٩ ، مصطفى مسعد ، الاسلام والنوبة فى العصور الوسطى ، ص ١٨١ ، ١٨٢ .

(٣٢) الشاطر بصيلى عبد الجليل : معالم تاريخ سودان وادى النيل ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، سنة ١٩٥٥ ، ص ٦٤

وترتب على ذلك أن ازداد ضغط سلاطين المماليك على عرب الصعيد وعرب بلاد النوبة عنفا وشدة ، مما اجبر هؤلاء العرب الى انحدارهم جنوبا فى موجات متلاحقة ٠ وكانت اشد هذه الموجات او هذه الهجرات عنفا هى هجرة جهينة ، حيث ترتب عليها نشاة بعض المهاجر والمستوطنات العربية قرب سنار الحالية ٠ ويبدو أن معاينة هذه الجماعات للمراعى الغنية ترامت اخبارها الى ذويهم فى الشمال اى فى بلاد النوبة الشمالية ، فاندفعت جموعهم جنوبا(٣٣) ، وتحركت هجرات من جهينة وفزارة وقبائل أخرى ناحية الجنوب ٠ ولما لم يكن لدى هذه القبائل الحرية الكاملة فى الامتداد الى أراضى اغنى فى الجنوب نظرا لوجود مملكة علوة المسيحية التى استمرت فى الوجود حتى عام ٩١٠ هـ / ١٥٠٤ م (٣٤) ، فقد اتجهت غربا ووصلت قبائل جهينة بالذات الى مناطق الاستبس فى كردفان ودارفور حيث استقروا فيها ، وواصلت بعض بطونها الزحف الى وادای ومنها اتجهت غربا بشمال حتى وصلت بحيرة تشاد فى القرن السادس عشر للميلاد(٣٥) ٠

وسبب سياسى رابع أدى الى ازدياد الهجرة العربية الى السودان ودارفور ، وهذا السبب هو سقوط بغداد فى يد المغول عام ٦٥٦ هـ / ١٢٥٨ م ٠ وقد تسبب هذا السقوط فى هجرة كثير من العرب الى السودان(٣٦) ٠

وتشير احدى قوائم النسبة التي أوردها ماكمايكل أن جمعاً من قريش من ولد العباس بن عبد المطلب بن هاشم هاجروا الى السودان ٠ وكان هؤلاء المهاجرون من أولاد ابراهيم الهاشمى الذى لقب بلقب « جعل

(٣٣) مصطفى مسعد : امتداد الاسلام ، ص ٧٨

(34) Baddour : Sudanese - Egyptian Relations, Martinus, 1960, p. 35.

(35) Trimingham : The influence of Islam upon Africa, London, 1968, p. 100.

(36) Arkell : A history of the Sudan p. p. 194.

ومنه جاء الجعليون المشهورون فى السودان حتى اليوم ، والذين يقولون ان جدهم الأول الذى اتى الى السودان كان يسمى غانم العباسى ، وكان قد هرب من بغداد بعد مهاجمة التتار لها فى عام ٦٥٦ هـ / ١٢٥٨ م (٣٧) ، واتجه هو ومن كان معه من اقاربه الى مصر حيث كان يحكمها سلاطين المماليك(٣٨) .

ومن مصر اتجه غانم العباسى جد الجعليين هو وقومه الى السودان حيث هاجروا اليه واقاموا مساكنهم فيه ، واستقر بعضهم على سواحل النيل الأزرق ، وبعضهم على سواحل النيل الأبيض ، وبعضهم فى دارفور ، واستمر وجودهم فى الاقليم الأخير حتى عصر ماكمايكل ، حيث ورد ذكرهم فى قوائم النسبة التى حصل عليها فى هذا الاقليم(٣٩) .

ومن دارفور انتشر بعض هؤلاء الوافدين من الجعليين العباسيين الى برقو التى تعرف ايضا باسم واداى ، حيث تقول الأسرة الحاكمة فيها بأنها من أصل عباسى ، وتقول رعيتهم من العرب انهم من عرب اليمن من حمير ، ومن بارق بن عدى بن مازن ، من الأزد(٤٠) . ولعل الاسم برقو الذى تعرف به هذه البلاد بجانب اسمائها الأخرى(٤١) . ما هو الا تحريف لكلمة بارق بن عدى الأزدى هذا .

وعلى أية حال فقد هاجر بعض العرب الى دار فور قبل القرن العاشر للميلاد ، وازدادت هذه الهجرة وتكاثفت بعد القرن الثانى عشر ،

---

(٣٧) ذكر ماكمايكل ان سقوط بغداد على يد التتار كان فى عام ٦٧٦ هـ ، وهو خطأ ظاهر . انظر

Mac Michael : Ahistory of the Arabs in the Suden, Vol 2 p. 88.

(٣٨) ذكر ماكمايكل انهم وجدوا فيها الفاطميين ، انظر مرجع الهامش السابق .

(39) Mac Michael : op cit, Vol 2,p . p. 88.
(40) Ibid : Vol 2 ,p. 88.

(٤١) التونسى : نفس المصدر ، ص ٧٤

وصارت سيلا جارفا ونهرا متدفقا فى القرن الرابع عشر للميلاد ، عقب سقوط مملكة مقرة النوبية المسيحية فى عام ٧٢٣ هـ / ١٣٢٣ م ، واستقر هؤلاء العرب المهاجرون فى هضاب جبل مرة وجبل سى Si وهى هضاب عظيمة كثيفة السكان ، ورحل بعضهم غربا حيث اشتركوا فى حرب أهلية فى مملكة الكانم(٤٢) فى حوض بحيرة تشاد .

ولم تكن هجرة العرب الى دارفور على هذا النحو منذ هذه القرون البعيدة وليدة العوامل والظروف السياسية التى تحدثنا عنها فقط ، وانما كانت ايضا نتيجة لعوامل اخرى خاصة بالبيئة الطبيعية .

٢ ـ الأسباب الطبيعية :

سبق أن تحدثنا عن موقع اقليم دارفور وقلنا أنه يقع فى الجزء الغربى من الحزام العرضى الأوسط فى السودان . وكانت طبيعة هذا الاقليم تناسب العرب أكثر مما تناسبهم طبيعة بلاد النوبة . ومعروف أن بلاد النوبة هى اقرب بلاد السودان الى مصر ، وكانت اول المناطق السودانية التى هاجر اليها العرب .

ذلك أن بلاد النوبة والبلاد التى تقع غربها مثل بلاد الزغاويين والكانميين شحيحة المطر ، أو هى بلاد غير ممطرة بالمرة ، ولذلك فان السكان فيها لا يعيشون وخاصة فى بلاد النوبة الا فى الشريط الساحلى الضيق على جانبى نهر النيل الذى يعولون عليه فى الحصول على ارزاقهم بزراعة الأراضى التى تحف جانبيه فى هذا الجزء من بلاد النوبة(٤٣) .

وعلى ذلك فان الموارد الطبيعية شحيحة وغير كافية كى تعيش عليها قبائل كثيرة أو سكان وفيرو العدد . ففى غرب حلفا لا يوجد حقيقة

(42) Baddour : op . cit , p. 34.

(٤٣) الادريسى : نفس المصدر ، جـ ١ ص ٣٨

شىء يحفظ الحياة ، وفى غرب دنقلة لا توجد الا مجموعات قليلة متناثرة من أصحاب الجمال البدو الذين تعرضوا لهجمات منظمة على يد البدأيات والقرعان الذين تمتد أراضيهم الى مرتفعات ايندى شمال تشاد(٤٤) . وتبدأ البيئة فى المناطق التى تقع غرب مدينة بربر النوبية فى اعطاء بعض المزايا الطبيعية التى تجذب المهاجرين ، ولذلك فقد هاجر اليها بعض العرب الذين كانوا أكثر عدداً وأحسن حالا ، أما معظم المهاجرين فقد كان عليهم أن يستمروا فى الزحف الى الجنوب او الى الشرق أو الى الغرب الى دارفور(٤٥) ، لأن بلاد النوبة وكما رأينا كانت غير ملائمة لاقامة أعداد وفيرة من العرب المهاجرين .

وكذلك كان الحال فى مصر ، ذلك أنها لم تكن قطرا مثاليا للبدو من العرب ، فأمطارها شحيحة جدا ولا تعمل على وجود المراعى اللازمة لابلهم وخيلهم واغنامهم . حقيقة توجد الأراضى الخصبة التى تروى بماء النيل وتقوم عليها الزراعة ، ولكن العرب فى ذلك لا يمكنهم أن يتكيفوا مع هذا العمل الذى لم يتعودوا عليه فى بلادهم الأهلية ، وهو الزراعة ، أما السودان وباستثناء الأقاليم الجنوبية فانه أكثر ملاءمة لهم ، لأنه مشابه للجزيرة العربية فى ظروفه الطبيعية(٤٦) .

وقد اعطانا بالجريف Palgrave وداوتى Doughty ورحالة آخرون عرب وغير عرب وصفا لبلاد السودان ، فتحدثوا عن أراضى المراعى فى الصحراء ، وعن المرتفعات السوداء المكونة من الأحجار الرملية ، وعن الأودية التى تغذيها الفيضانات أو مياه الأمطار التى لا يمكن أن تتماثل مع المناطق الأخرى التى تقع بعيدة عن نهر النيل فى الشرق والغرب والى الشمال من الخرطوم(٤٧) .

---

(44) Mac Michael : The Coming of the Arabs in the Sudan, pp. 14 , 15.

(45) Ibid : pp. 14 , 15.

(46) Ibid : p. 47 .

(47) Ibid : p. 47 .

ففى صحراوات السودان توجد نفس الأشجار ونفس الحشائش ونفس المحاصيل الصحراوية ونفس المفازات الرملية . وفى الحقيقة فان البحر الأحمر لم يكن أكثر من شق أو شرخ أقامته الطبيعة بين جزأين من قطر واحد أو منطقة واحدة ، وأن كان الجزء الغربى من هذه المنطقة وهو السودان أكثر ثروة من شبه الجزيرة العربية بسبب نهر النيل الذى يشق طريقه عبره من جبال الحبشة والبحيرات العظمى حتى مصباته فى الشمال ، مزودا الزراع بوسائل زراعة ضفافه بواسطة الرى المباشر أو بواسطة سواقى المياه(٤٨) . أما الصحراء التى تحيط بهذا النيل فى المنطقة التى تقع شمال الخرطوم فهى لا تختلف عن الصحراء التى عاش فيها العرب القرون الطوال فى بلادهم الأصلية فى شبه الجزيرة العربية .

ولكن الى الجنوب من الخرطوم تتحول البلاد التى تمتد شرقا وغربا من حدود الحبشة الى حدود نهر شارى الذى يصب فى بحيرة تشاد ، وهى المنطقة التى تعرف بالحزام الأوسط من السودان ، والتى تمتد من خط عرض ١٥ درجة وجنوبا الى خط ١٠ درجات شمال خط الاستواء ، وتقع دارفور فى جزئها الغربى ، نقول أن هذه البلاد أو هذه المنطقة تحولت الى مناطق رملية أكثر خصوبة وأكثر امطارا من المنطقة التى تقع شمالها والتى تحدثنا عنها ، اذ تسقط عليها امطار كافية لاعطاء مراعى ممتازة ومحاصيل جيدة من القمح ، ولذلك كان هذه المناطق كانت أكثر ملاءمة للعرب من غيرها من مناطق السودان ، بسبب هذه المراعى الملائمة لرعى ابلهم ومواشيهم ، ونظرا لبعدها عن اى سلطة مركزية ، مما يجعلهم يعيشون فى طمأنينة وسلام ، ولا يشعرون بخوف من جامعى الضرائب المغالين كما كان الحال فى مصر(٤٩) .

ولذلك شد العرب الرحال الى هذه المنطقة والتى تقع دارفور فى جزئها الغربى وسكنوها بعد أن سمعوا بمراعيها الواسعة التى تناسب

(48) Ibid : pp. 47 - 48.
(49) Ibid : pp. 47 - 48.

جمالهم واغنامهم كثيرا ، وبعد أن رأوا أنهم سيكونون فوق أرض مألوفة ، وفى ظروف طبيعية معروفة ، ولذلك فانهم هاجروا اليها واستقروا فيها مع ابلهم ومواشيهم ، ولم يزلوا ابعد عن بحر العرب وبحر الغزال بسبب كثرة المستنقعات والرطوبة وذبابة تسى تسى التى لم تدع فرصة الحياة لجمالهم (٥٠) .

واذا كان الحزام الأوسط من السودان مناسبا وملائما لسكنى العرب على هذا النحو اكثر من غيره من بقية أنحاء هذه البلاد ، فان دارفور التى تقع فى الجزء الغربى من هذا الحزام كانت اكثر اجزائه ملاءمة لهم لسببين ، أولاهما هو بعد دارفور عن أى تهديد يأتيها من أى ناحية من نواحيها الأربع ، بعكس الجزء الشرقى من الحزام والذى كان معرضا لغزوات الأحباش ، والجزء الأوسط (النيلى) من الحزام والذى تعرض فعلا لغزوات عديدة جاءت من مصر المملوكية فى القرن الرابع عشر للميلاد (٥١) .

أما دارفور فلم يثبت ان قوات مصرية او غير مصرية وصلت اليها حتى الربع الأخير من القرن التاسع عشر للميلاد ، ولذلك لم يكن لمصر او لبلاد النوبة أى تأثير سياسى على دارفور حتى ذلك التاريخ الذى ضمت فيه دارفور لمصر (٥٢) . ومن ناحية الغرب حيث تقع بلاد الكانم ، فان دارفور لم تتعرض وقت تدفق العرب عليها الى تهديد من هذه الدولة ، لأن الكانم كانت فى تلك الفترة أى فى القرن الرابع عشر للميلاد تعيش عصر ضعف وتفكك وحروب أهلية أجبرت الأسرة الحاكمة على الهجرة الى الغرب من بحير تشاد حيث أقامت هناك مملكة جديدة فى اقليم البرنو (٥٣) .

---

(50) Ibid : pp . 48 - 49.
(51) Arkell : The history of Darfur, S.N.R., IV, pp. 261-262

(٥٢) كولين ماكيفيدى : أطلس التاريخ الاسلامى ، ترجمة مختار السويفى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، سنة ١٩٨٧ ، ص ١٨٣

(٥٣) الشاطر بصيلى : تاريخ وحضارات السودان الشرقى والأوسط ، ص ٤١٩

اما السبب الثانى الذى جعل دارفور اكثر ملاءمة للعرب من بقية اجزاء الحزام الأوسط للسودان ، فهو انها كانت تتمثل فيها المناطق الطبيعية والمناخية للسودان عامة ، بمعنى أن دارفور كانت تجمع خصائص السودان الجغرافية والطبيعية . ففى المناطق الشمالية لدارفور وجدت المراعى العظيمة التى يحبها بدو العرب الذين تتركز ثروتهم فى الابل والماشية ، وكان هؤلاء العرب يتبعون سقوط المطر الموسمى بحثا عن مراعى طيبة ، ويستقرون فقط حول الآبار الدائمة ، أو يرحلون الى النهر حينما لا يوجد من ذلك مناص(٥٤) . وكان هؤلاء العرب يعرفون بالأبالة ، نسبة الى الابل التى كانت تكون عماد ثروتهم وتدور عليها حياتهم .

وفى المناطق الجنوبية لدارفور سكنت معظم قبائل العرب المعروفين باسم البقارة ، نسبة الى الأبقار التى كانت عماد ثروتهم فى تلك المناطق ، وامتدت ديارهم الى مناطق الزنوج الجنوبية . وهؤلاء العرب البقارة كانوا أصحاب ماشية واحصنة ، وكانوا مسلحين بالحراب وصائدين للغزال والفيلة ، وامتدت اراضيهم غربا وجنوبا فى جنوبى دارفور وجنوبى كردفان واقليم النيل الأبيض اثناء فصل الجفاف . أما فى فصل المطر فكان اغلبية البقارة يتحركون شمالا مع ماشيتهم الى خط عرض ١٢ و ١٣ درجة ، ويستقرون فى الأقاليم الوسطى فى دارفور حيث توجد عناصر اخرى غير عربية مثل المساليط والفور ، وحيث يوجد بعيدا فى شمالى دارفور الزغاوة والبرتى وميدوب ، وفى الجنوب منهم الفلاتة نصف البدو والداجو والبرقد وقبائل متنوعة من الفرتيت(٥٥) .

واذا كان للعوامل السياسية والظروف الطبيعية لاقليم دارفور كل هذا الثقل كاسباب وعوامل شجعت العرب على الهجرة الى هذا الاقليم ، فان موقع دارفور كان سببا آخر يضاف الى هذه الأسباب .

(54) Mac Michael : The Coming of the Arabs in the Sudan, p. 15 .

(55) Ibid : pp. 16 - 17.

٣ - طبيعة موقع دارفور واحاطة العرب بها واثر ذلك فى هجرة العرب اليها :

ذلك ان دارفور احاطت بها بلدان وجد فيها العرب بنسب متفاوتة ، وكان لذلك أثره فى تدفق العرب عليها . ففى شمال دارفور تقع مصر وليبيا ، وفى الشرق تقع بلاد النوبة بمفهومها فى العصور الوسطى ، وفى الغرب تقع بلاد الكانم والبرنو . وفى هذه البلدان وجد العرب الذين سكنوها اما نتيجة لقيام العرب بفتحها مثل مصر وليبيا ، او نتيجة لهجرات عربية سلمية مثل النوبة والكانم .

ولما كان اقاليم دارفور كما سبق القول منطقة عبور بين الشمال والجنوب ، وبين السودان النيلى ، والسودان الأوسط (تشاد) والغربى (نيجيريا ومالى والسنغال ... الخ) ، فقد تعوض للتاثيرات العرقية والثقافية التى ميزته عن اجزاء أخرى من السودان . ذلك ان القبائل التى تسكن دارفور اليوم سواء كانت من اصل عربى او سودانى او زنجى اتت الى هذا الاقليم نتيجة لهجرات مختلفة لعناصر مختلفة من الشمال والغرب والشرق والجنوب ، اى من البلدان المحيطة به(٥٦) .

ولما كان حديثنا عن هجرات العرب وحدهم فاننا نستطيع القول أن موقع اقايم دارفور جعله عرضة لهجرات كثيفة اقبلت من مصر بالذات . وتكاد تكون هذه الهجرات التى قدمت من مصر هى الهجرات الرئيسية التى غمرت أقاليم السودان ومنها دارفور(٥٧) .

وكانت الواحات التى تقع فى صحراء مصر الغربية طريقا لبعض هذه الهجرات والمعبر الرئيسى للمسافرين من التجار ورجال الدين وغيرهم

---

(56) Mandour : op , cit, p.54.

(٥٧) عبد المجيد عابدين : دراسات فى تاريخ العروبة فى وادى النيل ، ص ١٤١ ، ١٤٣ ، مصطفى مسعد : الاسلام والنوبة ، ص ١٨٩

من القادمين من شمال مصر الى دنقلة ودارفور . فقد كانت طرق القوافل تخترق هذا الاقليم من الشمال اى من الاسكندرية الى الجنوب حتى مملكة مقرة ودارفور(٥٨) . وكان الرومان قبل العرب قد عرفوا هذا الطريق وعملوا على ربط دارفور بمصر حتى يمكنهم أن يستغلوا الموارد الموجودة فى هذا الاقليم(٥٩) .

وبخلاف الواحات المصرية التى ربطت بين مصر ودارفور ، هناك ايضا طريق درب الأربعين الذى يصل أسيوط بدارفور مباشرة . وقد سلك التجار والمهاجرون العرب هذا الطريق فى العصور الاسلامية

سلك التجار والمهاجرون العرب هذا الطريق فى العصور الاسلامية

الأولى ، وظلوا يسلكونه حتى العصر الحديث . ومعروف أن محمد ابن عمر التونسى الذى وصل من مصر الى دارفور فى بداية القرن الماضى لم يصل الى هذا الاقليم الا عن طريق درب الأربعين(٦٠) .

وعلى ذلك فان موقع دارفور على هذا النحو وارتباطها بمصر عن طريق درب الأربعين وعن طريق الواحات المصرية الغربية جعل هذا الاقليم مهبطا لهجرات العرب من الديار المصرية نتيجة للأسباب السياسية التى أشرنا اليها .

وكذلك كان موقع اقليم دارفور من بلاد النوبة سببا آخر مهد لهجرة العرب من هذه البلاد الى دارفور . وقد سبق القول أن بلاد النوبة بلاد فقيرة ومواردها شحيحة وقليلة ، مما جعل كثيرا من العرب لا يطيلون البقاء فيها ويفضلون الرحيل عنها اما جنوبا الى بلاد علوة ، أو شرقا الى بلاد الحبشة أو غربا الى دارفور .

---

(٥٨) الشاطر بصيلى عبد الجليل : تاريخ وحضارات السودان الشرقى والأوسط ، ص ٤٩ ، ٨٧

(٥٩) المرجع السابق ، ص ٩٦ ، مصطفى مسعد : الاسلام والنوبة ، ص ٢٨

(٦٠) التونسى : نفس المصدر ، ص ٤٧ ، ٥٤ .

وكانت مملكة مقرة المسيحية التى كانت تشمل الجزء الشمالى من بلاد النوبة لها صلاتها وقبل ظهور الاسلام بدارفور ، وهى فى الغالب علاقات تجارية ولا ترقى الى ما قاله احد الباحثين من انه يمكن أن تكون النوبة قد مدت حكمها الى جزء من هذا الاقليم مستدلا على ذلك بما قيل عن وجود كنائس فى عين فرح بدارفور(٦١) ٠ وهو قول خاطىء وينقصه الدليل ٠

وقد حاول آركل ان يشير الى وجود بعض تاثيرات مسيحية وافدة من دنقلة المسيحية الى دارفور مستدلا هو الآخر على ذلك بوجود علامة كانت توسم بها الجمال فى دارفور ، لأنه وكما قال آركل نفسه أنه تجول فى هذا الاقليم لمدة سنوات ولم يجد دليلا على ذلك ، وانه من الممكن ان يكون استعمال العلامة التى تشبه الصليب قد وصل جبل ميدوب من وادى النيل كمجرد علامة فقط وليس دليلا على تسرب دينى مسيحى ، ذلك أن ماكمايكل وكما يقول آركل قد قرر انها كانت علامة قبلية ، ومن المحتمل أن تنجور دارفور قد استعملوها(٦٢) ٠ وعلى ذلك فان صلات مقرة النوبية بدارفور كانت صلات تجارية كما سبق القول ٠

وكذلك كانت مملكة علوة المسيحية التى كانت تشمل الجزء الجنوبى من بلاد النوبة وتمتد جنوبا لتشمل أرض الجزيرة الواقعة بين النيلين الأبيض والأزرق لها هى الأخرى صلالتها بدارفور ، نتيجة لامتداد أراضيها غربا حتى شملت بعض جهات كردفان التى كانت تشكل الحد الشرقى لدارفور(٦٣) ٠

وقد تسرب العرب الى هاتين المملكتين ، اى مملكتى مقرة وعلوة :

(61) Robert July : op . cit, p. 98 .

(62) Arkell : The history of Darfur, S.N.R. p 222.

(٦٣) مصطفى مسعد : الاسلام والنوبة ، ص ٧٩

مهاجرين اساسا من مصر . وكانت مملكة مقرة لها النصيب الأوفى من هذه الهجرات ، وذلك منذ معاهدة البقط التى أدت الى فتح هذه البلاد أمام التجار العرب ، وأدت أيضا الى ضرورة محافظة النوبيين على المسجد الذى بناه العرب فى دنقلة عاصمة البلاد وقتذاك(٦٤) ، وما يدل على بدء وجود العرب والاسلام فيها منذ ذلك الحين .

وقد أخذ هؤلاء العرب فى التسرب الى هذه البلاد بأسلوب سلمى حتى اننا فى بداية القرن الثالث للهجرة / التاسع للميلاد وفى عصر المأمون العباسى ، نسمع أن كثيرا منهم كانت لهم ضياع كثيرة داخلة فى أرض النوبة يؤدون خراجها الى ملك النوبة . وكان هؤلاء العرب قد اشتروا هذه الضياع من اصحابها فى عصر بنى أمية وكذلك فى صدر دولة بنى العباس ، وتوارث الناس هذه الضياع بأرض مريس من بلاد النوبة منذ ذلك الحين(٦٥) ، مما فتح الباب أمام تسرب العرب اليها ، وأدى هذا الأمر وعلى مر القرون الى ازدياد أعدادهم فيها ، حتى انهم ساعدوا فى اسقاط هذه المملكة ، وتحويلها الى مملكة عربية اسلامية فى بداية القرن الرابع عشر للميلاد(٦٦) .

وبسقوط مملكة مقرة النوبية المسيحية على هذا النحو انفتح الباب على مصراعيه أمام تسرب العرب وهجرتهم جنوبا الى مملكة علوة المسيحية . ويبدو أن هؤلاء المهاجرين العرب قد ازدادوا عددا وقوة

---

(٦٤) ابن عبد الحكم : فتوح مصر واخبارها ، ليدن ، سنة ١٩٢٠م ص ١٨٩ ، حسن محمود : نفس المرجع ، ص ٢٨٣ ، ٢٨٤

(٦٥) المسعودى : مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، دار المعرفة ، بيروت ، سنة ١٩٨٣م ، جـ٢ ص ٢٢ - ٢٣

(٦٦) ابن خلدون : تاريخه جـ٥ ص ٤٢٩ ، مصطفى مسعد : الاسلام والنوبة ، ص ١٧٠ ، ١٧١ ، ١٧٥

فى هـذه المملكة بمرور الوقت ، حتى انهم التمسوا الاذن ببناء مسجد لهم فى سـوبا عاصمة المملكة المسـيحية نفسـها(٦٧) ٠

وكان اسبق المهاجرين انطلاقا نحـو الجنوب قبائل جهينة ، فقد بدأت هجرة القبائل التى حملت هـذا الاسم تدخل ارض علوة عبر مسـالك مختلفة ، اهمها الطريق الشرقى عبر اوطان البجـة ، وايضا عن طريق النيل ، واحتلت اقاليم موزعة بين نهرى عطبرة والنيل ٠

واشار ابن سـليم الأسوانى الذى زار هـذه المملكة فى القرن العاشر الميلاد ونقل عنه المقريزى الى ان هـذه القبائل ازداد عددها حتى قيل بأنه كان لجهينة ٥٢ قبيلة قرب سوبا عاصمة مملكة علوة والتى تقع على النيل الأزرق ، وأن هـذه القبائل كانت تؤدى صلاة العيد فى الخـلاء المحيط بسـوبا تصاحبها طبولها واعلامها فى حـرية تامة ، مما يدل على قوتها وعلى كثرة عددهـا(٦٨) مما ادى الى ازدياد هجرتها نحو الجنوب٠

ويبدو ان انطلاق هـذه القبائل نحو الجنوب كان واسـع المدى حتى انهـا وصلت الى حدود الحبشـة وانشـأت مدينة اربجى على الشاطىء الغربى للنيل الأزرق سـنة ٨٧٩ هـ / ١٤٧٤ م ، أى قبل سقوط مملكة علوة المسـيحية بحوالى ثلاثين عاما(٦٩) ٠ ونتيجة لهـذا التسلل السـلمى للقبائل العربية فى هـذه المملكة ، انتهى الأمر فى بداية القرن السادس عشر للميلاد بالقضـاء على هـذه المملكة المسيحية وتحويلها الى دولة عربية اسـلامية سميت بدولة الفونج(٧٠) ٠

(٦٧) حسن محمود : نفس المرجع ، ص ٢٩٨ ،

Mac Michaal : the Coming of the Arabs to the sudan, p. 55.

(٦٨) الشاطر بصيلى : تاريخ وحضارات السودان الشرقى والأوسط، ص ٣٦ ، مصطفى مسـعد : الاسـلام والنوبة ص ٢٠٢ ، حسن محمود : نفس المرجع ، ص ٢٩٨

(٦٩) حسن محمود : نفس المرجع ، ص ٢٩٩

(٧٠) المرجع السـابق ، ص ٢٩٨

وعلى ذلك فان العرب على هـذا النحـو احاطوا بدافور من جهة الشمال من مصر وكذلك من الشرق اى من بلاد النوبة وخاصة بعد أن انهارت مملكتا مقرة وعلوة المسـيحيتين وقامت على انقاضها مملكتان عربيتان اسـلاميتان هما مملكة الكنوز ومملكة الفونج • وكان لهـذا الوجود العربى فى بلاد النوبة على هـذا النحو آثار كبيرة بالنسبة لدارفور ، اذ انطلقت هجرات العرب من هـذه البلاد اليها مباشرة عبر كردفان ، أو عبر صحراء النوبة التى تقع شـمال كردفان وتتصل بشمال دارفور •

وكانت الهجرات من النوبة الى كردفان ثم الى دارفور أمرا معروفا منـذ التاريخ القـديم • وتخبرنا المصـادر التاريخية بأن الأسرة المـالكة فى مملكة مروى انتقلت من عاصمتها التى كانت تسـمى براوات الى شمال كردفان بعـد عام ٢٥٤م ، نتيجة لقيـام مجموعات من النوبيين الذين كانوا يسكنون شمال كردفان فى ذلك الحين بالهجوم على هـذه المملكة وتخريب بلدانها ، مما أضعفها امام الهجوم الحبشى الذى شـنه عليهـا الملك عيزانا ملك أكسـوم حوالى منتصف القـرن الرابع للميـلاد ، وتمكن من القضـاء عليها نهائيا وتخريب المدن التى تقع بين بربر شمالا وعلوة جنوبا • وكان من نتيجة ذلك أن خرجت مجموعات من القبائل المحليـة نحو الغرب(٧١) ، أى نحو كردفان ودارفور •

وقـد فعل العرب نفس الشىء ، اذ سلكوا نفس الطريق ، واتجهوا من مقرة وعلوة الى هـذه الجهات اى الى كردفان ومنها الى دارفور(٧٢) ، وذلك اذا ما احسـوا باى ضـغط سـياسى او اقتصادى يقع عليهم من ملوك هاتين المملكتين المسيحيتين ، وربما كان خروجهم الى دارفور ايضا بقصـد المتاجرة فى هـذه البلاد التى كانت تزخر كما قلنا بثروات طبيعية

---

(٧١) الشاطر بصيلى : تاريخ وحضارات السودان الشرقى والأوسط ص ٦٦ - ٦٨

(٧٢) كولين ماكيفيدى : نفس المرجع ، ص ٩٥

مثل العـاج وريش النعام وغير ذلك مما كان يشجعهم على الهجرة اليها . وطبيعى أن هـذه الهجرة من مقرة وعلوة الى دارفور قـد اشـتدت بعد أن سـقطت هاتان المملكتان وتحولتا الى الاسـلام .

واذا كان العرب قد احاطوا بدارفور على هـذا النحو من الشـمال والشرق ، فانه كان لهم وجـود فى ناحية الغـرب ، وان كان وجـودا محـدودا . وهـذا الغرب الذى نقصـده فى هـذا الحديث هو دولتـا الكانم والبرنو اللتان قامتا على التوالى فى العصور الوسـطى فى حوض بحيرة تشـاد وما يحيط بها من بلدان ، مما يعرف عادة باسـم السودان الأوسـط .

ومعروف أن بلاد الكانم قـد دخلها الاسـلام وقامت فيهـا مملكة اسـلامية قرب نهاية القرن الحادى عشر للميلاد(٧٣) ، ونتيجة لذلك فقد ازداد تسرب العرب اليها منذ ذلك الحين . وكان هـذا التسرب منذ عهد بنى أمية ، وقبل أن تقوم هـذه الدولة ، اذ يخبرنا بأن بعض بنى أمية هاجروا اليها بعد سـقوط دولتهم على يد العباسيين فى عام ١٣٢ هـ / ٧٥٠م(٧٤) .

وقـد ازدادت هجرة العرب فى العصور التالية الى بلاد الكانم وصاروا يعرفون فيها باسـم عرب الشـوا ، ربما نسـبة الى كلمة الشـاة حيث كانوا يحترفون مهنة رعى الابل والمـاعز والضـأن والأبقار ، وكان (الشـوا) فى هـذه البلاد ينقسمون الى مجموعات ، منهم الحسـاونة ، وهم العرب الذين جاءوا الى حوض نهر شـارى الذى يصب فى بحيرة تشـاد وذلك عن طريق طرابلس ، ومنهم جهينة الذين جاءوا عن طريق

(73) Robert July : op. cit, p. 70.

(٧٤) ياقوت : معجم البلدان ، دار صادر ، بيروت ، سنة ١٩٥٧ ، جـ ٤ ص ٤٣٢

حوض وادى النيل الأوسط وكردفان ودارفور · ومن اشهر قبائل مجموعة الحساونة : العسالة والدقنة (بفتح الدال والقاف والنون) ، ويحتمل ان هؤلاء العرب جاءوا من الشمال بعد وصول جهينة(٧٥) ·

وكان العرب الذين هاجروا الى بلاد الكانم ينقسمون الى ابالة وبقارة ، الآبالة فى الشمال وهم بدو متنقلون والبقارة فى جنوبهم وهم رعاة الماشية ، وهم فى غالب الأحوال يضطرون الى اختيار الحياة الحضرية المستقرة(٧٦) ·

وقد اثر هؤلاء العرب الذين قدموا الى هذه البلاد فى حياة اهلها حتى صاروا كما قال ياقوت « على زى العرب واحوالها »(٧٧) ، كما كان لهم تأثيرهم فى حياتها السياسية والأمنية ، مثال ذلك ما تحكيه المصادر التاريخية عن قبيلة جذام العربية التى هاجرت الى هذه البلاد وكان لها وجود فيها فى القرن الرابع عشر للميلاد ، وما حدث من اعتدائها على الأهالى لدرجة أن ارسل سلطان البلاد الى سلطان مصر يشكوهم اليه(٧٨) ·

كما أن العرب الذين سكنوا بلاد الكانم كانت لهم مساهماتهم مع البولالا فى اخضاع الأسرة الحاكمة لهؤلاء البولالا الذين كانو فرعا من

---

(٧٥) الشاطر بصيلى : تاريخ وحضارات السودان الشرقى والأسط ، ص ٤٣٣

(٧٦) المرجع السابق ، ص ٤٣٣

(٧٧) ياقوت : معجم البلدان ، دار صادر ، بيروت ، سنة ١٩٥٧ ، جـ٤ ص ٤٣٢

(٧٨) انظر نص رسالة سلطان الكانم الى سلطان مصر عند القلقشندى فى كتابه صبح الأعشى ، جـ٨ ص ١١٦ – ١١٨ ، وانظر أيضا : حسن محمود : نفس المرجع ، ص ٢٣٨ ، الشاطر بصيلى : تاريخ وحضارات السودان الشرقى ، ص ٤٢٣

فروع هـذه الأسرة ، وذلك فى عام ٧٨٨هـ/١٣٨٦م ، وان لم يكن هناك وكما يقول آركل دليل قوى على هـذه المساعدة التى قدمها العرب للبولالا الذين استطاعوا أن يطردوا الأسرة الحاكمة الى غربى بحيرة تشـاد فى بورنو ، وأن يؤسسوا مكانهم فى اقليم الكانم فى شرقى هـذه البحيرة امبراطورية واسعة تعرف باسم جاوجا Gaoga ، وكان أول سلطان لها يسـمى عبد الجليل(٧٩) . وشـكوى سلطان الكانم من عرب جذام ، ومساعدة العرب للبولالا تدلان بشكل واضح على كثرة هؤلاء العرب فى هـذه البلاد وعلى ازدياد نشاطهم فيها .

ولا شـك أن وجود العرب فى هـذه البلاد ، نقصـد بلاد الكانم كان له تأثيره فى نفاذ تأثيرات عربية الى دارفور التى تقع الى الشرق من هـذه البلاد التى ازدادت أهميتها بعد أن صارت همزة الوصل بين دارفور وبين البلدان العربية التى تقع شمالها ، ومعبرا لهجرات العرب اليها عبر طرق التجارة التى كانت تربط هـذه البلدان بالكانم . ذلك ان سلطنة الكانم الاسلامية ما لبثت ان قوى أمرها واشتد نفوذها قبل أن يهاجمها البولالا حتى وصل هـذا النفوذ شرقا الى واداى التى تقع الى الغـرب من دارفور ، وشمالا حتى فزان بليبيـا ، وسيطرت على الطرق التجارية التى تربط تشـاد بطرابلس الليبية(٨٠) ، وسيطرت أيضا على الطريق التجارى الذى يمر بشمال دارفور متجها الى نهر النيل(٨١) .

وكانت القوافـل القادمة الى تشـاد من شرقى الصـحراء والنيل تتلاقى كلها فى دارفور ، حيث كان يوجد طريق شرقى غربى يمتد من النيل ويمر بشـمال دارفور ويتجه غرب تشـاد ومنها الى بلاد السودان الغربى حتى السنغال موازيا للحافة الجنوبية للصحراء الكبرى . وقد سهل هـذا الطريق عبور الناس والأفكار والمتاجر والهجرات(٨٢) .

---

(٧٩) الشاطر بصيلى : نفس المرجع ، ص ٤٣٦

(80) Robert July : op, cit. p. 71.

(٨١) انظر ص ٤٢

(82) Robert July : op. cit, p. 39.

يضاف الى ذلك ان دارفور والكانم والدول والمدن الأخرى التى تمتد من ساحل السنغال الى كردفان عبر السفانا السودانية والاستبس الجافة والتى تقع على جنوبى حافة الصحراء ، كانت تمثل أيضا النهاية التى تنتهى اليها طرق القوافل القادمة من شمال افريقيا عبر الصحراء الكبرى(٨٣) .

ولا شك أن هذه الروابط السياسية والتجارية والجغرافية التى تربط بين دارفور وحوض بحيرة تشاد من ناحية وبين تشاد والبلدان العربية التى تقع فى شمال افريقيا وفى شرقها من ناحية أخرى قد مهدت السبيل أمام الهجرات العربية وغير العربية القادمة من هذه البلدان الى دارفور .

وفى هذا الصدد نسمع من يقول بان الفونج الذين اقاموا دولتهم فى سنار فى عام ٩١٠ هـ / ١٥٠٤ م ، جاءوا من منطقة من بحيرة تشاد ، على أساس ان نفوذ الكانم قد امتد شرقا الى وادى النيل ، وان الروايات المحلية فى هذه البلاد تشير الى أن سلطنة سنار اسسها الملك عثمان الذى طرد من الكانم عام ٨٩١هـ/١٤٨٦م ، وان عمارة دونقس مؤسس سلطنة سنار من سلالة الملك عثمان(٨٤) . ومهما كان نصيب هذا القول الذى فنده أستاذنا الدكتور حسن محمود من الصحة ، فانه يشير على الأقل الى أن هجرات قدمت من الكانم الى دار فور ، وواصل بعضها الزحف حتى سنار ، وربما استقر بعضها الآخر فى دارفور نفسها .

يدل على ذلك ان كثيرا من القبائل العربية التى عاشت فى بلاد الكانم وما يحيط بها ويخضع لها من بلدان مثل واداى وباجرمى اللتين تقعان فى شرقها ، كانت لها نظائر تعيش فى دارفور وتحمل نفس الاسم والمثال على ذلك عرب السلامات ، واولاد راشد ، والمسيرية ،

(83) Jacques Moquet : Civilization of Black Africa , New york , 1972, p. 140.

(٨٤) حسن محمود : نفس المرجع ، ص ٣١٤ — ٣١٥

والمحاميد ، وخزام وبنو حسين ، وبنو هلبة(٨٥) ، مما يؤكد عظيم الصلة بين بلاد الكانم ودارفور ، وخاصة اذا ما عرفنا أيضا أن كثيرا من القبائل غير العربية التى عاشت فى احداهما كان لها نظير فى الأخرى وتحمل نفس الاسم .

والمثال على ذلك التنجور الذين يشك فى عروبتهم كانوا يعيشون فى واداى والكانم وكذلك فى دارفور ، وهناك من يقول بأنهم قدموا من الكانم الى دارفور حاملين الاسلام اليها(٨٦) .ونفس الكلام ينطبق أيضا على الفولة (الفولانى) الذين سكنوا باجرمى كما سكنوا دارفور(٨٧) ، وكذلك الزغاوة الذين عاشوا فى واداى والكانم ودارفور(٨٨) . وكذلك جماعات البرقو الذين سكنوا واداى وبرنو ، فقد انتقلت جماعة منهم الى دارفور حيث عرفوا مع غيرهم من الجماعات القليلة الوافدة من واداى باسم المراريت ، وكان معظمهم يسكن شرق ووسط دارفور ، ولهم هناك مملكة باسم مملكة البرقو(٨٩) ، وهو نفس الاسم الذى كان يطلق على واداى أيضا نظرا لكثرتهم فيها(٩٠) .

ونفس الحال مع قبيلة الميمة التى كانت تسكن شرقى دارفور(٩١) ،

---

(٨٥) الشاطر بصيلى : تاريخ وحضارات السودان الشرقى والأوسط، ص ٤٣٤ ، دائرة المعارف الاسلامية ، جـ٦ ، ص ٢٢٣ ، جـ٧ ص ١٨٨ ،
Mac Michael : A history of the Arabs in the Sudan, Vol I, pp. 293 - 296.

(٨٦) الموسوعة العربية الميسرة ، جـ١ ص ٧٧٣

(٨٧) أحمد شلبى : نفس المرجع ، جـ٦ ص ٣٠٠ ، التونسى ، ص ١٤٥

(٨٨) انظر ، ص ٣٩ ، ٤٢ ، ٤٣

(٨٩) التونسى : نفس المصدر ، ص ٧٤ ، ١٣٧

(٩٠) المصدر السابق ، ص ٧٤

(٩١) المصدر السابق ، ص ١٣٧ — ١٣٨

فقد كان بعضها يسكن ايضا واداى كقبيلة كبيرة انتشرت فى هذا الاقليم حتى وصلت الى أقصى جنوبه • وربما كانت هذه القبيلة قد هاجرت الى واداى ودارفور من المنطقة التى تقع غرب تمبكت التى تقع على منحنى نهر النيجر(٩٢) حيث يوجد هناك بلدة تحمل نفس الاسم(٩٣) •

واذا كانت هذه القبائل العربية وغير العربية التى سكنت دارفور ويرجح هجرتها اليها من بلاد الكانم ، فان هذه البلاد كانت معبرا لهجرات عربية أخرى وفدت اليها من ليبيا وتونس ومنها اتجهت شرقا الى دارفور • والمثال على ذلك هجرة العرب الذين قادهم أحمد المعقور حيث تذكر الروايات انه قدم من تونس الى دارفور واستقر فيها هو وقومه من العرب(٩٤) ، ربما عن طريق الكانم أو من تونس الى دارفور مباشرة •

وعلى هذا النحو كان موقع اقليم دارفور من العوامل التى ساعدت على هجرة القبائل العربية التى وصلت اليه على مدى قرون وقبل قيام سلطنة دار فور الاسلامية قرب منتصف القرن الخامس عشر للميلاد •

وليس من شك فى ان الموقع كان له تأثيره فى مجال آخر ، وهو مجال التجارة بين دارفور وما يحيط بها من بلدان ، وكان لهذه التجارة اثرها فى قدوم كثير من العرب الى دارفور •

٤ ـ التجارة واثرها فى قدوم العرب الى دارفور :

تعتبر التجارة بالاضافة الى العوامل السابقة عاملا هاما من عوامل قدوم العرب وهجرتهم الى دارفور • فقد اشتهر هذا الاقليم ببعض

(٩٢) المصدر السابق ، ص ١٣٧ ـ ١٣٨ هامش (٤)

(٩٣) ابن بطوطة : رحلته ، جـ ٢ ، ص ٧٠٤

(٩٤) توماس آرنولد : نفس المرجع ، ص ٣٥٩

المحاصيل والسلع التى كانت مطلوبة فيما يحيط بها من بلدان وخاصة مصر ، مثل العاج وريش النعام والجلود والرقيق وغيرها • كما أنها كانت فى حاجة الى سلع معينة كانت فى أمس الحاجة اليها وخاصة الدخن والذرة والملبوسات التى كان أهل البادية يحتاجون اليها فى حياتهم اليومية(٩٥) •

وكانت الطرق التجارية التى تمر بدارفور تجلب لأهلها كل ما يحتاجون اليه وخاصة من الخرز والتوابل والأقمشة والذهب والنحاس والخشب والبهارات وماء الورد والملح والأسماك المجففة(٩٦) •

ولذلك كثرت الرحلات التجارية الى دارفور حتى أصبحت « مهجر التجارة ومحط آمالهم ومفتاح السعادة بالنسبة لهم ، وكان التاجر لا يرتفع ذكره ولا تعظم ثروته الا اذا تردد اليها وقطع المسافات الشاسعة للوصول اليها(٩٧) ، فيستقر هناك بضع شهور يستبدل ما معه من سلع بما يحصل عليه من منتجات دارفور ، وكان يتنقل بين مراكزها التجارية العديدة للحصول على هذه السلع •

ومن أهم هذه المراكز التجارية مدينة اورى Uri التى كانت عاصمة لدارفور أثناء دولة التنجور الذين حكموها فى العصور الوسطى فيما بين القرنين الثالث عشر والخامس عشر للميلاد • وقد انتعشت هذه المدينة بسبب موقعها الممتاز الذى جعلها تربط بين ثلاث طرق تجارية منها طريق درب الأربعين الذى يبدأ من اسيوط وينتهى عند اورى ، والطريق الليبى الذى يبدأ من طرابلس وينتهى عند هذه المدينة أيضا(٩٨) •

---

(٩٥) التونسى : نفس المصدر ، ص ٢٩٣

(٩٦) الشاطر بصيلى : تاريخ وحضارات السودان الشرقى والأوسط ، ص ٣٩١

(٩٧) عبد الله حسين : السودان من التاريخ القديم ، ج ٢ ص ٤٦٣

(98) Arkell : the history of Darfur , S. N. R, IV, pp. 250,267

ويقول آركل انه من المحتمل ان مدينة أورى ظلت المركز الرئيسى للتجارة مع مصر ، كما أن مدينة سوينة Sueini التى تقع على بعد اميال قليلة شمال أورى ظلت واحدة من اعظم المدن المعروفة فى دارفور ، والمقر الدائم للتجار الذين يتاجرون مع مصر ، ومفتاح الطريق الى الشمال حتى نهاية القرن الثامن عشر للميلاد(٩٩) .

ومن المراكز التجارية الرئيسية الأخرى فى دارفور مدينة كوبى Kobbe التى تقع فى السهل الأوسط على بعد عشرين ميلا غرب الفاشر ، وهى من أهم مدن دارفور ومن اشهر مراكزها التجاريه . فمنها كانت القوافل تخرج متجهة الى مصر عن طريق درب الأربعين(١٠٠) ، مما جعلها العاصمة التجارية للبلاد . وقد ظلت هذه المدينة تحتفظ بمركز العاصمة التجارية حتى نضب ماؤها وأصبحت الفاشر فى العصر الحديث هى المركز الادارى والتجارى لدارفور ، كما كانت مدينة أورى فى الماضى(١٠١) .

وقد كانت القوافل ترحل من دارفور الى مصر عن طريق درب الاربعين ، وكانت القافلة الواحدة تتكون من حوالى ١٥٠٠ جمل ، وقد تصل أحيانا الى عدد كبير يصل الى ما بين عشرة آلاف وخمسة عشر الف جمل تحمل الرقيق والعاج وخشب الأبنوس والجلود وريش النعام والصمغ العربى والنطرون والعسل الذى يجود فى دارفور ، والتمرهندى الذى يسمونه العرديب والذى تشتهر به دارفور وكردفان . وكانت هذه القافلة تعود اليها من مصر محملة بالمنسوجات والمسابح والعقود المصنوعة من الخرز الزجاجى وأدوات الزينة والحلى المصنوعة من الفضة التى تتزين بها النسوة كالأساور والأقراط وما اليها ، وكانت قوافل دارفور

(99) Ibid : S.N.R., IV, p. 257.

(١٠٠) نعوم شقير : نفس المرجع ، ج ١ ص ١١٠

(101) Arkell : The history of Darfut S. N. R., IV, footnote (1) p. 257 & A history of the Sudan, p. 214

تشــترى منها المقادير الكبيرة ، وكذلك الآجراس الدقيقة التى يحلون بها لجام الجمل وسنمه فى سنار ودارفور ، والمرايا التى لا تتزوج فتــاة فى هذه البـــلاد دون أن تزين حجرتها بواحدة منها ، والســلاح والسيوف وغيرها من المصنوعات المعدنية مما يحتاجه أهل دارفور الذين شحت المعادن فى بلادهم حتى ان نساءها كن يتخذن حليهن من الحجارة(١٠٢) .

وكان تجار دارفور مشــهورين فى القــاهرة بأنهم أسخى فى الدفع من تجار طريق القوافل الشرقية ، وهى قوافل ســنار وبلاد النوبة ، وكانوا يودعون فى تجارتهم راســمال أكبر ، ويؤتمنون على قروض أوفر ، لا ســيما فى اسـيوط حيث يبتاع منهم بضاعتهم ، ويجنى المصريون من وراء ذلك ارباحا باهظــة تكاد تصــل الى ضعف ثمن التجــارة الأصــلى أو ثلاثة اضعافها ، وكذلك تبلغ نســـبة الربح فى حاصـلات الجنوب حين تباع فى مصر(١٠٣) .

ولذلك اثرى التجار المصريون ثراء كبيرا من وراء هذه التجــارة ، وكذلك اثرى ســكان المدن المصرية التى تقع على النيل والتى كانت تصلها هــذه القوافل التجــارية القادمة من دارفور ثراء اشــار اليه الحسن الوزان فى بداية القرن الســادس عشر للميـلاد ، فقال على ســبيل المثال ان سكان منفلوط وسكان المنيا اغنياء لأنهم يتجرون مع بلاد السودان(١٠٤) .

---

(١٠٢) التونسى : نفس المصدر ، ص ٢١٠ ، نعوم شقير : نفس المرجع ، جـ ١ ص ٢٤ ، ١٤٠ ، جـ ٢ ص ١٤٦ ، ١٤٧ ، بوركهارت : رحلات بوركهارت فى بلاد النوبة والسودان ، تعريب فؤاد أندراوس ، القــاهرة ، سنة ١٩٥٩ ، ص ٢٣٥ ، ٢٣٦ ، ٢٤٢ ، ٢٤٣ ، ٢٤٧ ، ٢٥٥ ، الشــاطر بصيلى : تاريخ وحضارات السودان الشرقى والأوسط ، ص ٣٨٦ ، دائرة المعارف الاسلامية جـ ٣ ص ٤٠٢ ، ٤٠٣ ،

(١٠٣) بوركهارت : نفس المرجع ، ص ٢٣٧

(١٠٤) وصف افريقيا ، جـ ٢ ص ٢٣٥ ، ٢٣٦

ونتج عن ذلك انتعاش التجـارة بين مصر ودارفور انتعاشا كبيرا ، وكثر تردد تجار دارفور الى مصر ، حتى كان يأتى اليها منهم عدد كبير(١٠٥) ، كما كثر ورود التجار المصريين الى دارفور فى قوافل منتظمة ، وكان العرب يصاحبون هـذه القوافل ، سواء كانوا تجارا أم مهاجرين ٠

وبطبيعـة الحـال لم تنتعش التجـارة بين دارفور ومصر فقط ، وانما انتعشت ايضا مع البلدان المجاورة وخاصـة بلاد النوبة التى هى اقرب جغرافيا ومكانيا اليهـا من مصر ٠ ونظرا لقلة الموارد الطبيعيـة فى بلاد النوبة فقد اشـتغل اهلها بالتجـارة ، سـاعدهم على ذلك وجود عـدد من المراكز التجـارية التى انطلق منها التجـار الى دارفور ٠ وكانت هـذه المراكز تقع بطبيعة الحال على نهر النيل ، ومن اشـهرها مدينة الدبة وكورتى ودنقلة التى كانت تتصل بطريق درب الأربعين الذاهب الى دارفور ، ومدينة مروى عاصمة عرب الشايقية والتى أصبحت مركزا استراتيجيا على طريق القوافل القادمة من سواكن على سـاحل البحر الأحمر ، ومن مدينة سـنار ، ومن مصر عبر صحراء العتمور والتى تتجه الى دارفور وما يقع غربها من بلاد حتى المغرب الأقصى(١٠٦) ٠

ومن المركز التجـارية الأخرى ببـلاد النوبة مدينة شـندى وهى احـدى بلاد الشايقية العرب حيث كان يجلب اليها التجـار من كردفان ودارفور ريش النعام والرقيق والجلود ، ثم يعودون الى دارفور وكردفان من سـوق شـندى بالسنبل والمحلب والكحل والعقود والتوابل الكثيرة وعلى الأخص القرنفل ، وكان النـاس يتهافتون على شرائه فى اقاليم السـودان الغربية ، وذلك الى جانب أقبالهم على المنسـوجات الحريرية والدمور السـنارى والكتان المصرى(١٠٧) ٠

---

(١٠٥) التونسى : نفس المصدر ، ص ٣٤٥

(١٠٦) الشـاطر بصيلى : معالم تاريخ سـودان وادى النيـل ، ص ٣٦ ، بوركهارت : نفس المرجع ، ص ٦١

(١٠٧) بوركهارت : نفس المرجع ، ص ٢٤٧ ، ٢٥٠ ، ٢٥٥

كذلك كان لدارفور علاقاتها التجارية مع البلدان التى تقع خلف حوض نهر الغزال وتتجه جنوبا حتى تصل الى ساحل بر الزنج فى شرقى افريقيا • كما كانت لها علاقات تجارية مع الصومال بواسطة طريق تجارى للقوافل يسير من الصومال الى بحر الغزال ومنه الى دارفور (١٠٨) •

وكانت لها أيضا علاقاتها التجارية مع البلدان التى تقع الى الغرب منها مثل بلاد الكانم والبرنو وما يقع خلفها من بلدان (١٠٩) • ولا شك ان التجارة التى قامت بين دارفور وبين البلدان المحيطة بها سواء القريبة منها أو البعيدة ، كان لها اثرها فى قدوم كثير من التجار والمهاجرين العرب وغير العرب اليها ، وكان بعضهم يستقر فيها ويتخذها سكنا وموطنا •

فاذا أضفنا الى عامل التجارة العوامل الأخرى التى تحدثنا عنها لأدركنا أن هناك عوامل عديدة أدت الى هجرة العرب الى دارفور واستقرارهم فيها • وقبل ان نتحدث عن هجرات هؤلاء العرب لابد ان نعرف أيضا الطرق والمسالك التى سلكها هؤلاء العرب الى دارفور سواء كانوا مهاجرين أم تجارا ، مقيمين فيها اقامة دائمة أم مؤقتة •

(ب) مسالك وطرق الهجرة العربية الى دارفور

تعددت المسالك والبلدان التى انطلق منها العرب الى دارفور سواء كانوا مهاجرين أم تجارا ، وكان بعض هذه البلدان قد صار ديارا للعرب، وتعرب أهلها تماما مثل مصر وبلاد النوبة وليبيا وتونس ، بينما كانت الأخرى مهجرا لبعض القبائل العربية التى عاشت ضمن سكانها من البربر والسودان ، أو كانت تحت سلطان العرب ونفوذهم التجارى والسياسى

---

(١٠٨) الشاطر بصيلى : تاريخ وحضارات السودان الشرقى والأوسط ، ص ١٩٧ ، ٢٤١ ، ٣٩٨ ، ٤٠١

(109) Robert July : op . cit, p. 39.

ومهجرا لهم أيضا ، مثل ساحل الزنج الذى يمتد من جنوب الصومال حتى موزمبيق فى جنوب شرق قارة افريقيا ٠

١ ــ الطرق القادمة من مصر :

وقد اتى العرب الى دارفور مع طرق التجارة القادمة من هذه البلدان ، وكذلك من البلدان التى تقع خلفها ، مثل اليمن وعمان وبلاد الحجاز والعراق وبلاد المغرب ٠ ويبدو أن الجهة الرئيسية التى اتى منها العرب الى دارفور كانت مصر(١١٠) ٠ أولا : لأن حركة العرب عبر مصر معروفة ، اذ سجلها المؤرخون الأقباط والمسلمون ، بينما لم يوجد واحد ارخ لما حدث على ساحل البحر الأحمر الذى قيل ان كثيرا من اسلاف القبائل العربية فى السودان أتوا عن طريقه(١١١) ٠

وثانيا : لأن كل القبائل العربية فى دارفور والسودان عامة هى نفسها التى تحتل الكتلة الرئيسية للقبائل العربية المنتشرة فى الأجزاء المختلفة من مصر منذ القديم وحتى اليوم ٠ والدليل على ذلك أن جهينة التى تسكن دارفور وغيرها من انحاء السودان لازالت توجد بها عوائل وبطون فى مصر بمركز فاقوس بمحافظة الشرقية ، وفى شبين القناطر بمحافظة القليوبية ، وفى اسيوط ٠ وكذلك قبائل فزارة التى تعيش فى دارفور مازالت توجد منها عوائل فى مركز سنورس بمحافظة الفيوم ، وملوى بمحافظة اسيوط ، والواسطى بمحافظة بنى سويف ٠ والرزيقات الذين يعيشون فى دارفور مازالوا منتشرين فى كوم امبو وغيرها من بلاد مصر ٠ وبنو هلبة الذين يعيشون فى دارفور يوجد أصلهم فى مسجد موسى بمركز الصف بمحافظة الجيزة وفى قرية النويرة بمحافظة بنى سويف ٠ والحويطات الذين يعيشون شرق النيل وجنوب القاهرة وعلى مقربة منها ، هم الأصل فى الحوطية (الهوتية) بدارفور ، وكذلك الحال بالنسبة للقبائل الأخرى التى تعيش فى مصر ودارفور مثل أولاد على الذين

(110) Baddour : op. cit, p. 40 & Hamilton : op. cit, p. 47.

(111) Mac Michael : The Coming of the Arabs , pp. 46-47.

هم فى الأصل فرع من بنى سليم ويعيشون فى محافظة الجيزة والبحيرة ، ومثل دغيم والجعافرة وبنى امية وقريش وغيرهم من القبائل العربية الأخرى(١١٢) .

وثالثا : لأنه ليس هناك دليل على أن معظم العرب النازحين الى دارفور والسودان بصفة عامة قد جاءوا عن طريق آخر ، وذلك مع عدم اغفال بعض الموجات العربية الثانوية التى أتت مباشرة من شبه الجزيرة العربية عبر البحر الأحمر(١١٣) الى النوبة ثم الى دارفور ، أو عن طريق شمال افريقيا من ليبيا وتونس عبر السهوب والبرارى الواقعة بين النوبة واقليم تشاد(١١٤) ، أو عن طرق غير مباشرة عبر شمال غرب افريقيا أو غربى أفريقيا(١١٥) .

وعلى ذلك فقد كانت مصر هى الباب الرئيسى الذى اتى منه المهاجرون العرب وكذلك التجار العرب الى دارفور ، وذلك من خلال طرق عديدة ربطت بين البلدين . وقد ذكر الدكتور مصطفى مسعد أن الطرق التى ربطت دارفور بمصر عبارة عن طريق واحد هو طريق درب الأربعين الذى بدأ من أسيوط ، ويشير الى طريق آخر ربط دارفور بليبيا بادئا من طرابلس ، ويقول أن هذين الطريقين ظلا وسيلة الاتصال التجارى والحضارى فيما بين دارفور ومصر وطرابلس عبر الأجيال والعصور حتى العصر الحديث ، حينما امتدت السكة الحديدية من الخرطوم الى الأبيض وأخيرا الى نيالا بدارفور ، فتغيرت وسائل النقل وبطل استعمال هذين الطريقين القديمين(١١٦) .

---

(١١٢) محمد عبد الرحيم : محاضرة عن العروبة فى السودان ، ص ٦٨ ، ٦٩

(113) Baddour : op . cit, p. 40.

(١١٤) مصطفى مسعد : سلطنة دارفور ، ص ٢١٧

(115) Baddour : op. cit, p. 40.

(١١٦) مصطفى مسعد : نفس المرجع ، ص ٢٠٦

وفى الواقع فقد اتصلت دارفور بمصر بواسطة عدة طرق وليس بطريق واحد . فهناك طريق درب الأربعين ، وهناك طريق صحراوى غربى يبدأ من الاسكندرية ويمر بغربى الدلتا ثم يتجه جنوبا الى الواحات وينتهى الى دارفور ، وكذلك هناك طريق نهر النيل الذى ينتهى الى دنقلة وبلاد النوبة ، وفى هذه البلاد يتفرع هذا الطريق الى عدة طرق ، يتجه احداها الى دارفور عبر كردفان او متصلا بدرب الأربعين مباشرة .

اما طريق درب الأربعين وهو اشهرها ، فقد سمى بهذا الاسم لأن الرحلة عبره تستغرق اربعين يوما(١١٧) . ويبدأ هذا الطريق من اسيوط بصعيد مصر ويتجه غربا بجنوب حتى يمر بالواحات الجنوبية ، اقصد الواحة الداخلة ، والخارجة ، والفرافرة(١١٨) . والطريق عند هذه الواحات يتصل بالوادى بطرق عديدة تربطه بكثير من المدن والنواحى الواقعة على نهر النيل مثل اسوان واسنا وارمنت والبلينا واخميم واشمون التى تصل نهر النيل بالواحة الخارجة ، ومثل القيس والبهنسا التى تصل نهر النيل بالواحة الداخلة(١١٩) .

وقد كانت هذه الطرق او المسالك تتصل بدرب الأربعين عندما يتجه من الواحات جنوبا حتى يصل الى واحة سليمة التى تبعد عن نهر النيل مسافة يومين ونصف يوم فى الصحراء الغربية . وكانت هذه الواحة محطة للقوافل المتجهة الى دارفور او القادمة منها فى طريقها الى اسيوط . وكان النوبيون ينتظرون هذه القوافل ويصلون الى واحة سليمة ليبيعون للمسافرين التمر وغيره من الزاد والطعام(١٢٠) .

---

(١١٧) نعوم شقير : نفس المرجع ، ج ١ ص ١٥٠

(١١٨) الشاطر بصيلى : تاريخ وحضارات السودان الشرقى والأوسط ، ص ٣٣٤

(١١٩) ابن حوقل : كتاب صورة الأرض (المسالك والممالك) ، بيروت ، سنة ١٩٧٩ ، ص ١٤٥

(١٢٠) بوركهارت : نفس المرجع ، ص ٤٥

وبعد مغادرة واحة سليمة يمر طريق درب الأربعين بوادى هوار وببئر النطرون(١٢١) . ويتصل هذا الطريق مرة أخرى بواسطة طريق فرعى يأتى من منطقة دنقلة(١٢٢) التى تتصل به فى هذه المرحلة ، أو تتصل به عن طريق الواحة الخارجة(١٢٣) . ويستمر الطريق الرئيسى فى امتداده حتى يصل الى شمالى دارفور وينتهى الى مدينة أورى عاصمة مملكة التنجور التى قامت فى حكم دارفور فى العصور الوسطى ابتداء من القرن الثالث عشر للميلاد كما سبق القول . وقد انتعشت هذه المدينة وكذلك بقية المراكز التجارية الأخرى التى تقع فى دارفور والتى سبقت الاشارة اليها بسبب هذا الطريق(١٢٤) .

ولم يكن العرب هم أول من سلك هذا الطريق فى وجهتهم نحو دارفور ، وانما كان هذا الطريق معروفا للمصريين منذ العصر الفرعونى ، وذلك بهدف تنشيط الحركة التجارية بين البلدين . ومن أجل ذلك قام القائد الفرعونى المسمى حركوف فى عهد الأسرة الفرعونية السادسة بأربع رحلات ناجحة الى بلاد النوبة والسودان ، وكان طريق درب الأربعين من أشهر الطرق التى سلكها فى هذه الرحلات والذى ظل يستخدم حتى القرن العشرين فى التجارة بين مصر والسودان(١٢٥) .

ويبدو أن حركوف توغل فى رحلاته حتى بلغ اقليمى كردفان ودارفور ، بدليل ما ورد فى رحلاته من ذكر أسماء لأماكن لازالت موجودة فى دارفور ، مثل لفظ ارتيت Irtet الذى من الممكن ان يكون هو نفسه المكان المسمى Urti والذى لازال موجودا فى شمال جبل ميدوب فى شمالى دارفور وعلى خط عرض الخرطوم . ومثل لفظ القمح Temeh

---

(121) Arkell : The history of Darfur, S. N. R. IV, p. 250.

(١٢٢) الشاطر بصيلى : تاريخ وحضارات السودان الشرقى الأوسط ، ص ٣٣٥

(١٢٣) ابن حوقل : نفس المصدر ، ص ١٤٥

(١٢٤) انظر ، ص ٣٨ ، ٤٦

(125) Arkell : A history of the Sudan, pp. 42 - 44.

الذى يقول عنه آركل انه لا يزال حيا فى كلمة تامه Tama الحديثة والتى تدل على ناحية تقع شمال غربى دارفور وجنوب خط عرض الخرطوم قليلا تجاه الشمال الشرقى لوادای ٠ ومما يدل ايضا على توغل حركوف حتى غرب السودان انه احضر معه عند عودته سلعا مثل العاج وخشب الأبنوس والبخور ٠ ويقول آركل ان هذه السلع يمكن ان يحصل عليها من دارفور(١٢٦) ٠

وكما عرف المصريون القدماء بلاد السودان ومنها دارفور على هذا النحو ومنذ زمن موغل فى القدم ، فقد عرفه ايضا تجار العرب الأقدمون وقبل ظهور الاسلام بوقت طويل ٠ فقد كان يوجد بعض هؤلاء التجار فى مصر والسودان منذ ذلك التاريخ للحصول على الذهب والعاج والعبيد والتوابل ، وكانت هذه العملية معروفة فى العصور الرومانية والبطلمية ٠ وليس هناك من شك فى أن بعض هؤلاء التجار العرب استقر فى مصر والسودان ، ومن المحتمل انه التحق بهم آخرون ٠ وعلى أية حال فانه فى القرنين السابقين على العصر المسيحى وبعد ذلك عبر حميريون كثيرون من جنوبى الجزيرة العربية الى الحبشة(١٢٧) ، وكذلك هاجر بعضهم الى مصر ٠ ويذكر استرابو (٦٦ ق٠م - ٢٤ م) وبلينوس (حوالى ٧٠ م) وهما مؤرخان يونانيان عاشا فى أوائل العصر المسيحى أن العرب تكاثروا فى أيامهما على العدوة الغربية من البحر الأحمر حتى شغلوا ما بين وبين النيل فى أعلى الصعيد ، وأصبح نصف سكان قفط منهم ، وكان لهم جمال ينقلون عليها التجارة والناس بين البحر والنيل(١٢٨) ٠

---

(١٢٦) Ibid : pp. 42 - 44 ، زاهر رياض : مصر وافريقيا ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، سنة ١٩٧٦ ، ص ٨ - ١٠ ، احمد فخرى : مصر وأفريقيا فى العهد الفرعونى ، مجلة نهضة افريقية ، العدد ٤ سنة ١٩٥٨ ، ص ٤٤ - ٤٥

(127) Mac Michael : The Coming of the Arabs to the Sudan, p. 42 .

(١٢٨) عبد المجيد عابدين : دراسات فى تاريخ العروبة فى وادى النيل ، ص ٨٩

وبينما استقر بعض هؤلاء العرب سواء كانوا تجارا أم مهاجرين فى مصر والحبشة ، اتخذ آخرون طريقهم عبر النيل الأزرق وعطبرة شمالا الى بلاد النوبة(١٢٩) . ومن بلاد النوبة كان هناك طريق يبدأ من دنقلة ويتجه غربا ليتصل بطريق درب الأربعين الذى يصلها بدارفور(١٣٠) . ويؤكد ماكمايكل هذا المعنى بقوله ان هناك ما يبين أن بعضا من هؤلاء العرب سواء جاءوا من الشرق عبر البحر الأحمر أم من الشمال عبر وادى النيل ، وجدوا طريقهم غربا عبر كردفان ودارفور(١٣١) .

ولما فتح العرب مصر على يد عمرو بن العاص فى عام ٢٠ ق/٦٤٠ م وتدفقت القبائل العربية على مصر وملئوها ، سلكوا نفس الطريق وهو درب الأربعين للوصول الى أقليم دارفور . وهكذا لعب هذا الطريق دورا هاما فى نقل العروبة والاسلام وحضارته الى دارفور والى قلب القارة الافريقية والى بلدانها الغربية(١٣٢) .

وبجانب طريق درب الأربعين ، كان هناك طريق غربى صحراوى آخر ربط أيضا بين مصر ودارفور . وهو طريق يتوسط طريق نهر النيل والطريق الليبى التونسى ، ويسمى الطريق الليبى ، ربما لأنه يمر بعد أن يخرج من مصر بالصحراء الكبرى التى تسمى فى جزء منها بالصحراء الليبية ، وهى الصحراء التى تقع شمال دارفور وتشاد . وهذا الطريق الذى يربط شمال غرب السودان بمصر ، يمتد من غربى الدلتا أو من الاسكندرية على وجه التحديد ويتجه نحو الجنوب حتى يصل الى

(129) Mac Michael : op. cit, p. 42.

(١٣٠) الشاطر بصيلى : تاريخ وحضارات السودان الشرقى والأوسط ، ص ٣٣٥ ،

Purves :. Some Aspects of the Northern Province, p. 776.

(131) Mac Michael : The Coming of the Arabs, p. 42.

(١٣٢) الشاطر بصيلى : تاريخ وحضارات السودان الشرقى والأوسط ، ص ٣٣٥

الجهات الشمالية لكردفان ودارفور ٠ وهو طريق تذكره معظم القبائل المهاجرة من غرب مصر فى رواياتها واخبارها ، والدليل على ذلك ما يذكره الأستاذ سلجمان من أنه يجد صلة بين بعض القبائل التى تعيش فى غربى مصر وبين كثير من القبائل الجهنية التى تعيش فى السودان الغربى(١٣٣) ، أى فى غربى سودان النيل ٠

ويرجح الدكتور محمد عوض محمد ان قبائل البقارة واقاربهم من رعاة الابل وقبائل فزارة ونصف الكبابيش الذين هاجروا من مصر الى دارفور لم يقيموا فى الجهات النيلية ، وانما هاجروا الى مواقعهم الحالية كردفان ودارفور سالكين طرقا للهجرة ابتعدت بهم عن الجهات النيلية ، وهذه الطرق هى التى فضل ان يسميها الطرق الليبية ، والتى كان منها ذلك الطريق الذى نحن بصدد الحديث عنه الآن ، وكذلك طريق درب الأربعين الذى سبق الحديث عنه ، وغيرهما من الطرق التى تفضى من مصر الى دارفور وكردفان مباشرة(١٣٤) ٠

وبجانب هذين الطريقين اللذين يوصلان بين مصر ودارفور ، هناك طريق ثالث ولكنه غير مباشر ، اذ يأتى من مصر الى بلاد النوبة أولا ومنها الى كردفان فدارفور ، ويكاد هذا الطريق أن يكون هو الطريق الرئيسى للهجرات العربية القادمة الى السودان بصفة عامة ، كما انه كان من اقدم الطرق التى سلكتها هذه القبائل الى هذه البلاد(١٣٥) ٠ فالتاريخ لا يسجل فى أى عهد من عهوده وصول موجات هامة أو هجرات عنيفة الى السودان عن طريق غير طريق مجرى النيل الذى يمتد من الشمال الى الجنوب(١٣٦) ٠ ولذلك فان هذا الطريق يعتبر أهم

---

(١٣٣) محمد عوض محمد : السودان الشمالى ، ص ٢٣٥

(١٣٤) المرجع السابق ، ٢٣٤

(١٣٥) المرجع السابق ، ص ١٦٠

(١٣٦) مصطفى مسعد : امتداد الاسلام والعروبة ، ص ٧٧

الأبواب والمداخل التى دخلت منها الثقافة العربية الى السودان ، ونزحت بواسطته اغلبية القبائل العربية الى مواطنها الحالية فى السودان الشمالى ، كما أن له الفضل فى نشر العروبة فى السودان(١٣٧) .

وهــذا الطريق لا يلازم النهر فى كل جزء منه ، فهو يتابع النهر من جنوب أسوان الى كورسكو او قبلها بقليل ، ثم يخترق صحراء العتمور مباشرة الى المكان الذى تقع فيه بلدة أبى حمد الآن على نهر النيل فى بلاد النوبة ، حيث يتابع الامتداد مرة أخرى ويلازمه نحو الجنوب(١٣٨) .

ويعود السبب فى سلوك طريق العتمور الى انه اقصر من ملازمة النهر بين كورسكو وأبى حمــد ، فطوله لا يزيد عن ٢٤٠ ميلا ، كما انه يتجنب الأقاليم النوبية الكثيرة الســكان والتى لابد لمن يختارها طريقا لهجرته أن يخضع لمــا يفرضــه هؤلاء الســكان من شروط واتاوات . وطريق العتمور قديم مغرق فى القدم ، ولا شك أنه اسـتخدم فى العصور المصرية القديمة ، يدل على ذلك الآثار الرائعة والكثيرة التى تقع حول شندى . وظل هــذا الطريق مألوف للراحلين والتجار منــذ ذلك الزمن القديم حتى الأزمنة الحــديثة ، حيث اســتخدمه بوركهارت وغيره من المستكشفين(١٣٩) . وكذلك كان التجار كثيرا ما يستخدمونه فى نقــل اعداد كبيرة من الجمال الى مصر لبيعها للفلاحين كحيوانات لحمل الأشياء ، أو للجزارين للذبح(١٤٠) .

---

(١٣٧) محمد عوض محمد : السودان الشمالى ، ص ١٦٠

(١٣٨) المرجع السابق ، ص ١٦٠ ، حسن محمود : نفس المرجع ، ص ٢٧٧

(١٣٩) محمد عوض محمد : السودان الشمالى ، ص ١٦٠ — ١٦١ ، الشعوب والسلالات الافريقية ، ص ٢١١ ، نعوم شقير : تاريخ السودان القديم والحديث ، جـ ١ ص ٧٧

(140) Purves : op. cit, p. 176.

ومن ابى حمد كان الراحلون يلزمون طريق النهر مرة اخرى حتى دنقلة حيث يستقر البعض هناك ، ويفضل آخرون الرحيل غربا عبر وادى القعب بغرض الوصول الى الصحارى الواقعة فى المناطق الغربية التى كانت تجذبهم الى العيش فيها ، كما اتجه آخرون الى الجنوب والجنوب الغربى عبر الطريق الذى يبدأ من كورتى بطول وادى المقدم ، ومن دبة بطول وادى الملك الى كردفان ، ومن هناك انتشروا غربا الى دارفور ، وبعضهم انتشر جنوبا فى المناطق النيلية التى تحيط بالنيل الأبيض وما يليها شرقا حتى الحبشة(١٤١) ٠

ذلك انه من الصعب ان نتصور ان تاثير هذا الطريق الهام على مدى قرون ظل مقصورا على الأراضى التى تحيط بالنهر أو الجهات التى تليها شرقا وغربا ، اذ لم يكن هناك بد من ان يتجاوزها الى نواح أخرى من السودان ، فى سهل البطانة شرقا ، وفى كردفان ودارفور غربا ، وان كان المحور الأساسى والرئيسى لتأثيره هى المناطق التى احتلتها المجموعة الجعلية(١٤٢) ٠

هذه هى أهم الطرق التى ربطت دارفور بمصر واستخدمها عرب مصر للرحلة الى دارفور كتجار أو كمهاجرين ٠ ومصر على هذا النحو تعتبر الجهة الرئيسية والباب الشمالى الذى تدفق منه العرب على دارفور وعلى السودان بصفة عامة ٠ ولا شك أنه كانت هناك أبواب اخرى لهذه الهجرات وان كانت لا تصل الى تاثير الباب الشمالى أو الرافد الشمالى المنطلق من مصر ٠ ومن هذه الأبواب الاخرى الباب الشرقى والباب الغربى الشمالى والباب الجنوبى ٠

---

(141) Mac Michael : The Coming of the Arabs , p. 55.

(١٤٢) محمد عوض محمد : السودان الشمالى ، ص ١٦١ ؛ عبد المجيد عابدين : دراسات فى تاريخ العروبة فى وادى النيل ، ص ١٦٧

٢ — الطرق القادمة من ناحية الشرق :

لا شك أن ناحية الشرق وفد منها عرب الى دارفور وان كانت نسبتهم لا تقارن بنسبة الوافدين منهم الى هذا الاقليم من مصر · ونظرا لأن السودان يطل على البحر الأحمر وله فيه بعض الموانى مثل سواكن وباضع وغيرهما فانه كان على اتصال بما يقع وراء هذا البحر من بلدان ، مثل بلاد الحجاز واليمن وعمان ، وكذلك بلاد العراق · ومن هذه البلاد وفد بعض العرب فى جماعات صغيرة الى السودان تجارا ومهاجرين · وقد سبقت الاشارة الى أنه فى القرنين اللذين سبقا ميلاد السيد المسيح عليه السلام دخلت مجموعات حميرية السودان واستقرت على النيل الأزرق ونهر عطبرة ، ومن المحتمل انها وصلت الى بلاد النوبة فى الشمال ، وكردفان ودارفور فى الغرب(١٤٣) ·

ولم يكن مجىء هؤلاء العرب الى السودان قبل الاسلام ذا اهمية ملحوظة ، لأنهم أولا دخلوا السودان فى أعداد صغيرة كان تاثيرها فى معظم الحالات موجودا فى المناطق الشرقية ، وثانيا لأنهم لم يضيفوا فى مجال الثقافة والدين كما فعلوا بعد ظهور الاسلام(١٤٤) ·

اذ بعد ظهور الاسلام ازداد اقبال المهاجرين الى السودان عن طريق البحر الأحمر اكثر من ذى قبل ، ووجدت طرق عديدة تربط بين سواحل هذا البحر وبين داخل السودان · فطريق القوافل الذى يربط ما بين بربر وما بين سواكن كان هو الطريق الرئيسى للسودان للقادمين من بلاد الحجاز ، وكانت سواكن حينذاك هى الميناء الرئيسى على البحر الأحمر(١٤٥) ·

وكان هناك طريق آخر للقوافل يتجه أيضا من بلاد النوبة الى سواكن ، ويبدأ هذا الطريق من الموضع الذى ينعطف فيه النيل ناحية الغرب ،

(143) Mandour : op. cit, p. 27.

(144) Ibid : p. 27.

(145) Davies : Economics and Trade , p. 29 5.

ربما عند بلدة ابى حمد الحالية ، ومن هناك يتجه شرقا الى سواكن وباضع ودهلك(١٤٦) .

وهناك طريق ثالث يربط السودان ايضا بالبحر الأحمر ، وينتهى هذا الطريق عند ميناء عيذاب الذى يقع فى آخر حدود مصر واول حدود السودان . وكان هذا الطريق مشهورا بانه طريق للحج بجانب التجاره ، ذلك ان الحجاج القادمين من مصر والسودان وغرب افريقيا كانوا يستخدمونه فى العصور الوسطى للعبور الى بلاد الحجاز ، تجنبا للأخطار الناجمة عن الحروب الصليبية التى كان حوض البحر المتوسط ميدانا لها . فقد كانت عيذاب بعيدة عن اغارات الصليبيين الذين نقلوا فى تلك الفترة سفنهم الى البحر الأحمر وأخذوا يهددون قوافل الحج البرية والبحرية ، كما أن قرب عيذاب من جدة جعلها موضعا ملائما لاختراق البحر الأحمر . وقد ظل هذا الميناء يؤدى مهمته حتى اندثر تماما فى اواخر العصور الوسطى وانتقل نشاطه الى بلدة سواكن التى تقع فى أرض البجة والتى ترجع الروايات الحديثة تأسيسها الى عرب الجنوب وخاصة الحضارمة . ولذلك وصفت بانها عربية أكثر منها بجاوية . ومنذ القرن الخامس عشر للميلاد أخذت تؤمها السفن القادمة من المحيط الهندى ، كما قصدها تجار من حضرموت واليمن والهند والصين(١٤٧) ، وانطلقوا منها الى داخل السودان حتى دارفور .

ذلك أن دارفور كانت فى حاجة الى استيراد الحبوب ، لأن الحبوب فيها قليلة . ومن الطبيعى وكما يقول دافيز ان يكون استيرادها ارخص من الخليج الفارسى أو حتى من الهند من أن تنقل الى دارفور من الغرب(١٤٨) .

---

(١٤٦) سر الختم عثمان : نفس المرجع ، ص ٢٢٨

(١٤٧) محمد عوض محمد : الشعوب والسلالات الافريقية ، ص ٢٥٨ ، ٢٥٩

(148) Davies : op. cit, pp. 305 - 306 .

وقد شجع هؤلاء التجار على القدوم من الجزيرة العربية الى السودان ومنه الى دارفور ، ان المنطقة المحصورة بين ساحل البحر الأحمر الغربى وبين نهر النيل اصبحت أرضا اسلامية منذ وقت مبكر . ذلك ان هذه المنطقة كان يسكنها شعب البجة الذين اعتنقوا الاسلام بعد ان نزلت فى بلادهم جماعات عربية من بلى وجهينة للتجارة عقب الفتح العربى لمصر ، كما عبرت جماعة من عرب هوازن البحر الأحمر فى نهاية القرن السابع للميلاد واستقرت فى ارض البجة حيث عرفوا هناك باسم الحلانقة ، وازدادت الهجرة الى هذه البلاد منذ وقت مبكر ، اذ عثر على شواهد قبور عربية يرجع تاريخها الى منتصف القرن الثامن للميلاد ، ودل البحث الأثرى كذلك على وجود مسجد فى سنكات يرجع تاريخ بنائه الى عام ٢١٦ هـ / ٨٣١ م (١٤٩) .

ولم تلبث ان خضعت بلاد البجة للمسلمين واصبحت جزءا من الدولة الاسلامية فى عهد الخليفة المأمون بعد ان كثرت اغارات البجة على جهة اسون ، فجرد عليهم عامل مصر حملة فى عام ٢٣٢ هـ / ٨٤١ م انتهت باخضاعهم على أساس ان تكون بلادهم من حد اسوان الى حد ما بين دهلك ومصوع وباضع ملكا للخليفة العباسى ، وان يكون كنون بن عبد العزيز ملك البجاة وأهل بلده عبيدا لأمير المؤمنين ، على ان يبقى كنون ملكا عليهم ، وان يؤدى ملك البجة الخراج كل عام لبيت المال ، وان يامن التجار المسلمون على انفسهم واموالهم حين اجتيازهم لبلادهم(١٥٠) ، الى غير ذلك من الشروط التى فتحت هذه البلاد للتجار وللمهاجرين العرب .

وقد اقبل هؤلاء التجار والمهاجرون ليس من مصر وحدها ، ولكنهم اتوا ايضا من اقرب البلدان الى هذه المنطقة الساحلية السودانية ،

---

(١٤٩) مصطفى مسعد : الاسلام والنوبة ، ص ١١٧ - ١١٨

(١٥٠) المرجع السابق ، ص ١١٦ - ١١٧

وهى بلاد الحجاز . وقد اتوا منها الى السودان فى شكل هجرات سليمة حيث استقرت فى هدوء وسلام ، وكان عرب ينبع يفدون الى سواكن ومنها يسيرون مع القوافل الى شندى(١٥١) ، التى كانت أهم المراكز التجارية التى يؤمها تجار سواكن المعروفون فى هذا الجزء من شار، افريقية بالحداربة أو الحضارمة ، كما كان يؤمها تجار سنار وكردفان الذين كانوا يرحبون بقوافل هؤلاء الحداربة حتى تصل الى شندى ، التى تقع خلف البحر الأحمر وعلى سواحل المحيط الهندى(١٥٢) .

والصلة بين سنار وكردفان ودارفور غير خافية ، وذلك أن دارفور كانت تشمل على بعض اجزاء كردفان الغربية فى الاقليم الذى يقع غربى النهود ، كما أنها تتصل بها اتصالا بريا وتربط بينهما طرق القوافل ، ويتنقل السكان بينهما حسب مواسم المطر وحسب وجود المراعى(١٥٣) .

ولذلك فان السلع التجارية التى كانت ترد من بلاد الحجاز الى سواكن كانت تصل الى كردفان ومنها الى دارفور ، يدل على ذلك ما يقوله آركل من أن المستر J.S. Owen عثر على بعض اغطية لأوانى فخارية ذات مقابض فى جبل وارا Wara بدارفور ، وهى محفوظة الآن فى متحف فتزوليم ، ويقول أن هذه الأغطية تعود الى الفترة العربية ، وانها تشابه أو تطابق بعض أغطية من بلاد الحجاز(١٥٤) ، مما يدل على التبادل التجارى أو على وصول السلع الحجازية والدارفورية كل الى البلد الآخر .

وغنى عن القول أن هذا الأمر مهد لهجرة بعض العرب من بلاد

---

(١٥١) بوركهارت : نفس المرجع ، ص ٢٥١

(١٥٢) المرجع السابق ، ص ٢٤٨

(153) Mac Michael : Ahistory of the Arabs, footnote 5,p.319

(154) Arkell : The history of Darfur, S. N. R., IV, p. 244.

الحجاز الى دارفور عبر بلاد البجة ، وعبر وادى نهر النيل فى جزئه الأوسط الذى ازدحم بالقبائل العربية المهاجرة اليه ، سواء فى مملكة مقرة أم فى مملكة علوة كما سبق القول .

وفى هذا الصدد يلاحظ ان جهينة وهى نصف عرب السودان كما يقول ماكمايكل تدعى انها أتت أصلا من الحجاز حيث يوجد من يعيش حتى الآن ويحمل نفس الاسم فى بلاد الحجاز . والحقيقة ان هذه القبيلة اعتنقت الاسلام منذ وقت مبكر ودخلت مصر عند الفتح ، وغزت اقليم البجة بعد ذلك بحوالى مائتى عام ، كما أنها استعمرت الصعيد نهائيا وانتشرت فى مملكة النوبة ومنها الى كردفان ودارفور(١٥٥) .

وعلى أية حال فان أسرات عديدة دخلت السودان عن طريق البحر الأحمر بحثا عن التجارة أو اتخاذه ملجأ لأسباب خاصة بهم ، او بحثا عن الحياة الرعوية الخلوية فى البلاد المحيطة كما فعل الرشايدة فى وقت قريب(٥٦) . وطبيعى أن بعضا من هذه الأسرات اتجهت غربا الى دارفور وسكنتها ، وان كان العرب الذين دخلوا دارفور والسودان عامة عن طريق البحر الأحمر من بلاد الحجاز كانوا قليلى العدد .

أما بلاد اليمن فقد كان لها اتصال بالسودان وبدارفور قبل ظهور الاسلام . وقد سبقت الاشارة الى عبور حميريين كثيرين البحر الأحمر من جنوبى الجزيرة العربية الى الحبشة حيث استقر بعضهم فيها ، واتخذ آخرون طريقهم عبر النيل الأزرق وعطبرة شمالا الى بلاد النوبة ، ووجد آخرون طريقهم غربا عبر كردفان الى دار فور(١٥٧) .

وفى العصر الاسلامى اتى من اليمن الى دارفور بعض القبائل العربية ، منهم الكروبات الذين وصلوا الى هذا الاقليم واستقروا فى

---

(155) Mac Michael : The Coming of the Arabs, pp. 44 - 45.

(156) Ibid : p. 46.

(157) Ibid : p. 42.

الجزء الشمالى الغربى منه قرب دار قمر ، ثم استقر بعضهم بين عرب وادای ٠ ويزعم كروبات دارفور فى الوقت الحالى أنهم ينتسبون الى بنى شيبة فى جزيرة العرب(١٥٨) ٠

لذلك فان قبيلة الحمر (بفتح الحاء والميم) بدارفور تقول بأنها من حمير من اليمن ، وأنهم هاجروا الى السودان فى عصر الحجاج ابن يوسف الثقفى فى النصف الثانى من القرن الأول الهجرى / النصف الثانى من القرن السابع للميلاد ، بعد ان عبروا البحر الأحمر ، ويقال أنهم استقروا أولا حول التاكة (كسلا) ثم تحركوا الى النيل الأزرق ، وبعد فترة الى دارفور حيث اتخذوها سكنا دائما لهم(١٥٩) ، ولا زالوا يعيشون فيها حتى اليوم ٠

اما عمان (بضم العين) فقد هاجر منها بطون من قبيلة مهرة ربما عبر بحر العرب ومنه الى البحر الأحمر عبر خليج عدن ، ثم الى موانى السودان التى تقع على هذا البحر ، ومنها الى داخل السودان ثم استقرت أخيرا فى دارفور ، حيث ترد الاشارة الى سكناها لهذا الاقليم ضمن غيرها من القبائل العربية(١٦٠) ٠ وربما كان وصول المهرة الى دارفور عن طريق ساحل بلاد الزنج الذى كان سيطر عليه العمانيون فى معظم عصور التاريخ ، ومن هذا الساحل توغل المهرة متجهين شمالا بغرب مخترقين بلاد الصومال وجنوب الحبشة حتى وصلوا الى النيل الأبيض ومنه اتجهوا الى دارفور ٠

وربما كان وصول المهرة الى دارفور من مصر عبر الطرق التى اشرنا اليها والتى كانت تربط البلدين، ذلك أن مهرة اشتركت فى فتح مصر واستقرت فيها وانتشرت فى انحائها المختلفة(١٦١) ٠

---

(158) Mac Michael : Ahistory of the Arabs , Vol 1, p. 336.
(159) Ibid : p. 319.

(١٦٠) نعوم شقير : نفس المرجع ج ١ ص ٦٢ ،
Mac Michael : op. cit, Vol 1, p. 300.

(١٦١) ابن عبد الحكم : نفس المصدر ص ١١٨ ، ١١٩

ومع ذلك فان هـذا الباب الشرقى المنحدر من ساحل البحر الأحمر والذى عبرته هجـرات من جزيرة العـرب متجهة صوب الغـرب الى السـودان(١٦٢) ، لم يكن طريقا رئيسا للهجرات الى هـذه البلاد أو الى دارفور ، لأن التاريخ لم يسـجل وصول هـجرات كبيرة او عديدة عبر هـذا الطريق مثلما سـجل عن هجرة هـذه القبائل العربية من مصر الى بلاد السـودان .

ولذلك فان ماكمايكل يستنكر ما تقوله بعض القبائل العربيـة فى السودان من أن أجدادها وصلوا من جزيرة العرب مباشرة الى السودان عبر البحر الأحمر ، ويشكك فى هذا القول ويقول انه أدعاء سببه تأييد دعوى هـذه القبائل فى الانتسـاب الى أصل شريف أموى أو عباسى أو فى الانتسـاب الى صحابة رسـول الله ﷺ(١٦٣) .

٣ ـ الطرق القادمة من ساحل بر الزنج والصومال :

ومن الطرق والجهات التى ورد منها بعض العرب الى دارفور والتى لم يتحدث عنها أحـد فى التاريخ الاسـلامى الوسيط ، هى ما أشـار اليها الشاطر بصيلى عبد الجليل ، حيث تحدث عما يعرف بالجناح الشرقى لحوض وادى النيل والذى يمتد فى رأيه من عيذاب الى سوفالة فى موزمبيق فى جنوب الساحل الشرقى لأفريقيا . وبذلك فان هـذا الاقليم يمتد ليشمل سـاحل السودان وأريتريا والصومال وبر الزنج ، وفى الداخل يشـمل الحبشـة وهضبة البحيرات . وفى رأيه أن هـذا الاقليم الكبير وأن هـذه المناطق الواسـعة التى كان يشملها كانت مفتوحة لمرور القوافل وهجرات القبائل فيما عـدا أثيوبيا التى كان نجاشيوها يسيطرون على منطقة تبدأ من جنوب بحيرة تانا الى اريتريا(١٦٤) .

---

(١٦٢) حسن محمود : نفس المرجع ، ص ٢٧٧

(163) Mac Michael : The Coming of the Arabs, p. 46.

(١٦٤) الشـاطر بصيلى : تاريخ وحضـارات السـودان الشرقى والأوسط ، ص ١٤١

وقد هاجر العرب الى هذه المناطق والبلدان منذ ما قبل ظهور الاسلام . ولما ظهر الاسلام ازدادت هجرتهم اليها منذ القرن الأول الهجرى بغرض التجارة فى الاساس وتطورت مراحل نشاطهم فأعدوا طرق القوافل ، واسسوا المراكز والمحطات التجارية على طول هذه الطرق التى كانت قد تعطلت لزمن طويل قبل القرن السابع للميلاد لأسباب كثيرة ، كما اقاموا على امتداد القرون فى الصومال وساحل الحبشة ما عرف فى التاريخ باسم دول الطراز الاسلامى ، كما اقاموا سلسلة من المراكز التجارية والموانى على ساحل بر الزنج لم تلبث ان تحولت الى دويلات وسلطنات صغيرة كان لها نشاطها التجارى الكبير ، واتصلوا بالموانى والبلدان الأخرى التى تقع على سواحل المحيط الهندى، واقاموا النقابات التجارية وانشأوا الوكالات فى الموانى الكبيرة وفى المدن التى تلتقى فيها القوافل القادمة من داخل القارة الافريقية ، وصاروا واسطة لنقل المتاجر بين البلدان التى تطل على المحيط الهندى وبين البلدان الافريقية التى تقع فى قلب القارة ومنها دارفور بطبيعة الحال(١٦٥)

ومعنى ذلك ان العرب توغلوا فى داخل القارة الافريقية منذ عصور الاسلام الأولى ، ويعتقد أن النفوذ العربى قد اشتد واستطاع ان يسيطر على شبكة كبيرة من طريق النقل عبر هذه القارة ، وتمكن العرب من من ان يقيموا سلسلة من المراكز التجارية على طول هذه الطرق التى اخترقت القارة من جنوبها الشرقى الى شمالها والى شمالها الغربى عبر دارفور ، اى من بر الزنج على ساحل شرقى افريقيا الى تونس على ساحل البحر المتوسط والى مالى فى غرب افريقيا(١٦٦) . واشتد نشاط هذه المراكز فى عصر الحروب الصليبية حيث تحولت التجارة الى طرق

---

(١٦٥) المرجع السابق ، ص ٣٨ - ٣٩ ، ١٤٢ - ١٤٣ ، ٣٨٢ ، ٣٩٠

(١٦٦) المرجع السابق ، ص ٣٩٣

القوافل من الصومال وساحل بر الزنج الى شمال وغرب افريقيا وساحل البحر المتوسط عبر حوض النيل الأوسط وخاصة دارفور(١٦٧) .

وكان العاج ينقل من اكثر هذه المناطق على هذه الشبكات من طرق القوافل ، كما كان ينقل الذهب عبرها من المنطقة التى كانت تعرف بروديسيا (زيمبابوى الآن) ، وكذلك النحاس من كاتنجا ، هذا بخلاف السلع التى كانت تستوردها دويلات برالزنج الاسلامية وكذلك الصومال من الهند والشرق الأقصى(١٦٨) ، ويحملها التجار عبر هذه الطرق الداخلية الى شمال القارة الافريقية .

وهذه المنطقة الشاسعة الممتدة من برالزنج فى شرق افريقيا الى تونس الواقعة فى شمال القارة ، ومالى الواقعة فى غربها ، والتى ربطتها شبكة من طرق القوافل على النحو المشار اليه ، توسطتها منطقة دارفور أو ما يمكن تسميته بالمنطقة الوسطى والتى تبدأ من حوض بحر الغزال جنوبا ومنطقة كودوك (فاشودة) شرقا وتنتهى فى دارفور . وكانت هذه المنطقة الوسطى يليها جنوبا ما يمكن تسميته بالمنطقة الجنوبية التى تبدأ من بحر الغزال وتمتد الى ساحل شرقى افريقيا والحبشة وتشمل أيضا منطقة البحيرات ، وكان يلى المنطقة الوسطى شمالا ما يمكن تسميته بالمنطقة الشمالية التى تشمل بلدان الساحل الشمالى الافريقى(١٦٩) .

وقد ربطت شبكة من طرق القوافل هذه المناطق الثلاث ببعضها ، وكانت هذه الطرق عديدة ، منها طريق يمتد من الصومال واثيوبيا فحوض النيل الأوسط فدافرر ، وطريق آخر يمتد الى هضبة البحيرات ثم الى دارفور ووادای والنيجر ، وطريق ثالث يمتد من منطقة بحر الغزال

---

(١٦٧) المرجع السابق ، ص ٣٩٣
(١٦٨) المرجع السابق ، ص ٣٩٣
(١٦٩) المرجع السابق ، ص ٣٩٨

الى دارفور ، كما كانت هناك طرق تمتد من الجنوب الى الكونغو ومنها الى دارفور(١٧٠)

وعلى هذا النحو كانت دارفور فى يدها مفاتيح التجارة القادمة من المنطقة الجنوبية لسبب بسيط ، وهى أنها كانت تسيطر على منطقة حوض النيل الأعلى وهى المنطقة التى تمتد من جنوب خط عرض ١٢ شمال خط الاستواء وتشمل رقعة كبيرة من الأرض غرب حوض النيل ، وكانت هذه المنطقة وحتى القرن السابع عشر للميلاد وبعده بقليل واقعة تحت سيطرة دارفور فى مختلف عهودها التاريخية · وقد ذكر التونسى أن الفور وهم على ما هو معروف غالبية سكان دارفور يسيطرون على خمس ولايات فى دارفرتيت ، وهى دار رونجة ، ودار بندله ، ودار فنقرو ، ودار نبيجة ، ودار شالا · وكانت دار شالا أبعدها جنوبا فهى تبعد عنها مسيرة اكثر من سبعين يوما ، وكانت غزوات الفور تمتد مسيرة تسعين يوما فى المناطق الجنوبية والجنوبية الغربية(١٧١) ·

ونتج عن ذلك ان امتد نفوذهم نحو الجنوب حتى شمل رقعة كبيرة من حوض بحر الغزال ، وشمال شرق الكونغو ، واقليم نهرى شارى والأوبانجى(١٧٢) · وكان يقال أن تجار الفور والعرب كانوا يذهبون الى أماكن بعيدة فى الجنوب عبر خط تقسيم المياه بين النيل والكونغو ، وكانوا يأخذون معهم أكفانهم ، ويبدو ان ذلك كان بسبب طول الشقة وبعد المسافة ، ولتعرضهم للموت لأكثر من سبب(١٧٣) ·

وكانت المنطقة عبر اقليم حوض النيل الأعلى تكون عدة دوائر صغيرة فى الدائرة الكبيرة ، وتخرج منها عدة طرق للقوافل الى مختلف

---

(١٧٠) المرجع السابق ، ص ٣٨٢ - ٣٨٣ ، ٣٩٨

(١٧١) التونسى : نفس المصدر ، ص ١٤١ ، الشاطر بصيلى : نفس المرجع ، ص ١٥ ، ٣٩٣ - ٣٩٤

(١٧٢) الشاطر بصيلى : نفس المرجع ، ص ٤٠١

(١٧٣) المرجع السابق ، ص ٣٩٤ ، هامش (١) ص ٣٩٥

الاتجاهات ، ولها صلات وثيقة مع شبكة القوافل الكبرى التى تمتد عبر القارة والتى استعادت نشاطها بعد منتصف القرن السابع للميلاد ، أى بظهور الدعوة الى الاسلام وانتشار الجماعات العربية فى هذه المناطق الشاسعة(١٧٤) .

ورغم هذا النشاط التجارى الواسع الذى مارسه العرب فى هذه المنطقة التى تقع بين دارفور وساحل شرقى افريقيا ، فانه لم يصلنا عن هذا النشاط ذكر فى المصادر التاريخية القديمة ، لأن القائمين بهذا النشاط لم يهتموا بتدوين اوجه نشاطهم ، كما اهمل الرحالة العرب كتابة ما تناقله الرواه ، كما أن توغل من توغل منهم فى قلب القارة الافريقية لم يتعد حوض النيل الأبيض على احسن تقدير . وقد خلق هذا الاهمال الأسباب التى دفعت بعض الأوربيين الذين اهتموا بهذه المنطقة الى القول بأنها كانت منطقة مغلقة وغير معروفة لأحد من الناس ، بسبب الأمراض المتوطنة والذباب والبعوض ومرض النوم وامراض الجذام ، وأنها مليئة بالحيوانات المفترسة وغير ذلك من الأمور التى جعلتها شيئا مجهولا ويجب كشفها ، وأن الحياة فيها غير سهلة للوافدين اليها من الأقاليم القريبة والبعيدة(١٧٥) .

وللأسف فقد صدقنا هذه الأقوال التى بنيت على غير اساس من الواقع والتاريخ ، وكانت لغرض فى نفس يعقريب ، ولم تأخذ فى الاعتبار ذلك التوسع والنشاط التجارى العربى ونشأة الطرق التجارية بين دارفور وهضبة البحيرات واثيوبيا وحوض النيل الأوسط والمناطق المجاورة(١٧٦) .

ذلك النشاط الذى دلت عليه حفريات كثيرة ، منها ما قام به السير هنرى ولكم Sir Henty Wellcome فى المنطقة التى تقع جنوب

---

(١٧٤) المرجع السابق ، ص ٣٩٤

(١٧٥) المرجع السابق ، ص ٣٩٤ - ٣٩٥

(١٧٦) المرجع السابق ، ونفس الصفحات .

سنار ، وكشف عن قيام علاقة تجارية بين ساحل شرق افريقيا واقليم حوض النيل الأوسط • ويعتبر هذا الأمر بالغ الأهمية فى الكشف عن طرق التجارة التى كانت تنقل عبرها البضائع من الساحل الشرقى لافريقيا الى مراكز التجميع التجارية فى حوض وادى النيل الأوسط التى اشرنا اليها (١٧٧) •

وقد قامت طرق أخرى من حوض النيل الأوسط وخاصة النيل الأبيض واتجهت الى دارفور • وكان من أهم هذه الطرق ، ذلك الطريق الذى يعبر النيل الأبيض من بلدة الليس الى دارفور ، وطريق يخرج من بلدة ماجى الاثيوبية الى كبيوتا فى منقلة ، ومنها نحو الغرب والشمال الغربى الى دارفور ، وطريق ثالث يخرج ايضا من ماجى نحو الشمال عبر نهر السوباط الى فاشودة (كودوك) على النيل الأبيض شمال ملكال ، ومنها نحو الغرب الى دارفور • وبذلك اصبحت دارفور هى الاقليم الذى تنتهى اليه قوافل التجارة القادمة من الجنوب والجنوب الشرقى ، ونتج عن ذلك أنها صارت مركزا لتجميع سلع هذه التجارة ثم اعادة تصديرها مرة اخرى الى مختلف المناطق والبلدان التى تقع حواليها والى الشمال منها ، اى الى بلدان حوض بحيرة تشاد ومالى وبلاد الساحل الشمالى لأفريقيا (١٧٨) •

واذا كانت هناك طرق ومراكز للتجارة امتدت من دارفور الى ساحل البحر المتوسط ، ومنها الى الغرب الى حوض بحيرة تشاد الى حوض نهر النيجر فى غرب افريقيا ، فانه يتعين علينا ان نتحدث عن هذه الطرق التى ربطت دارفور بهذه البلدان فى شيء من التفصيل لنعرف دورها فى هجرة العرب والتجار منها الى دارفور •

---

(١٧٧) المرجع السابق ، ص ٢٥

(١٧٨) المرجع السابق ، ص ٣٩٨ ، ٤٠١

٤ ـ الطرق القادمة من ليبيا الى تونس :

اما الطرق التى ربطت دارفور بالبلدان التى تقع على ساحل البحر الأبيض المتوسط مثل ليبيا وتونس ، فمن اشهرها ذلك الطريق الذى يبدأ من مدينة أورى Uri عاصمة التنجور فى دارفور وينتهى الى طرابلس بليبيا مارا بام بورو فى دار زغاوة ، وبأم جيراس فى اقليم البداليات ، وبمنطقة فدا فى بوركو ، وجترون ومرزوق فى ليبيا . ويقول اركل ان هذا الطريق لازال يستعمل الى عهده ، وأنه سبب عظمة مدينة أورى ، بالاضافة الى الطريق الآخر الذى سبقت الاشارة اليه وهو درب الأربعين (١٧٩) .

وكانت دارفور تتصل بطرابلس وتونس ومراكش بطرق اخرى غير مباشرة . فقد ذكر مونى Mauni ، ولوت Lhote ان هناك طريقا يربط دارفور بالنيجر (١٨٠) ، وان هذا الطريق الذى بين شرق القارة وغربها على هذا النحو مرورا بدارفور يتصل به أو يتقاطع معه عدة طرق ، منها الطريق الذى تحدثنا عنه وهو طريق دارفور ـ طرابلس ، وطريق آخر يبدأ من طرابلس وثالث يبدأ من تونس ، ويصل الطريقان الأخيران الى بلاد الكانم فى حوض بحيرة تشاد ومنها الى دارفور شرقا والى نهر النيجر غربا (١٨١) حيث يصل الى هذا النهر طريق رابع يبدأ من مراكش ويسير جنوبا الى السنغال ثم ينعطف شرقا الى نهر النيجر (١٨٢) .

وعلى ذلك فقد كانت دارفور على صلات تجارية بالبلدان التى تصل اليها هذه الطرق ، وكانت التجارة التى تسير منها الى حوض النيجر

---

(179) Arkell : The history of Darfur : S. N. R. , IV, p. 250.

(١٨٠) الشاطر بصيلى : نفس المرجع ، ص ٤٠٩

(١٨١) المرجع السابق ، ص ٣٩٦ ـ ٣٩٧ ، ٤٠٩ ،
Arkell : S. N. R. IV, p. 250.

(١٨٢) الشاطر بصيلى : نفس المرجع ، ص ٣٩٦ ، ٤٠٩ ـ انظر الخريطة رقم ٥

من جهة وحوض البحر المتوسط من جهة اخرى فى يد الجماعات التى عرفت فيما بعد باسم النومادى (النوبة) والقرماطة ، وكانت العربات تسير على هذه الطرق منذ زمن يرجع الى الألف الأولى قبل الميلاد ، واشتد النقل بالقوافل بعد استخدام الجمل قرب نهاية عصر ما قبل الميلاد (١٨٣) .

وكانت هناك طرق فرعية كثيرة فى منطقة الصحراء الكبرى ، واستخدمت هذه الطرق منذ أوائل القرن الحادى عشر للميلاد ، وبلغت ذروتها عند نهاية القرن الخامس عشر ، واستمرت كذلك حتى نهاية القرن السادس عشر ، وازداد حجم التجارة التى تمر عبر هذه الطرق الى دارفور والسودان منذ القرن الحادى عشر للميلاد . وسبب ذلك فيما يبدو يعود الى تعطيل التجارة التى كانت تمر عبر شرق البحر المتوسط بسبب الحروب الصليبية التى هددت هذه المنطقة من العالم الاسلامى بدءا من ذلك القرن (١٨٤) .

ويشير الحسن الوزان الى ان اعراب ليبيا وكذلك النوميديين البربر الذين كانوا يسكنون الصحراء الليبية والقفار المجاورة لأرض السودان ، كانوا يتاجرون بالجمال فى هذه الأرض ، وذلك عند نهاية القرن الخامس عشر وأوائل السادس عشر للميلاد (١٨٥) ، كما يشير محمد بن عمر التونسي الى ان تجار فزان فى عصره ، أى فى بداية القرن التاسع عشر كانوا يأتون الى وادى المجاورة لدارفور لشراء ريش النعام وكان يقوم بجلبه لهم اعراب المحاميد فى دارفور (١٨٦) . كما يشير الى حاجة

---

(١٨٣) المرجع السابق ، ص ٣٩٧ ، ٤٠٩ ، انظر الخريطة رقم ٤ ، ٥

(١٨٤) المرجع السابق ، ص ٣٩٧

(١٨٥) وصف افريقيا ، جا ص ٦١ ، ٦٢

(١٨٦) تشحيذ الأذهان ، ص ٢٩٣ ، ٢٩٤

اهل دارفور لاستيراد بعض السلع والأشياء التى يحتاجون اليها والتى كانت تاتيهم عبر الطرق التجارية التى تمر ببلادهم(١٨٧) .

ومع هذه التجارة الزاهرة وعبر هذه الطرق العديدة هاجرت قبائل عربية الى دارفور ، فمن تونس هاهر اليها عرب التنجور فى القرن الرابع عشر للميلاد كما يقول السير توماس ارنولد(١٨٨) ، وكان على رأس هذه الهجرة أحمد المعقور الذى تمكن من اقامة سلطنة عربية في النصف الأول من القرن الخامس عشر ، مما سنتحدث عنه بتفصيل في مكانه من هذا الكتاب .

وكذلك وفد على دارفور من بلاد الحجاز بنو عطية أو العطوية . وقد اعتبر بنو عطية هؤلاء فى عصر الغزوة الهلالية كجزء من الأتبج الذين كانوا يكونون اكبر فرع فى بنى هلال ، واستقر بنو عطية هؤلاء فى قسطنطينة بالجزائر ، ويقول ابن خلدون انهم ضعفوا واختفوا ، وهاجر عدد كبير منهم بعد أن انفصلوا عن بنى هلال الى السودان ، واستقروا فى كردفان واصبحوا ضمن الكبابيش الذين بعيشون فى هذا الاقليم ، كما ذهب بعضهم من اصحاب الجمال الى مناطق ابعد جنوبا وعاشوا بين الرزيقات البقارة(١٨٩) ، اى في دارفور ، حيث أن الرزيقات من القبائل العربية التى هاجرت الى دارفور ولا زالت تعيش فيها حتى اليوم مما سنتحدث عنه فى حينه من هذا الكتاب .

---

(١٨٧) المصدر السابق ، ص ٢٩٣ ، ٣٩١

(١٨٨) توماس ارنولد : الدعوة الى الاسلام ، ترجمة د . حسن ابراهيم وآخرين ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة الطبعة الثالثة ، سنة ١٩٧٠ ، ص ٣٥٩

(189) Mac Michael : Ahistory of the Arabs in the Sudan pp. 310 - 311.

وهكذا نجد ان الطرق التجارية التى ربطت بين دارفور وبين كل من بلاد مصر وبلاد النوبة والمناطق البعيدة التى تقــع فى الجنوب الشرقى للقارة مثل بلاد الزنج والصومال ، وكذلك البلدان البعيدة التى تقع فى شمالها مثل ليبيا وتونس ، قــد حملت هـجرات عربية عديدة من هــذه البلدان الى دارفور عبر القرون الثلاثة الأخيرة من العصور الوسطى على الأقل . ولذلك وعندما بدأ التونسى وغيره من الرحالة والكتاب يتحدثون عن القبائل العربية فى دارفور ، ذكروا عددا كبيرا منها انتشر فى معظم انحائها وفى جميع جهاتها حتى اصبح هــذا الاقليم عربى اللســان والثقافة قبل أن تقوم فيــه السلطنة الاســلامية قبيل منتصف القرن الخامس عشر للميلاد بقرنين على الأقل .

ولـمــا كانت هــذه النتيجة فى غاية الأهمية بالنسبة للتاريخ لعروبة هــذا الاقليم الســودانى ، فقد أصبح لزاما علينا أن نتحدث عن هــذه القبائل التى وفدت على هــذا الاقليم وســكنته واتخذته وطنا وصارت من اهله وسكانه ، بعد أن عرفنا الأســباب والعوامل التى دفعتها للهجرة اليه ، وبعد أن وضعنا يدنا على المسالك والطرق والبلدان التى جاءت منها الى هــذا الاقليم ، حيث تزاوجت مع ســكانه المحليين وصاهرتهم وصاروا جميعا يشكلون سكان دارفور وشــعبها حتى اليوم .

* * *

الفصل الثالث

القبائل العربية المهاجرة الى دارفور

ينقسم السكان فى اقليم دارفور الى عرب وفور وغيرهم من قبائل السود الأخرى(١) . وقد سبق أن تحدثنا عن الفور وغيرهم من قبائل السود وشبه السود التى سكنت الاقليم قبل قدوم العرب اليه(٢) .

أما العرب وهم محل دراستنا الآن ، فان معظم هجراتهم الى دارفور تمت فى زمن الأحلاف التى أشرنا اليها عند حديثنا عن الصراع الذى قام بين العرب وسلاطين المماليك فى مصر(٣) ، والأحلاف ما هى الا مجموعات قبلية ضخمة اشتملت على عدد من القبائل ذات الاصول المختلفة من عدنانية وقحطانية . وقد انعكس هذا الأمر على العرب المهاجرين الى دارفور ، رغم ما قام به الباحثون فى تاريخ السودان من تقسيم عربه بصفة عامة الى مجموعتين كبيرتين هما المجموعة الجهنية ، التى تقابل المجموعة القحطانية أى عرب الجنوب ، والمجموعة الجعلية التى تقابل المجموعة العدنانية أى عرب الشمال ، جريا وراء التقسيم التقليدى الذى اتبعه المؤرخون حين قسموا العرب الأقدمين الى عدنانيين وقحطانيين(٤) .

---

(١) عبد الله حسين : السودان من التاريخ القديم الى رحلة البعثة المصرية ، ج ٢ ص ٨٦٣

(٢) انظر ، ص ٢٤ ـ ٣٣

(٣) انظر ، ص ٥٩ ـ ٦٠

(٤) عبد المجيد عابدين : تاريخ الثقافة العربية فى السودان منذ نشأتها الى العصر الحديث ، مكتبة الخانجى ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، سنة ١٩٦١ ، ص ٣٠ ، مصطفى مسعد : الاسلام والنوبة ، ص ١٩٥ ـ ٢٠١

وقد جعل هؤلاء الباحثون العرب الذين هاجروا الى دارفور في المجموعة الجهنية . والحقيقة أن هذا التقسيم الذى اتبعه الباحثون بالنسبة لعرب السودان عامة لن يفيدنا كثيرا فى دراسة هجرات العرب الى دارفور من مواطنها الأولى . أولا : لأن ذلك يوحى بوجود عصبية قبلية بين العدنانية التى تمثلها المجموعة الجعلية ، والقحطانية التى تمثلها المجموعة الجهنية ، وهو أمر لم يكن موجودا فى زمن هجرة هذه القبائل الى دارفور والسودان فى مرحلة الأحلاف بالذات(٥) ، لأن الأحلاف كما قلنا كانت تتكون من قبائل ذات أصول مختلفة ومختلطة .

وثانيا : لأن الروايات التى توارثها السودانيون عن نسب المجموعة الجهنية التى ينتسب اليها عرب دارفور لا تؤكد دائما انها جميعا من قحطان(٦) ، فقد ضمت هذه المجموعة وكما سنرى قبائل ذات اصول مختلفة من عدنان وقحطان ، من جهينة وغير جهينة(٧) .

وثالثا : لأن العرب الذين هاجروا الى دارفور وكان معظمهم من مصر هاجروا اليها وكما أشرنا فى مرحلة ظهور الأحلاف فى مصر ، وهى مرحلة كانت ذات اثر كبير فى التركيب القبلى لهؤلاء العرب . ذلك أن كثيرا من القبائل كانت تنضم الى غيرها من القبائل القوية تفاديا لخطر الفناء والهزيمة على يد غيرها من القبائل أو على يد السلطات الحاكمة التركية الأصل ، كما ان كثيرا من القبائل كانت تتحالف مع غيرها لمقاومة هذه السلطات التى كانت تأخذ فى اضطهاد العرب والقضاء عليهم ، وباستمرار الأيام كانت تضيع الأصول ويتم الاندماج ويحمل الجميع اسم

---

(٥) عبد المجيد عابدين : دراسات فى تاريخ العروبة فى وادى النيل ، ص ١٤١ .

(٦) المرجع السابق ، ص ١٤١

(٧) مصطفى مسعد : سلطنة دارفور ، ٢١٨

القبيلة الأقوى أو اسما جديدا تختاره لهم الظروف السياسية والاجتماعية الموجودة وقتذاك(٨) .

ولذلك نلاحظ ظهور نغمة جديدة فى كتابات المؤرخين الذين أرخوا لمصر فى هذه الفترة . ففى كثير من الأحيان كانوا لا يذكرون العرب باسماء قبائلهم أو بطونهم ، وانما يقتصرون على اطلاق كلمة (عرب) أو (عربان) كما فعل ابن تغرى بردى المتوفى عام ٧٨٤ ق / ١٤٦٩ م على سبيل المثال والذى نادرا ما كان يذكر القبائل العربية باسمائها(٩) وانما كان هو وغيره ينسبونهم الى المكان الذى استوطنوه ، فيقولون مثلا : عرب منفلوط ، وعرب المراغة ، وعرب الشرقية ، وعرب البحيرة . وهذا يحمل الدليل على أن هذه القبائل ، ومنها بقايا الأحلاف قد تداخلت جماعاتها واندمجت عناصرها ، وامتزج بعضها بالسكان السابقين ، ومن ثم صارت نسبتهم الى العروبة عامة ايسر لدى المؤرخين من نسبة كل جماعة أو أسرة منهم الى أصل قيسى أو قحطانى معين(١٠) .

وطبيعى أن هذا التحول فى التكوين القبلى للقبائل العربية فى مصر لم يبدأ فى نهاية مرحلة الأحلاف ، أى عند نهاية عصر سلاطين المماليك فى عام ٩٢٣ هـ / ١٥١٧ م ، وانما كانت هذه الظاهرة موجود قبل ذلك بزمن طويل ، وذلك على امتداد القرون التى ظهرت فيها الأحلاف التى قامت بين القبائل العربية بعضها البعض . ولذلك فانه من المرجح

---

(٨) عبد المجيد عابدين : دراسات فى تاريخ العروبة فى وادى النيل ، ص ١٣٩ ، ١٤٠

(٩) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، تحقيق د. جمال الدين الشيال والأستاذ فهيم شلتوت ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة سنة ١٩٧٢ ، جـ ١٦ ، ص ٢١ ، ١٩٧ ، ٦٧ ، ٣١٧

(١٠) عبد المجيد عابدين : دراسات فى تاريخ العروبة فى وادى وادى النيل ، ص ١٣٨

ان القبائل العربية التى هاجرت الى دارفور قد حملت معها هذه الظاهرة - أى ظاهرة الاندماج أو الانتساب الى مجموعة كبيرة(١١) ، بصرف النظر عن التقسيم التقليدى الذى قسم اليه الباحثون عرب السودان والذى أشرنا اليه ٠

وهذه المجموعة الكبيرة التى ضمت عرب دارفور عرفت وكما اشرنا باسم المجموعة الجهنية نسبة الى جهينة ٠ والواقع أن أمر هذه النسبة لم يأت من فراغ ، وانما نبع من ظروف هذه القبيلة ولدورها فى نشر العروبة والاسلام فى دارفور وفى السودان بشكل عام ٠

وجهينة على ما هو معروف عند علماء الأنساب احدى قبائل اليمن ، وتنتسب الى جهينة بن زيد بن ليث بن سود بن أسلم بن الحافى بن قضاعة(١٢) ، وهى قبيلة عظيمة وفيها بطون كثيرة ، وكانت منازلهم بأطراف الحجاز من جهة الشمال(١٣) حول ينبع وما يقع شمالها(١٤) ٠

وكانت جهينة من القبائل التى شاركت فى فتح مصر مع عمرو بن العاص واختطت مع قبائل أخرى حول المسجد الذى بناه عمرو فى مدينة الفسطاط(١٥) ، واحتلت أرضاً يقال لها جرف تنه(١٦) كما كانت

---

(١١) المرجع السابق ، ص ١٤١

(١٢) ابن حزم : جهرة انساب العرب ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، سنة ١٩٨٣ ، ص ٤٤٤ - ٤٨٦ ، القلقشندى : قلائد الجمان فى التعريف بعرب الزمان ، تحقيق ابراهيم الأبيارى ، دار الكتاب اللبنانى ، بيروت ، الطبعة الثانية ، سنة ١٩٨٢ ، ص ٤٣

(١٣) القلقشندى : قلائد الجمان ، ص ٤٤

(١٤) المصدر السابق ، ص ٤٤ ، مصطفى مسعد : الاسلام والنوبة ، ص ٢٠٠

(١٥) ابن عبد الحكم : نفس المصدر ، ص ٩٨

(١٦) المصدر السابق : ص ١٢٦ ١٢٧

لصحابى منهم وهو عقبة بن عامر الجهنى رضى الله عنه خطة بجوار خطة مسلمة بن مخلد الأنصارى وابى رافع مولى رسـول الله ﷺ فى مكان بالفسـطاط يسمى دار الرمل(١٧) ·

والجهنيون الموجودون فى السـودان الآن يقولون بانتسابهم الى هـذا الصحابى الجليل(١٨) · ومهما كان القول فى صحة هذه النسبة ، فان جميع الشواهد تدل على نسـبتهم الى قبيلة جهينة التى عاشت كمـا اشرنا فى شـمال بلاد الحجاز حول ينبع ، واشتركت فى فتح مصر وتوالت هجراتها اليها ، وتكاثر الجهنيون وخاصـة فى صعيد مصر حتى صار اكثر عرب الصعيد منهم ، وصارت لهم بلاد منفلوط وأسـيوط · وكانت مساكنهم اولا فى الأشمونين مع قريش ، فنقلهم الخلفاء الفاطميون منها الى بلاد اخميم انتصاراً لقريش حينما وقع النزاع بينهم وبين جهينة ، وكانت اخميم لبلى ، فوقع النزاع مرة ثانية بين جهينة وبلى ، وتصالح الفريقان على أن يكون لجهينة من المشرق من عقبـة قاو الخراب التى اندرست الآن وكان موقعها فى نواحى مركز البدارى بأسـيوط ، الى ميناء عيذاب الذى يقـع على البحر الأحمر ، ولبلى من جسر سـوهاج الى غرب قمولة(١٩) ·

---

(١٧) المصدر السـابق ، ص ١٠٠

ودار الرمل نسبة الى رملة ابنة معاوية بن ابى سـفيان ، وقد حرفت العامة ذلك وقالوا دار الرمل · ويقال انها سميت دار الرمل لمـا كان ينقل اليها من الرمل لدار الضرب ·

انظر ، ابن عبد الحكم : فتوح مصر واخبارها ، ص ١٠١

(١٨) مصطفى مسعد : الاسلام والنوبة ، ص ٢٠٠

(١٩) القلقشندى : قلائد الجمان ، ص ٤٤ - ٤٥ المقريزى : البيان والاعراب عما بأرض مصر من الأعراب ، تحقيق عبـد المجيد عابدين ، عالم الكتب ، القـاهرة ، الطبعـة الثانية ، سنة ١٩٦١ ، ص ٢٧ ، ٣٢ - ٣٢ ، ١٢٨

والجدير بالذكر انه مازال بالصعيد حتى الآن أماكن تسمى بجهينة ، =

وهكذا توزعت جهينة فى بلاد الصعيد الأقصى حتى اذا كان عصر المماليك اشتدت مقاومة العربان ضدهم ، وتكونت احلاف عديدة لهذا الغرض من البدو العرب سبقت الاشارة الى بعضها . وقد ساهمت جهينة بنصيب كبير فى مقاومة المماليك منذ نهاية القرن السابع للهجرة . فقد قامت فى عام ٦٩٨ هـ / ١٢٩٨ م أحلاف من البدو لم تذكر المصادر اسماء قبائلهم ، ولكن كان مسرحها منفلوط واسيوط ، وهى بلاد داخلة فى نطاق نفوذ جهينة ، مما يرجح أن جهينة كان لها نصيب فى هذه الحركة ان لم تكن قد حملت لواءها تحت قيادة ما عرف باسم الحلف العركى الذى تصدى للمماليك بزعامة محمد بن واصل العركي الجهنى والذى كان يلقب بالأحدب نظراً لطوله وانحناء قامته ، وذلك فى الفترة من عام ٧٤٩ هـ الى ٧٥٤ هـ (١٣٤٨ - ١٣٥٣ م)(٢٠) .

ومعنى ذلك ان جهينة فى الفترة التى تقع بين عامى ٦٩٨ هـ و ٧٥٤ هـ كان لها نصيب وافر فى المقاومة التى جرت عليها غضب المماليك واضطهادهم لها ، هذا الاضطهاد الذى انتهى بهجرة كثير من بطونها ورجالها الى بلاد السودان ، وانتشروا على حد قول ابن خلدون

=

ومازال فيه رجال من قبيلة جهينة يعيشون على الساحل الصحراوى لدشنا . وهناك قبائل من جهينة سكنت الشرقية والقليوبية وقنا . وفى مركز فاقوس بالشرقية قرية قديمة تسمى دوار جهينة ، وفى محافظة القليوبية فى مركز شبين القناطر بلدة تسمى نزلة عرب جهينة .

انظر ، عبد المجيد عابدين : دراسات فى تاريخ العروبة فى وادى النيل هامش ٦٨ ص ٣٢ ، ٣٣ ، عمر رضا كحالة : معجم قبائل العرب ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، سنة ١٩٨٢ ، جـ ١ ص ٢١٦

(٢٠) عبد المجيد عابدين : دراسات فى تاريخ العروبة فى وادى النيل ، ص ١٢٨ - ١٣١

ما بين صعيد مصر وبلاد الحبشة ، وهى البلاد التى كان المؤرخون يعنون بها بلاد السودان بوجه عام ، « وكاثروا هنـاك سائر الأمم وغلبوا على بلاد النوبة وفرقوا كلمتهم وازالوا ملكهم ، وحاربوا الحبشـة فارهقوهم الى هـذا العهد »(٢١) .

وقد سبق الحديث عن تدفق جهينة على بلاد النوبة وعلى دورها فى زوال مملكتى مقرة وعلوة المسيحيتين ، وعلى احاطتها لدارفور من ناحيـة الشرق(٢٢) ، ولم تلبث جهينة بعد ان تكاثرت اعدادها فى السودان النيلى على هـذا النحو ان اتجهت الى الغرب ، فرحل كثير منها الى دارفور وكونت ما اشرنا اليه باسـم المجموعة الجهنية ، وخاصة بعد ان لحقت بها قبائل جهينية اخرى لم تكن قد استقرت على ضفاف النيل وفى سهوله الفسيحة كما فعل اخوانهم من الجعليين والكواهلة وغيرهم من مجموعات العرب الآخرين (٢٣) ، وانما فضل معظم هؤلاء القادمين الذين كانوا من البدو ويشتغلون برعى الابل(٢٤) الانتقال الى دارفور او الهجرة اليها مباشرة من محالهم او بلادهم الأولى التى هاجروا منها ، لأنها تماثل بيئتهم الأولى فى الجزيرة العربية التى كانوا ينعمون فيها بالحرية والاسـتقلال .

ولـما كان هؤلاء العرب الذين هاجروا الى دارفور على هـذا النحو يشـتغلون برعى الابل فقد عرفوا باسـم الأبالة ، ومن اشـهر قبائلهم الزبادية والمـاهرية والعطيفات واللعالية والعريقات(٢٤) . وبعد ان انتقلت جماعات عربية اخرى الى جنوب دارفور لم تلبث ان استبدلت

---

(٢١) تاريخ ابن خلدون ، جـ ٢ ص ٢٤٧

(٢٢) عبد المجيد عابدين : نفس المرجع ، ص ١٥٧ ، مصطفى مسعد : الاسلام والنوبة ، ص ١٩٨

(٢٣) مصطفى مسعد : سلطنة دارفور ، ص ٢١٧

(٢٤) عبد الله حسين : السودان من التاريخ القديم ، جـ ١ ص ٣١ ، السودان القديم والجديد ، القاهرة ، سنة ١٩٤٥ ، ص ٤٣

البقر بالابل ، نظرا لغزارة الأمطـار ووفرة المراعى ، ولذلك عرفوا باسـم البقارة ، فى حين ظل أبناء عمومتهم واخوانهم فى الشـمال يرعون الابل على النحو الذى أشرنا اليه(٢٥) . وتضم قبائل البقارة فى دارفور عددا من القبائل ، من أشـهرها الرزيقات والهبانية والمسـيرية والتعايشية وبنو هلبة وعرب البشير وبنو فضـل وبنو حسـين والكرويات والحوتية والخوابير والبرياب(٢٦) .

ومعروف أن هـذه القبائل العربية وغيرها من القبائل التى سنتحدث عنها فى شىء من التفصيل والتى ينتسب معظمها الى جهينة ، او بالأحرى التى كونت المجموعة الجهنية ، سكنت أقاليم ومناطق فى دارفور لم تكن بطبيعة الحال خالية من السكان ، بل انها اشتملت وكما أشرنا من قبل على عناصر حامية فى الشمال وعناصر زنجية أو شـبه زنجية فى الجنوب(٢٧) .

وتتج عن ذلك اختلاط بين العرب وبين هؤلاء السـكان المحليين ، ولم يؤد اختلاط القبائل العربية من الأبالة بالعناصر الحامية فى الشـمال الى تأثير كبير فى صفاتها الجسدية ، فى حين أن القبائل العربية التى انتقلت جنوبا وهى البقارة اكتسب افرادها بعض الصفات الزنجية لاتخاذهم زوجات واماء من الزنجيات . ومع أن البقارة لم يكونوا اقوى عنصر فى

---

(٢٥) مصطفى مسعد : سـلطنة دارفور ، ص ٢١٧ ـ ٢١٧ ، الشاطر بصيلى : تاريخ وحضارات السودان الشرقى والأوسط ، ص ٤٣٣

ويلاحظ أن التمييز بين الأبالة والبقارة لا يعتبر تمييزا مطلقا لأن بعض البقارة يرعون الابل ايضا ، ولكثير من قبائل البقارة كالرزيقات اقارب فى الشـمال يرعون الابل ويعرفون ايضا بالبقارة .

أنظر ، دائرة المعارف الاسلامية ، جـ ٧ ص ٤٥٥ مادة (البقارة) .

(٢٦) عبد الله حسين : السودان من التاريخ القديم ، جـ ١ ص ٢١ ، ٢٢ ، السودان القديم والجديد ، ص ٤٢

(٢٧) انظر ، ص ٢٤

دارفور ، الا انهم استطاعوا ان يشطروا هذا الاقليم شطرين ، فاحتلوا السهول الواقعة جنوبى جبال مرة وحصروا الفور شمالا فى منطقة الجبال ، حيث بقوا هناك اجيالا بعد اجيال ، على حين دفعوا قبائل الشظ والبنجا والبندا والفروجيه جنوبا الى اقليم المستنقعات شمالى الغزال حيث عرفوا هناك باسم الفرتيت(٢٨) .

ويبدو ان هجرات هذه القبائل العربية من الأبالة والبقارة قد جاءت الى دارفور فى عصور متباينة وفى شكل مجموعات كبيرة ، وعلى دفعات وفى موجة اثر موجة ، وعبر قرون عديدة(٢٩) ، وفى شكل تسرب سلمى هادىء ، فلم نسمع انهم ووجهوا بمقاومة من ملوك دارفور او من سكانها ، فقد اتصل البقارة بهؤلاء الملوك ودخلوا فى طاعتهم ودفعوا لهم الجزية ، وخرجوا عليهم احيانا وفروا بانفسهم ليعاودوا الكرة من جديد(٣٠)

وعلى اية حال فقد عاش الأبالة والبقارة فى انحاء اقليم دارفور المختلفة سواء فى شماليه مثل الزيادية وبنى حراز والعطيفات والعريفات والمحاميد والكروبات ، او فى جنوبيه جنوبه الشرقى مثل الهبانية والرزيقات والمسيرية والتعايشة وبنى هلبة والمعالية وبنى عمران ، او في غربيه مثل الماهرية وبنى حسين وبنى خزام ، والسلامات ، او فى وسطه مثل عرب البشير والكروبات والخوابير وبنى فضل وهوارة(٣١) .

---

(٢٨) مصطفى مسعد : سلطنة دارفور ص ٢١٨

(٢٩) الشاطر بصيلى : تاريخ وحضارات السودان الشرقى والأوسط ، ص ٣٧٤

(٣٠) حسن محمود : نفس المرجع ، ص ٣٠٨ ، دائرة المعارف الاسلامية ، جـ ٧ ص ٤٥٧ ، مادة البقارة .

(٣١) التونسى : نفس المصدر ، ١٣٩ ، ١٤٠ ، مصطفى مسعد : سلطنة دارفور ، ص ٢١٩

وقبل أن نسوق الحديث مفصلا عن هذه القبائل وغيرها من التى هاجرت الى دارفور وأقامت فيها واتخذتها وطنا ومسكنا ، نشير الى ان بعض الأشراف من العرب انتقلوا ايضا الى هذا الاقليم ٠ وفى ذلك يذكر التونسى الذى مكث فى دارفور سبع سنوات فى بداية القرن الماضى انه عثر على قصيدة لبعض البكريين فى حل شرب الدخان ، ويقول أنه يظن أن تاريخ كتابتها يعود الى منتصف القرن التاسع للهجرة (٣٢) ٠ وهذا القول ان دل على شىء فانما يدل على قدم وجود هؤلاء البكريين فى دارفور ، وايضا على ان انتشارهم فيها كان بطبيعة الحال قبل ذلك بوقت ليس بالقليل ، تمكنوا فيه من العيش والاستقرار وقول الشعر ٠

كما يشير ماكمايكل أيضا الى وجود بعض الأشراف من الحسنيين فى دارفور ، فيتحدث عن أولاد حمد بن على الذين كانوا يقيمون فى مرتفعات الزغاوة فى كردفان ، ويقول انهم حسنية ، وأنهم هاجروا الى جبل ابو سنون وتقلى ودارفور ، وبعضهم موجودون ايضا غرب ارقد ٠ والى أولاد الشريف هاشم ابو نمشة من الحسنية فى داربرقو فى شرقى دارفور ، والى بنى حسين الحسنيين فى دارسلا فى الجنوب الغربى لدارفور (٣٣) ٠

وعلى أية حال فان هؤلاء الأشراف كانوا قليلى العدد فى دارفور ، وكانت غالبية القبائل التى هاجرت اليها كما قلنا تنتسب الى جهينة او الى المجموعة الجهنية بمعنى أصح ٠ وسوف نأخذ فى الحديث عن هذه القبائل حسب المناطق الجغرافية ، فنبدأ أولا بالقبائل التى هاجرت وسكنت الجزء الشمالى من دارفور ، ثم بتلك التى سكنت الجزء الجنوبى ، بعد ذلك نتحدث عن القبائل التى سكنت الجزء الشرقى ، والقبائل التى

---

(٣٢) تشميذ الأذهان ، ص ٣٠ ٠

(33) Mac Michael : Ahistory of the Arabs in the Sudan , Vol 2, p. 193.

سكنت الجزء الغربى ، وأخيرا القبائل التى سكنت المنطقة الوسطى من الاقليم .

(أ) القبائل العربية المهاجرة الى شمالى دارفور :

هاجر الى هذا الجزء من دارفور قبائل عربية عديدة ، منها بنو جرار والزيادية والعطيفات والعريقات والمحاميد والكروبات . اما بنو جرار فهم من القبائل التى كانت تعيش فى صعيد مصر فى القرن الخامس عشر للميلاد(٣٤) ، ثم رحلوا الى السودان وسكنوا فى الجزء الشمالى من دارفور وكردفان ، وكانوا من اقوى القبائل التى سكنت هذا الجزء من هذين الاقليمين ، وكانوا هم والحمر Hamar من أعظم القبائل التى نافست الكبابيش فى النصف الشمالى من كردفان الى حدود بلاد النوبة ، حيث كانوا يغيرون عليهم وعلى طرق القوافل السائرة من دبة الى الحرازة الى صحراء بيوضة ، وجنوبا الى ضفاف النيل الأبيض واكثرتهم فى ذلك الوقت كان اسم فزارة الصق بهم منه باى قبيلة اخرى وان كانوا من قبائل جهينة(٣٥) . ولا تناقض فى ذلك حيث ان فزارة واقسامها كانت تعتبر قسما من اقسام جهينة(٣٦) .

وقد ذكر الدكتور بيرون Perron ان بعض بنى جرار كانوا يعيشون فى السهول التى تقع قرب بلدة الطويشة(٣٧) ، وهى بلدة تقع فى شرقى دارفور(٣٨) . وكان الأمير ابو مدين واخوه قد هربا من دارفور تجاه كردفان ومنها الى مصر ، حيث قابله بيرون ودون عنه

---

(34) Ibid : Vol , I, p. 264.

(٣٥) محمد عوض محمد : السودان الشمالى ، ص ٢٢١ ، ٢٢٢ ، Mac Michael : op. cit. Vol , I, pp. 264 , 315.

(٣٦) مصطفى مسعد : امتداد الاسلام ، ص ٨٧

(٣٧) التونسى : تشحيذ الأذهان ، ملحق رقم ١ ، ص ٣٤٦

(٣٨) انظر الخريطة رقم ١ ، ٢

هـذه المعلومات ، وذكر ان بنى جرار عرضوا عليه المساعدة ضد سلطان دار فور(٣٩) ، مما يدل دلالة مؤكدة على قوة هـذه القبيلة .

ولما رفض ابو مدين هـذه المساعدة لشكه فى سلوك بنى جرار نحوه ، امدوه بمائة فارس حماية له حتى يصل الى مأمنه ، فظل سائرآ مدة يومين ، وفى اليوم الثالث تعرف عليه احـد الأهالى عند عبوره بعض الربى عنـد أطراف دارفور(٤٠) ، مما يدل على ان بنى جرار كانوا يقيمون فى مساحات واسعة تمتد مسافة بعيدة تصل الى حدود دارفور الشرقية . كما انهم كانوا من القبائل التى ظلت موجودة فى عصر السلطان تيراب (١١٨١ - ١٢٠١ هـ / ١٧٦٨ د ١٧٨٧ م) وكانت تدفع له ضريبة معينة(٤١) .

والى شمالى دارفور هاجر ايضا العطيفات ، وهم ابالة من اصحاب الجمال ، ويقولون بانهم من المهرية ، وان كان هـذا القول صحيحا فان تفسير ماكمايكل على ان اسمهم مشتق من كلمة عطفة وانهم كانوا مثل عنزة يعيشون فى شمال شبه الجزيرة العربية(٤٢) غير صحيح ، لأن المهرية أو الماهرية كما تسمى احيانا تنسب الى قبيلة مهرة التى كانت ولازالت تعيش فى جنوب الجزيرة العربية(٤٣) .

وعلى اية حال فان العطيفات سكنوا شمالى دارفور وعاشوا حول ميليت وفى منطقة عنكة(٤٤) والى الشمال منها ، ويقولون انهم ينقسمون

---

(٣٩) التونسى : نفس المصدر ، ص ٣٤٧

(٤٠) المصدر السابق ، ص ٣٤٧

(٤١) المصدر السابق ، ص ١٤٠

(42) Mac Michael : Ahistory of the Arabs in the Sudan, Vol I, p. 300 & Footnote (1) p. 300.

(٤٣) القلقشندى : قلائد الجمان ، ص ١٨ ، نعوم شقير : تاريخ السودان ، جـ ١ ص ٦٢

(٤٤) انظر خريطة رقم ٣

الى اولاد عجيل وأولاد جونه ، كما يذكرون أن لهم قسمين آخرين هما الحجاية Hagaia وأولاد نصر ، ويعيشان فى واداى ، وقسم ثالث يسمى الأكاكيز او العكاكيز يعيش فى جنوبى دارفور مع الرزيقات(٤٥) .

اما العريقات ، فانهم أيضا من الأبالة وعاشوا بصفة رئيسية فى شمال غربى دارفور حتى عصر السلطان محمد فضل (١٢١٥ - ١٢٥٤ هـ/ ١٧٨٧ - ١٨٣٩ م) حيث هاجمهم وهزمهم ، فتبعثرت اعدادهم وخاصة الى الجهات الشمالية . وفى الوقت الذى كتب فيه ماكمايكل كانوا يعيشون حول الفاشر فى الشمال الغربى ، واستقر بعضهم غربا فى منطقة انيدى Ennedi مع البدايات ودار تامه(٤٦) .

وقد ذكرهم التونسى كبقارة أغنياء وكفرسان يصطادون الزراف والنعام فى جنوب غربى واداى وفى دارفور(٤٧) ، ولم يقل أن اسمهم مشتق من (العراق) كما فعل ماكمايكل ، ثم نفى هذا القول(٤٨) لأنه غير صحيح . والظاهر أن هذا الاسم تصحيف من اسم العليقات ، والاسم الأخير نسبة الى وادى العلاقى حيث كانت تعيش هذه الجماعات هناك فى ارض المعدن فى جنوب مصر ، وبعد ان اصاب الخراب هذا الوادى نزحوا شمالا الى بلاد الصعيد والى سيناء ، ومنهم فروع سكنت بين المضيق وكورسكو ويقولون انهم ينتمون الى عقيل بن أبى طالب رضى الله عنه(٤٩) .

ويبدو ان هذه النسبة أيضا غير صحيحة ، لأن معظم سكان أرض

---

(45) Mac Michael : op. cit, Vol, I, p. 30[illegible]

(46) Ibid : Vol l, p. 300.

(٤٧) التونسى : نفس المصدر ، ص ٢٩٢ ، ٣٨٧

(48) Mac Michael : op. cit, Vol l, p. 300.

(٤٩) عبد المجيد عابدين : دراسات فى تاريخ العروبة فى وادى النيل ، ص ١٦٠

المعـدن فى وادى العلاقى كانوا من ربيعة(٥٠) ، وعقيل بن ابى طالب من قريش من مضر . وعلى ذلك فان العليقات الذين يرجح أن العريقات منهم هم من ربيعة . وقد عاشوا كما قلنا فى شمال غربى دارفور ، وكان مركزهم فى مكان يسمى كتم (بضم الكاف والتاء) ، وانقسموا فى دارفور الى زبلات zebelat من ناحية ، والى مجموعة تتكون من الديمسات Dimaysat ونصرية واولاد كرو Kerru والمناوية Minawia من ناحية أخرى(٥١) .

وقد هاجر الى شمال دارفور ايضا قبيلة الزيادية ، وينتسبون الى ابى زيد الهلالى من عرب نجد(٥٢) . وربما كان اسمهم مشتقا من اسم ابى زيد . ويقول ماكمايكل ان قوائم النسبة تظهر انهم ينتمون الى مجموعة فزارة(٥٣) .

وكان معظمهم يعيش فى شمالى دارفور فى المناطق التى تقع شمال الفاشر ، وقليل منهم كانوا يرعون مع دار حامد فى كردفان(٥٤) ، وكانوا يشتغلون بصيد الزراف والأنعام وهم ركوب على الخيل(٥٥) ، وكانوا من اشهر قبائل الأبالة العرب فى دارفور(٥٦) ، ولذلك تكثر عندهم الابل وهى مصدر رزقهم الرئيسى ، وكانوا يستخدمونها فى النقل محليا ما بين الأبيض فى كردفان والفاشر ووأداى ، وذلك قبل ظهور السيارات ، كما كانوا يصدرونها لمصر(٥٧) . وكانوا ايضا يتجرون فى

---

(٥٠) مصطفى مسعد ، الاسلام والنوبة ، ص ١٢٧ ، ١٢٨

(51) Mac Michael : op. cit, Vol , l, p. 300.

(٥٢) نعوم شقير : نفس المرجع ، ج ١ ص ٩٢

(53) Mac Michael : op. cit , Vol l, p. 262.

(54) Ibid : Vol l, pp. 262 , 315.

(٥٥) التونسى : نفس المصدر ، ص ٢٩٢

(٥٦) عبد الله حسين : السودان من التاريخ القديم ، ج ١ ص ٣٦

(٥٧) المرجع السابق ، ج ٢ ص ٤٦٧

النطرون والملح(٥٨) لوقوع مناجم هاتين السلعتين فى الأراضى التى تقع شمال بلادهم ٠

ويبدو أن اعتمادهم على الابل كمصدر رئيسى لرزقهم جعلهم يقعون فى تنافس مرير على مناطق المراعى والكلأ مع الكبابيش وبنى جرار والحمر ، فكانوا كثيرا ما يحاربونهم ويطاردونهم بعيدا فى الشرق فى وادى الملك حتى طريق دبا الحرازة ، وكان بعضهم يقضى الخريف فى شمال غرب كردفان مع ابناء عمومتهم البدو من دار حامد والشنابلة(٥٩) . وكانوا أيضا فى نزاع مع جيرانهم من البرتى بسبب ثارات ودماء اشار اليها التونسى(٦٠) ولم يبين أسبابها ٠

ومن القبائل ذات الشأن فى شمالى دارفور المحاميد ٠ وانقسم المحاميد فريقين ، فريق يعيش فى شمالى دارفور وكانوا من الأبالة ، والفريق الآخر يعيش فى جنوبى دارفور وكانوا من البقارة(٦١) ٠ ويعتبر المحاميد من القبائل الخمس المالكة للجمال فى شمال دارفور ووادى ، وهى قبائل النوايبة والمهرية والمحاميد والعريقات والعطيفات ٠ ويسمى ناختيجال هذه القبائل بمجموعة المحاميد ، وهى مجموعة ضخمة تقول أنهم من جهينة وأنهم دخلوا دارفور ووادى فى القرن الرابع عشر أو بعد ذلك بقليل(٦٢) ٠

غير أن التونسى أشار اليهم على انهم من فزارة(٦٣) ، وأشار الى

---

(٥٨) نعوم شقير : نفس المرجع ، ج ١ ص ٦٢

(59) Mac Michael : op. cit, 1, pp. 262 - 263.

(٦٠) تشحيذ الأذهان ، ص ٢٨٢ ، ٢٨٣

(٦١) التونسى : نفس المصدر ، هامش (٥) ص ٨٥ ، ١٣٩

Mac Michael op. cit , Vol 1, p. 298.

(62) Ibid : Vol , p. 298.

(٦٣) تشحيذ الأذهان ، ص ١٣٩

أنهم كثيرون فى واداى ، وان لهم هناك شيخ يقوم بأمرهم(٦٤) .
وقد امتدت بلادهم بعيدا فى الشمال ، والدليل على ذلك ما اشار اليه ماكمايكل من أن القرعان يعيشون بينهم(٦٥) ، ومعروف أن القرعان كانوا يعيشون فى الصحراء الليبية شمالى بلاد الكانم والبرنو(٦٦) .

وربما توحى الينا هذه الاشارة بالمصدر الذى جاء منه المحاميد ، فكونهم يعيشون فى شمال دارفور وفى واداى التى يكثرون فيها ، وكون نفوذهم يمتد بعيدا فى الشمال على هذا النحو ، فان ذلك يدل على أنهم قدموا أصلا من بلدان شمال افريقيا وعلى وجه التحديد من تونس وليبيا ، متبعين فى ذلك الطريق الذى يربط هذين البلدين ببلاد الكانم . والاحتمال انهم وصلوا الى بلاد الكانم أولا ثم رحلوا منها جنوبا حتى استقروا فى واداى وفى شمالى دارفور .

وفكرة قدومهم من تونس وليبيا تتضح اذا ما عرفنا أنه فى هذين البلدين قبيلة تحمل نفس الاسم ، وكانت بطنا من بطون بنى هلال أو بنى سليم الذين هاجروا من مصر الى تونس فى القرن الحادى عشر للميلاد واستقروا هناك ، ونزل المحاميد المناطق الساحلية من تونس حتى حدود طرابلس الحالية(٦٧) .

وربما كان المحاميد الذين سكنوا هذه الجهات من فزارة بن غطفان(٦٨) . اذ يخبرنا القلقشندى أن فزارة كانت تعيش فى برقة وطرابلس وافريقية (تونس) والمغرب ، وكانت فزارة تنقسم فى هذه

---

(٦٤) المصدر السابق ، ص ٢٩٣ - ٢٩٤

(65) Mac Milhael : op . cit, Vol 1, p. 299.

(٦٦) الحسن الوزان : نفس المصدر ، ج ٢ ص ١٧٩ هامش (٤٠) ، ص ١٨٠

(٦٧) دار المعارف الاسلامية ، ج ١ ص ٢٣٢ مادة تونس .

(٦٨) ابن حزم : نفس المصدر ، ص ٢٥٥

البلاد الى قبائل كثيرة منها أولاد محمد(٦٩) ٠ وربما كان اسم المحاميد نسبة الى أولاد محمد هؤلاء ٠

فالمحاميد اما من الهلالية من هوازن(٧٠) ، أو من فزارة كما يقول القلقشندى وكما يقول ماكمايكل(٧١) ، أو انهم كانوا ضمن حلف فزارة الذى تكون من قبائل عديدة من بينها المحاميد والهلاليون(٧٢) ٠

ومهما كان امر نسبة المحاميد ، فانهم عاشوا فى شمالى دارفور كابالة ، كما عاشوا بين الرزيقات فى جنوبى دارفور كبقارة ، وكانوا يكونن ثلث الرزيقات(٧٣) ، كما انتشروا فى واداى وفى شمال بلاد الكانم ، وانقسموا فى شمالى دارفور الى بيوت أو بطون عديدة ، منها أولاد شايق(٧٤) ، وأولاد ياسين والشوتية وأولاد زيت(٧٥) ، وربما كانت هذه الكلمة مصحفة من كلمة زيد ٠

---

(٦٩) القلقشندى : قلائد الجمان ، ص ١١٣

(٧٠) ابن حزم : نفس المصدر ٢٧٣

(71) Mac Michael : op . cit, Vol 1, p. 298

(٧٢) عبد المجيد عابدين : دراسات فى تاريخ العروبة ، ص ١٤٧ ، حسن محمود : نفس المرجع ، ص ٣٠٦

(73) Mac Michad : op cit, Vol 1, p. 299

(٧٤) كان أولاد شايق هؤلاء يعيشون أيضا فى واداى التى تقع غربى دارفور ، يدل على ذلك انه فى العصر الحديث وحوالى عام ١٩٠٨ م هاجر عدد من أولاد شايق من المحاميد الى دارفور من واداى ، وهم المعروفون باسم (أم حلول) ، واستقروا مع بعض اقسام الشوتية وأولاد شايق شمال الفاشر ، حيث يقولون انهم كانوا أولا فى الفاشر منذ ثلاثة أو اربعة اجيال وقبل أن يذهبوا الى واداى ٠ وقد هاجر بعض هؤلاء المهاجرين فى عام ١٩١٤ شرقا وذهبوا الى كردفان ، وفى عام ١٩١٦ وبعد موت على دينار عادوا الى دارفور مرة ثانية ٠ انظر :

Mac Michael Ahistory of the Arabs in the Sudan Vol, 1, p. 299.

(75) Ibid : Vol 1, p. 299.

ويعيش بين المحاميد فى شمالى دارفور قبيلتان أقل منهم عددا هما النوايبة والمهرية . والقبيلة الأولى وهى النوايبة من نفس أصل المحاميد أو من مجموعتهم ، ويعيشون بينهم كأبالة ، كما يعيش بعضهم فى الجنوب الشرقى من دارفور بين الرزيقات كبقارة ، كما توجد بقارة من النوايبة فى الجنوب الشرقى فى واداى(٧٦) ، وأن كان ناختيجال يعتبرهم من أصحاب الجمال ، أى أبالة(٧٧) .

أما المهرية أو الماهرية الذين ينتسبون الى مهرة بن حيدان بن عمر ابن الحافى بن قضاعة(٧٨) ، فقد هاجروا الى مصر أولا وشاركوا فى فتحها واستقروا فيها(٧٩) ، ثم هاجر بعضهم منها الى دارفور وسكنوها . وقد قيل انهم والرزيقات قبيلة واحدة ، الا انهم سكنوا شمالى دارفور واقتنوا الابل ، بينما سكن الرزيقات فى جنوبى دارفور واقتنوا البقر(٨٠) . فالمهرية فى شمالى دارفور من مجموعة المحاميد ويعيشون بينهم فى مناطق تمتد بين كوتوم Kuttum وجبل مرة فى الوقت الحالى ، وليس عددهم كبيرا(٨١) .

ويلاحظ أن المحاميد والمهرية والنوايبة أبالة وبقارة ، بمعنى أن هناك قبائل تحمل هذه الأسماء وتعيش فى الشمال وتعمل برعى الابل ، فهم أبالة ، وهم الذين تحدثنا عنهم . كما أن هناك قبائل أخرى تحمل نفس الأسماء وتعيش فى الجنوب والجنوب الشرقى لدارفور وتعمل فى

---

(76) Ibid : Vol l, p. 300.

(77) Ibid : Vol l, p. 300 Footnote (I) .

(٧٨) ابن حزم : نفس المصدر ٤٤٠

(٧٩) ابن عبد الحكم : نفس المصدر ، ص ١١٨ ، ١١٩

(٨٠) نعوم شقير : نفس المرجع ، ج ١ ص ٦٢

(81) Mac Michoel : op. cit, Vol l, p. 300.

رعى الماشية فهم بقارة ، وتتكون منهم قبيلة الرزيقات التى تعد من أكثر البسارة فى دارفور ثروة واشدها باسا وقوة(٨٢) .

وبخلاف هذه القبائل التى هاجرت الى شمالى دارفور وسكنته ، هناك قبائل أخرى هاجرت اليه ولكنها عاشت موزعه بين كردفان ودارفور . من هذه القبائل : الكروبات Korobat ، ويرى الكروبات انهم بصفة عامة من أصل واحد هم وجلابة هوارة ، لأنهم جميعا متشابهون ومتطابقون وبصرف النظر عن هذا القول فان الكروبات عاشوا فى غرب السودان ، فى كردفان ودارفور واستقر الجزء الأعظم منهم فى شمال غربى دارفور فى منطقة تمتد من شرقى كبكبية حتى قرب دار قمر(٨٣) (بكسر القاف والميم) .

ويقول ناختيجال انهم عاشوا فى فترة ما فى دار قمر التى كان الفور قد سبقوهم اليها ، كما يجعلهم هو وبارت Barth ضمن عرب واداى الذين يدعون انهم من عرب اليمن ، بينما يقول اخوانهم من الكروبات فى دارفور أنهم نزلوا من بنى شيبة الذين يعيشون فى جزيرة العرب(٨٤) .

ويبدو أن عرب الكروبات كانوا كثيرى العدد ، بدليل أنهم يعيشون فى دارفور وفى واداى ، وفى كردفان أيضا فى منطقة شركيله . وهؤلاء

---

(٨٢) التونسى : نفس المصدر ، ص ٨٥ هامش (٥) .

(٨٣) تقع دار قمر أو بلاد قمر فى غربى دارفور شمال بلاد المساليط وشرق دار تامة ، وهى بلاد فقيرة فى مواردها الطبيعية . وتعيش جماعات القمر على زراعة الدخن ورعى الأغنام والماشية ، ويدعى القمر الانتساب الى أصل عربى ، وعلى الرغم من أن معظمهم يتكلمون اللغة العربية فانه ليس هناك ما يؤيد هذه الدعوى فى راى ماكمايكل .

انظر : التونسى : تشحيذ الأذهان ، ص ١٣٦ هامش (٢) .

(٨٤) نعوم شقير : نفس المرجع ، ج ١ ص ٦٣ .

الذين يعيشــون فى كردفان يقولون انهم ينتمون الى صباحة (بضم الصاد) ، وهم قســم من الحمر Hamar ، ويعيشــون حول (أم بل) فى غربى كردفان ، كما أن قسما منهم عاش ايضا مع البرقد فى الجزء الشرقى من دارفور .

ونظرا لأن معظم الكروبات كانوا يعيشون كما قلنا فى الجزء الشــمالى من دارفور ، فانهم وبحــكم موقع بلادهم كانوا تجارا وفيهم علمــاء اجلاء(٨٦) ، نظرا لمرور قوافل التجارة عبر اراضيهم ، وقد ذكرهم نعوم شقير وغيره ضمن قبائل البقارة فى دارفور(٨٧) .

ومن القبائل الأخرى التى هاجرت الى دارفور وسكنتها وسكن بعضها كردفان ، قبيلة دار حامد التى تنتسب الى فزارة(٨٨) ، وهــذه القبيلة من قبائل البدو العربية التى كانت تعمل فى رعى الابل . ويبدو انهم انحدروا أساسا من دنقلة كما ذكر ماكمايكل الذى يقول أن جدهم الأعلى حامد جاء هو وأخوه حمد منــذ أحد عشر أو ثلاثة عشر جيلا ، أى قبل القرن السادس عشر للميلاد من مصر ، وأندفعوا الى دارفور واســتقرت بعض سلالاتهم فيها ، واستقر البعض الآخر فى كردفان(٨٩) .

وقد انقسمت هــذه القبيلة الى أقســام رئيسية هى : الفراخنة ، والحبــابين ، والمرامرة ، والنواهيــة ، والعريفيــة ، وأولاد اقوى ، والمجــانين والجليــدات . وكانت أم القســمين الأولين وهما الفراخنــة

---

(85) Mac Michael : op. cit , Vol , 1, p. 337.

(٨٦) نعوم شقير : نفس المرجع ، جـ ١ ص ٦٣ ، عبد الله حسين : السودان القديم والجديد ، ص ٤٢

(٨٧) نعوم شقير : نفس المرجع ، جـ ١ ص ٦٣

(٨٨) التونسى : نفس المصدر ، ص ١٠٠ هامش (٢) .

(89) Mac Michael : op. cit, Vol 1, p. 256.

والحبابين من جبل ميدوب فى شمالى دارفور ، بينما كانت أم النواهية من بغداد . ويقال ان أولاد (اقوى) هم من حمد أخو حامد ، وان العارفية أتوا من بورقو ، وأن الجليدات تحتوى على عنصر زنجى كبير ، نتيجة لمصاهرتهم لهم(٩٠) .

ويقول ماكمايكل انه وحتى القرن الثامن عشر للميلاد ، كان الناس لا يعرفون شيئا عن تاريخ دار حامد ، وربما وفى خلال النصف الأول من ذلك القرن كان المرامرة هم البيت الحاكم لهذه القبيلة المتعددة البطون تحت رياسة شخص يدعى كريالو kirialo . وكان هؤلاء المرامرة يعيش بعضهم فى دارفور وبعضهم الآخر فى كردفان . وقد وقع كيريالو فى أسر سلطان دارفور فى منتصف ذلك القرن بسبب رفضه تجميع كل القبيلة حول العاصمة ، وانتقلت رياسة القبيلة لفرع (اقوى) ثم الحبابين ، بالاضافة الى ان كل قسم من اقسام دار حامد التى اشرنا اليه له شيخه المحلى الذى يدير شئونه(٩١) .

والمجانين هم اكثر دار بنى حامد بداوة حتى الآن ، وان كانوا قد بداوا مؤخرا يمارسون حياة الزراعة والاستقرار وبناء القرى ، ولا يزال رعى مواشيهم وغنمهم وابعاد مواشى جيرانهم هو شغلهم الشاغل . ويبدو أنهم تحركوا واستقروا أخيرا فى وسط كردفان وانفصل بعضهم واستقروا حول الحشابة Hashaba فى شرقى ذلك الاقليم وانقطعوا تماما عن بقية القبيلة ، وكان أول من لاحظهم البارون Muller بين سنتى ١٨٤٧ و ١٨٤٩ م (٩٢) .

أما العريفية Arifia فقد عاشوا طويلا فى أجزاء من غربى

---

(90) Ibid : Vol 1, pp. 256 - 257.

(91) Ibid : Vol 1, pp. 257 - 258.

(92) Ibid : Vol I, p. 258.

دارفور ، وتشربوا كثيرا من دم هـذه الأجزاء ، واستقروا الآن فى الجزء الجنوبى الجنوبى من دار حامد الى الغرب من الجليدات(٩٣) .

وهـؤلاء الجليدات كان كثير منهم يعيش فى دارفور بين الفاشر واقليم الحمر Hamar وظلوا كذلك حتى القرن الماضى . اذ بعد عصر المهـدية لم يبق منهم هنـاك الا القليل ، واسـتقر معظمهم فى كردفان(٩٤) .

اما المعالية فقد انقسمت بين دارفور وكردفان ، وكان الأبالة منهم يعيشـون فى شـمال دارفور(٩٥) ، ومن مراكزهم كركود شـمال الطويشة وقوز المعالية المنسوب اليهم ، وهم حلفاء للرزيقات واخصام للحمر(٩٦) .

اما البقارة من المعالية فقد كانوا يعيشـون في الجنوب ، ثم انتقلوا غربا فى القرن المـاضى لتفادى الضغط التركى ، واخيرا انتقلوا الى كردفان عقب الثورة المهدية ، ثم الى دارفور مرة اخرى عقب سـقوط حكم على دينار فى عام ١٩١٦ م (٩٧) .

أما بقية دار حامد من الفراحنة والحبابين والنواهية لم يذكر عنهم ماكمايكل ما يفيـد بوجودهم فى دارفور ، وتحدث عن معيشـتهم فى كردفان(٩٨)ولذلك لم يكن هنـاك ما يدعو للخوض فى الحـديث عن هـذه الجماعات .

(ب) القبائل العربية المهاجرة الى الجنوب والجنوب الشرقى لدارفور :

هاجر الى هـذه المنطقة الواسـعة والنائية من دارفور قبائل عديدة ، منها الحبانية والمسيرية والرزيقات وبنو هلبة والتعايشة . وقد سكنت القبائل الثلاث الأولى الجنوب والجنوب الشرقى من دارفور . ويبدو انهم كانوا

(93) Ibid : Vol 1, p. 261.
(94) Ibid : Vol 1, p. 262.
(95) Ibid : Vol 1, p. 267.
(٩٦) نعوم شقير : نفس المرجع ، ج ١ ص ٦٢
(97) Mac Michael : op . cit . Vol 1, p. 267
(98) Ibid : Vol 1, pp. 259 — 260.

كثيرى العـدد بدرجة كبيرة لفتت نظر التونسى حينما زار هـذه المنطقة فى بداية القرن التاسع عشر ، فقال عنهم وعن المنطقة التى عاشـوا فيها انها « خلاء مشحون بأعراب البادية كالمسيرية الحمر والحبانية والرزيقات ، عالم لا يحصيهم الا خالقهم »(٩٩) ٠

ويرجع سبب تمركز هـذه القبائل فى هـذه المنطقة الجنوبية من دارفور انها كانت تتمتع بميزات طبيعية وحيوانية كبيرة جذبت هـذه القبـائل الى الهجرة اليها وسـكناها دون غيرها من مناطق دارفور ٠ ولذلك صار سكانها من العرب على درجة كبيرة من الثراء والغنى ٠

وقد لفتت هـذه الظاهرة نظر التونسى فقال عنها مبينا مدى ثراء هؤلاء القوم انه يوجد عندهم «من الأرز والدفرة(١٠٠) ،والكوريب(١٠١) ، والهجليج(١٠٢) ، والتمـر هنـدى ، والعسـل ، والكرنو(١٠٣) ،

---

(٩٩) تشحيذ الأذهان بسيرة بلاد العرب والسودان ص ١٤٢

(١٠٠) الدفرة نوع من المزروعات يقرب من الأرز وليس بأرز ، وهو حب صغير أصغر من حب الأرز ، وفيه بعض فرطحة ، شديد البياض ، يألفه الناس فى دارفور أكثر من الأرز ٠ انظر ، التونسى ، ص ١٠٥

(١٠١) الكوريب : لم يبين التونسى ماهيته ، وهو شـجر أو نبات مثمر ٠ انظر ، التونسى ، ص ٢٩٥

(١٠٢) الهجليج : هو من الأشـجار التى تنبت طبيعيا فى الخلاء ، وهـو نوعان : الهجليج الأصـفر والهلجليج الأحمر ، وذلك حسب لون ثمارها الذى يشـبه البسر الغليظ أى البلح قبل أن يصير رطبا ٠ والهجليج شـجر عظيم مثل شـجر الجميز فى مصر ، أوراقه تميل الى البياض قليلا ، وثمره حلو الطعم به بعض المرارة وله رائحة خاصة ، ولهذا الثمر نواة بداخلها بذر على هيئـة الصنوبر شكلا ولونا ٠ ويأكل الناس الثمر وكذلك البذر على هيئات مختلفة ٠ وهذا الشـجر ذو منافع عظيمة عندهم =

والسرنة(١٠٤) ، ما لا يوجد عند غيرهم · واما اللبن فلا قيمة له عندهم لكثرته ، يأخذون منه السمن ويرمون رائبه ، حتى ان من آتى الى احيائهم ، وخصوصا احياء الرزيقات والمسيرية الحمر ، والحبانية ، يجد الغدران والبرك القريبة منهم كلها لبنا »(١٠٥) ·

وهذا دليل واضح على كثرة المحاصيل الزراعية وعلى وفرة الماشية وخاصة الأبقار التى كانت تصدر بكميات غير محدودة لأسواق النهود

فلا يرمون منه شيئا ، اذ ينتفعون بجميع اجزائه ، فيطبخون ورقه الطرى الفض فى ادمهم ، ويتداوون بهذا الورق بعد مضغه ووضعه على الجروح فتشفى ، ويعملون من ثمره عجينة تستخدم كالصابون فى تنظيف الملابس ، ويستعملون خشبه فى البيوت ليلا للانارة عوضا عن المصابيح لانه لا دخان له ، ومن رماده يعملون الكنبو وهو ملح سائل يستخدمونه فى الطبخ ، كما يعملون من خشبة الواح القراءة ·

انظر ، التونسى : تشحيذ الأذهان ، ص ٣٠٧ ـ ٣٠٩

(١٠٣) الكرنو أحد نوعين من النبق ينموان طبيعيا مثل الهجليج · والنوع الأول يسمى النبق العربى ، والثانى هو الكرنو ، وهو أكبر حجما من النبق العربى وأكثر لحما ويخالفه فى اللون · فالعربى يحمر لونه عند نضجه بينما يصفر لون الكرنو ، وهو أنفع منه ، ويأكلون لحاء الثمر ويجفف العرب البذور الصغيرة الموجودة داخل نواته فى الشمس ويطبخونها بالعسل ويبيعونها فى دار الفور وتسمى كنيا كنيا فتؤكل كالحلوى · وينتفع بورق الكرنو فى علاج بعض أمراض المعدة ·

انظر ، التونسى : تشحيذ الأذهان ، ص ١٠٩

(١٠٤) السرنة من الأشجار التى تنمو طبيعيا فى دارفور ، وهو من الأشجار المثمرة ولم يذكر عنه التونسى الا مجرد الاسم ·

انظر ، التونسى ، ص ٢٩٥

(١٠٥) التونسى : نفس المصدر ، ص ٢٩٥

والأبيض بكردفان ، وكان هذا التصدير يعد اول مصادر الرزق بتلك الناحية(١٠٦) ٠

أما الحبانية الذين يعرفون فى السودان باسم الهبانية فقد قال بعض الباحثين أنهم من القبائل التى يظن أن لها صلة ما بلخم وجذام (١٠٧) ٠ وانهم كانوا يعيشون فى البر الشرقى من صعيد مصر فيما بين مسجد موسى واسكر من أعمال أطفيح(١٠٨) ، الموجودة الآن فى محافظة الجيزة مستندا فى ذلك على ما قاله المقريزى من وجود بطن من لخم يسمى بنو حبان كانوا يعيشون فى المنطقة المشار اليها(١٠٩) ٠

والحقيقة ان الحبانية ليس لها أية صلة لا بلخم ولا بجذام ، لأن لخما وجذاما أخوان وهما يمثلان العمارة الأولى من كهلان(١١١) ، بينما الحبانية تنتمى الى طيىء ، وطيىء هى العمارة الرابعة من كهلان(١١١) والحبانية على وجه التحديد اما أنها فخذ من زريق ، وزريق بطن من ثعلبة التى كانت تعيش فى مصر كما قال القلقشندى(١١٢) ، وثعلبة بطن من طيىء(١١٣) ٠ واما انها فخذ من درما كما قال المقريزى(١١٤) ، ودرما

---

(١٠٦) عبد الله حسين : السودان من التاريخ القديم ، حـ٢ ص٤٦٧

(١٠٧) سر الختم عثمان : نفس المرجع ، ص ٢٨٥

(١٠٨) المرجع السابق ، ص ٢٨٦

(١٠٩) المقريزى : البيان والاعراب عما بارض مصر من الأعراب ، ص ٦٠

(١١٠) القلقشندى : قلائد الجمان ، ص ٥٤ ، المقريزى : البيان والاعراب ، ص ١١ ، ١٢

(١١١) القلقشندى : نفس المصدر ، ص ٧٢

(١١٢) المصدر السابق ، ص ٨٥

(١١٣) المصدر السابق ، ص ٨٥ ، ٨٧

(١١٤) البيان والاعراب ، ص ٤

بطن من ثعلبة مصر ، من طيىء(١١٥) .

هـذا من ناحية ومن ناحية اخرى فاننا لم نسمع اسم جذام فى القبائل العربية التى تعيش حتى اليوم فى السودان (١١٦) ، بينما ذكر المؤرخون اسم ثعلبة ، وانه ينتمى اليها قبائل عربية أخرى فى السودان مثل المسيرية كما سنذكر عما قليل . وحينما تحدث عنهم – أى من الحبانية – الدكتور عبد المجيد عابدين قال « نظن ان لها صلة ما بجذام ولخم »(١١٧) ، فهو ظن وليس من اليقين .

ويبدو أنه حدث خلط بين لخم وجذام من ناحية ، وثعلبة من ناحية اخرى مما أدى الى القول بأن الحبانية لهم صلة ما بلخم وجذام . ويعود هـذا الخلط الى ان بطونا من ثعلبة كانت تعيش فى بلاد جذام فى الحوف الشرقى مصر(١١٨) ، بعد أن استقدمهم صلاح الدين الأيوبى الى مصر مكافأة لهم على جهادهم وبروزهم فى قتال الصليبيين ببلاد الشام حيث كانت تعيش ثعلبة قبل هجرتها الى مصر(١١٩) .

وقد أدى اجتماع ثعلبة وجذام فى الحوف الشرقى الى اختلاط بعضهم فى بعض وخاصة ما بين خمسة بطون من جذام كانت تسمى سعدا(١٢٠)

---

(١١٥) المصدر السابق ، ص ٤

(١١٦) عبد المجيد عابدين : دراسات فى تاريخ العروبة فى وادى النيل ، ص ١٤٧

(١١٧) المرجع السابق ، ص ١٤٨

(١١٨) القلقشندى : قلائد الجمان ، ص ٥٨ ، المقريزى : البيان والاعراب ، ص ٢٣

(١١٩) القلقشندى : نفس المصدر ، ص ٥٨ ، المقريزى : نفس المصدر ، ص ٦ ، ٢٣

(١٢٠) القلقشندى : نفس المصدر ، ص ٦٢ ، المقريزى : نفس المصدر ، ص ٣٠ ، ٢١

وبطونا اخرى من ثعلبة من طيىء كانت تحمل نفس الاسم وتنتمى الى سعد ابن فطرة بن طيىء(١٢١) ٠

وعلى ذلك فان الحبانية من ثعلبة من طيىء وليسوا من لخم او جذام ٠ وقد حسم القلقشندى هذا الأمر فذكر أن الحبانيين هم فخذ من زريق من ثعلبة من طيىء(١٢٢) ، كما ذكرهم المقريزى على أنهم فخذ من دارما من ثعلبة من طيىء(١٢٣) كما سبق القول ، ولم يرد عنه ما أشار اليه الباحث السودانى سر الختم عثمان من أنهم من لخم ٠

والذى يؤكد هذا القول ان هناك قبائل اخرى تعيش مع الحبانية فى نفس الجزء الجنوبى من دارفور وتنتمى هى الأخرى الى ثعلبة ، والمثال على ذلك قبائل المسيرية ذات العدد الضخم (١٢٤) ٠ ولا ندرى الى اى مصدر استقى منه ما كما يكل القول بان الحبانية نسبة الى حبان بن القلوص بن عمرو بن قيس ، وأنهم قبيلة مشتقة من باهلة(١٢٥) وربما كانت النسبة الى حبان بن القلوص امر صحيح ، أما نسبة حبان هذا الى باهلة فهو امر غير صحيح ، لأن باهلة لم يهاجر أحد منها الى مصر ، فلم يشر اليها ابن عبد الحكم ولا غيره من المؤرخين الذين جاءوا بعده وكتبوا عن القبائل العربية فى مصر ٠ وربما حدث تصحيف فى كلمة ثعلبة التى ينتمى اليها الحبانية ، فظنها ماكمايكل أنها باهلة ٠ ومما يدل على اضطراب معلوماته فى هذه الناحية انه يقول فى موضع آخر ان الحبانية نازلون من حماد بن جنيد ، وأنهم من

---

(١٢١) القلقشندى : نفس المصدر ، ص ٨٥

(١٢٣) البيان والاعراب ، ص ٤

(١٢٢) قلائد الجمان ، ص ٨٥

(124) Mac Michael : op cit, Voll 1, p. 287.

(125) A history of the Arabs in the Sudan, Vol 2, p. 186.

جهينة(١٢٦) . وليس هـذا القول ايضا على شيء من الدقة الا اذا كان يعتقد انهم من المجموعة الجهنية التى انضوى تحت لوائها قبائل دارفور كما سبق القول .

وعلى اية حال فقد هاجر الحبانية الى بلاد السودان واستقروا فى دارفور ، ثم هاجر بعضهم من كلاكة Kalaka التى لا تزال هى المعقل الرئيسى للقبيلة الرئيسية الى كردفان منذ اربعة او خمسة اجيال ، وعاشوا بين بلدة الرهد وشركايلة حاملين نفس الاسم . اما معظم الحبانية أو الجزء الرئيسى منهم فانهم يعيشون فى جنوبى دارفور ، ومركزهم الرئيسى كلاكة(١٢٧) أو كلكلة كما يسميها نعوم شقير(١٢٨) .

وحبانية دارفور من القبائل البادية ، غير انهم اقل بداوة من البقارة ، ولهم قرى عديدة ، ويتصلون بالتعايشة الذين يحدونهم من الغرب ، كما يحدهم الرزيقات من الشرق ، والمساليط من الشمال ، والدنكا من الجنوب(١٢٩) . وبلادهم تشبه دار أو بلاد الحمر (بضم الميم) وبلاد الرزيقات بصفة عامة ، ولكنها تمتد اكثر من ناحية الجنوب ، ولذلك فهى تعانى اكثر من غيرها من القبائل من الذباب والمستنقعات ، وهم يزرعون الغلال بدرجة اقل من البقارة الذين يعيشون الى الشرق منهم(١٣٠) .

أما السيرية الذين يشاركون الحبانية فى الهجرة والسكنى فى الجنوب والجنوب الشرقى من دارفور ، فانهم كانوا والحمر Humt قبيلة واحدة

---

(126) Ibid : Vol 2, pp. 91 - 92.

(127) Ibid : Vol 1, pp. 278 — 279 .

(١٢٨) تاريخ السودان القديم والحديث وجغرافيته ، جـ١ ص٦٢

(١٢٩) انظر الخريطة رقم (١) ، (٢)

(130) Mac Michael : op . cit, Vol 1, pp. 278 - 279.

فى وقت من الأوقـات ، وكانوا ينقسـمون الى قسـمين : المسـيرية الزرق والمسـيرية الحمر(١٣١) .

وقـد جاء اسـم المسيرية الزرق دلالة على سـواد بشرتهم ، اذا أنهم يقيمون فى جنوب جبل دارفور المعروف باسم جبل مرة الذى ينتهى قبل الدخول فى دار أباديما ، ثم يليه أرض سـهلة يسكنها الفلان ، يليهم بنو هلبة ثم المسـيرية الزرق(١٣٢) الذين كانوا يعيشون حياة غير مستقرة تماما فى قرى حول صحارى وجبل كيرو الى الشرق من جبل مرة ، وكانوا يربون المـاشية والأغنـام(١٣٣) ، وكانوا قريبين من عناصر السكان الأصليين السـود البشرة من الداجو والبرقد والتموركه(١٣٤) ، ولذلك فمن المؤكد انهم خالطوهم وصاهروهم فتأثر لون بشرتهم وصاروا مثلهم ، ولذلك سـموا بالمسـيرية الزرق .

اما المسـيرية الحمر فقد سـموا بذلك نسبة الى لون بشرتهم الذى لم يتغير كثيرا بسبب اقامتهم فى مساكن تبعد عن الفور ، ولعـدم اختلاطهم بهم فى الغالب ، فهم أهل بادية ، يعيشون فى الجنوب الشرقى لدارفور حول الصـحراء المحيطة بتبلدية ، بين الرزيقات فى الشـمال والحبانية فى الجنوب ، والبيقو فى الغرب ، وصحراء دارفور المتصلة بكردفان فى الشرق(١٣٥) .

وهكذا انقسم المسـيرية الى قسمين بل الى قبيلتين كبيرتين ، احداهما فى جنوبى دارفور ، والأخرى فى الجنوب الشرقى منها . ولم تكن هجرة

---

(131) Ibid : Voll 1, p. 184.

(١٣٢) التونسى : نفس المصدر ، ص ١٤٥

(133) Mac Michael : op. cit, Vol 1, p. 187

(١٣٤) انظر ، الخريطـة رقم ١ ، ٢

(١٣٥) التونسى : نفس المصـدر ، ص ١٣٩ ، انظـر الخريطـة رقـم ١ ، ٢

المسيرية الى كردفان وحدها كما ذكر احد الباحثين(١٣٦) ، وانما الصحيح انهم هاجروا أولا الى دارفور واصبحوا هم والحمر يشكلون قبيلة واحدة كما ذكرنا ، وظلوا على هذا النحو الى القرن التاسع عشر للميلاد ، اذ وجدهم الرحالون فى دارفور(١٣٧) ، وفى غربها فى وادای(١٣٨) .

كان سلطان دارفور يأخذ من المسيرية الزرق ضريبة مالية كل سنة ، اما المسيرية الحمر فكانوا « لا يعطون للسلطان الا اقبح اموالهم ، ولا يقدر العامل ان يأخذ من كرائمها الا برضاهم ، وان تاقت نفسه الى ذلك طرد ، وربما قتل ولا يقدر السلطان لهم على شىء »(١٣٩) .

ويمكن ان نستنتج من هذا النص أن المسيرية بفرعيها الكبيرين الزرق والحمر كانوا يعيشون فى دار فور ، وأن السلطان كان يعين عليهم عاملا من قبله ، ولكن المسيرية الحمر كانوا اقوى شوكة من اخوانهم المسيرية الزرق ، نظرا لتطرف موقع بلادهم من ناحية ، لكثرة عددهم من ناحية ثالثة ، ذلك أنهم بقارة(١٤٠) ، بينما كان الزرق ابالة(١٤١) .

وقد أشار التونسى الى ثرائهم وترددهم فقال « انهم لا يحصون كثرة ، وهم أهل بقر وخيل واثاث ، واكثرهم أهل ثروة ، لا يألفون الحاضرة ، بل يتبعون الكلأ أينما كان ، ويلحق بهم القبيلة المسماه ببنى حلبة ، لأنهم أهل بقر أيضا ، لكنهم يتوغلون فى دارفور ويزرعون »(١٤٢) اما عددهم فقد كان وفيرا أيضا اذ قال التونسى عنهم انهم « عالم لا يحصيهم الا خالقهم »(١٤٣) ، مما يدل على كثرة عددهم .

(١٣٦) سر الختم عثمان : نفس المرجع ، ص ٣٨٦ ، ٢٨٧

(137) Mac Michael : op. cit , Vol 1, p. 287.

(138) Ibid : Vol 1, p. 287.

(١٣٩) التونسى : نفس المصدر ، ص ١٤٠

(١٤٠) المصدر السابق ، ص ١٣٩

(١٤١) المصدر السابق ، ص ١٣٩

(١٤٢) تشحيذ الأذهان ، ص ١٣٩

(١٤٣) المصدر السابق ، ص ١٠٣

ولذلك فان عامل السلطان كان لا يقدر على تحصيل الضريبة منهم بسهولة ، واذا اخذها فانما مما يتفضلون هم به عليه ، والا كان مصيره الطرد أو القتل ، مما يدل على قوتهم وشدة شوكتهم . ولذلك فقد كانوا يظهرون على مسرح الأحداث عندما تثور الفتن بين سلاطين الفور وبين اخواتهم أو أبناء اخوتهم من الطامعين فى العرش(١٤٤) .

وليس معنى ذلك أنه لا توجد مسيرية فى كردفان ، فالواقع أنهم وجدوا أيضا فيها . ويبدو من كلام التونسى وأيضا من كلام ماكمايكل أنهم رحلوا اليها من دارفور ، غير أنهم انفصلوا هناك الى مسيرية والى حمر Humr (بضم الحاء وتسكين الميم) . وكان هذا الانفصال نهائيا لدرجة ان الحمر لم يعودوا ينسبون أنفسهم الى المسيرية اطلاقا ، وأصبح لكل قبيلة منها دارها وشيخها (١٤٥) . ويعيش الحمر هؤلاء على الحدود الغربية لجنوبى كردفان ، ويمتد اقليمهم من جوار الأضاية الى بحر العرب أو بحر الحمر كما يسمى أحيانا(١٤٦) ، أى أنهم قريبون من المسيرية الحمر الذين يعيشون فى الجنوب الشرقى لدارفور .

أما مسيرية كردفان فقد كانوا من القبائل القوية وكانت قبيلتهم تمثل فى القرن الثامن عشر للميلاد جزءا هاما من البقارة ، وتعيش فى اقصى الشرق من شرقالة ، ولكن تحالف الحوازمة مع البديرية وغيرهم من القبائل الأخرى دفعهم الى النزوح الى دارفور مرة أخرى ، اذ قال ماكمايكل انهم يعيشون فى عصره فى دارفور(١٤٧) .

أما اصل المسيرية ، فان اوراق النسبة تتفق على أنهم ينتسبون الى قبيلة ثعلبة ، وثعلبة من طيىء(١٤٨) ، وان كان ماكمايكل يشك

---

(١٤٤) المصدر السابق ، ص ١٠٣

(145) Mac Michael : op. cit , Vol 1, p. 284.

(146) Ibid : Vol 1, p. 284.

(147) Ibid : Vol 1, p. 287.

(١٤٨) ابن حزم : نفس المصدر ، ص ٤٠١ - ٤٠٢ ، المقريزى : نفس المصدر ، ص ٣ ، ٤

كعادته فى هـذه النسبة(١٤٩) . ولا نرى داعيا لهذا التشكيك ، حيث وجدت فى دارفور قبائل اخرى تنتسب الى ثعلبة ، منها الحبانية الذين تحدثنا عنهم منذ قليل ، بل ان ماكمايكل نفسـه يورد ما يؤيد صحة هـذا القول دون أن يفطن لذلك ، وان كان يجعل قوله فى هـذا الصـدد يحمل وجـه الغرابة .

فهو يقول انه « من الغريب ان تجد فى دار فور قبيلة صغيرة من الثعالبة كما يسمون عادة مع المسـيرية ، ومعظم هؤلاء الثعالبة - والكلام ما زال له - يعيشون قرب الركن الجنوبى الشرقى من جبل مرة كالبقارة ولكن القليل منهم يعيشون كقرويين فى شـمال دارفور مع الزغاوة حول مطار يسمى (خشـابة) ، وهم يعتبرون عادة فرعا من المسيرية »(١٥٠).

وكون الثعالبة يعيشون مع المسـيرية ، وقرب الركن الجنوبى الشرقى من جبل مرة ، وهى نفس المنطقة التى يعيش فيها المسـيرية الزرق ، يجعل انتسـاب هؤلاء المسـيرية الى ثعلبة امرا مقبولا دون أن يحـاط به شىء من الشك الذى نراه كثيرا فى كتابات المستشرقين والأجانب سواء عن السـودان أو غيره من البلدان .

وفى هـذا الصدد ايضا نرى أن ماكمايكل لم يكتف بان يبرهن بنفسه على وجود ثعلبة بين المسـيرية فى جنوبى دارفور ، بل انه ألمح الى ان قليلا منهم يعيشون كقرويين أيضا فى شمالى دارفور مع الزغاوة ، وحدد المكان الذى يعيشون فيـه ، وقال انهم يعتبرون عادة فرعا من المسيرية . فالقضية اذن واضحة ولا تحتاج الى مزيد من بيـان او برهان .

أما اسم المسـيرية ، فهو مشـتق من اسم رجل يدعى مسيرة بن ثعلبة ابن نصر بن سـعد بن نبهان ، فرع من طيىء(١٥١) ، وقـد رحل هذا

---

(149) A history of the Arabs in the Sudan, Vol 1, p. 287.

(150) Ibid : Vol 1, pp. 287 - 288.

(١٥١) ابن حزم : نفس المصـدر ص ٤٠٤ ، سر الختم عثمان : نفس المرجـع ، ص ٢٨٦ ، Mac Michael : op. cit, Vol 2, p. 183.

الرجل مع قومه من ثعلبة من مصر الى دار فور • ومعروف أن ثعلبة تواجدت فى مصر ونزحت اليها فى ازمنة سابقة ، واشار النسابة والمؤرخون الى وجود بطون عديدة معها فى مصر ، منها بطنا درما وزريق، وهما ابنا عوف بن ثعلبة ، وقيل انهما ابنا ثعلبة لصلبه(١٥٢) •

ومن افخاذ درما الحبانيون الذين سبق ان تحدثنا عنهم(١٥٣) ، ومن افخاذ زريق المساهرة(١٥٤) ، وربما كان الاسم الأخير وهو الأصل الذى اشتق منه اسم المسيرية • أما أفخاذ زريق عند المقريزى فهم أشعب ولبنى وثعلبة وعنين ونبل ، وبنو وهم والطليحيون وبطون أخرى(١٥٥) •

وقد سكنت ثعلبة ببطونها الكثيرة هذه المناطق التى تقع بين مصر والشام ، كما سكنوا ايضا بصعيد مصر ، ذكر ذلك الحمدانى الذى كان يعمل مهمندرا ونقل عنه القلقشندى ، والحمدانى ادرى بذلك واعرف نظرا لمهنته التى كان من شأنها معرفة العرب الواصلين الى الأبواب السلطانية • وقد سبقت الاشارة الى أن ثعلبة جاءت الى مصر ومعها طائفة من جرم، وهى جرم طيىء وليست جوم قضاعة، وذلك فى عصر صلاح الدين الأيوبى الذى وسع فى بلاد جذام فى الحوف الشرقى كما سبق القول(١٥٦) •

وعلى ذلك فقد تعددت المناطق التى عاشت فيها ثعلبة فى مصر ، كما تعددت بطونهم وأفخاذهم وصاروا قوة كبيرة • ويبدو أنه نتيجة للصراع والمصادمات التى حدثت بين السلطات الحاكمة وعربان الصعيد ومنهم ثعلبة بطبيعة الحال ، رحل بعض هؤلاء الثعالبة الى دارفور

---

(١٥٢) القلقشندى : قلائد الجمان : ص ٨٥

(١٥٣) انظر ، ص ١٣٧ — ١٤٠

(١٥٤) القلقشندى : قلائد الجمان ، ص ٨٦

(١٥٥) المقريزى : البيان والاعراب ، ص ٤

(١٥٦) انظر ، ص ١٣٧ — ١٣٨ ، القلقشندى : قلائد الجمان ، ص ٨٦ — ٨٧ ، المقريزى : البيان والاعراب ، ص ٤ — ، ٦٣

وكردفان وحملوا هناك اسم المسيرية نسبة الى الشخص الذى اشرنا اليه ، وامتزجوا بغيرهم من السكان المحنيين عن طريق التزاوج والمصاهرة، ومن ثم تنوعت الوانهم وصار منهم كما قلنا من قبل من يعرف باسم المسيرية الزرق ، ومنهم من صار يعرف باسم المسيرية الحمر ، وان كان الفريقان قد حافظا على عروبتهما فلم يذوبا فى السكان المحليين ، بل انهما تكاثرا كما قلنا حتى صار عددهما لا يحصى كثرة ، وحتى تفرعت عنهما قبائل أخرى مثل الحوتية (الهوتية) Hotia والسعادة Saada (١٥٧) .

فالحوطية يعتبرون أنفسهم قسما من اقسام المسيرية ، وكانوا يعيشون بجوارهم فى غرب كبكبية فى دارفور بالاضافة الى الثعالبة . وكان السعادة يعيشون شمال شوا حول كبكبية وكلكول (١٥٨) . ومعنى ذلك أن المسيرية بفروعها وبطونها وقبائلها التى تفرغت عنها توغلت بعيدا فى دارفور سواء فى ناحية الشمال أو ناحية الشرق .

اما القبيلة التى تكون مع الحبانية والمسيرية أقوى ثلاث قبائل فى الجنوب والجنوب الشرقى من دارفور ، فهى قبيلة الرزيقات . ولا حاجة للتحدث عن ثروة هذه القبيلة وقوتها ، فقد سبقت الاشارة الى ذلك عند الحدث عن قوة وثروة هذه القبائل الثلاث (١٥٩) . ويبدو أن قوة الرزيقات على وجه خاص لفتت انظار الرحالة والباحثين ، ففال ماكمايكل عن هذه القبيلة أنها أقوى وأغنى قبيلة فى اقليم دارفور (١٦٠). ومعنى ذلك انها القبيلة الأقوى بين القبائل الثلاث التى سبقت الاشارة اليها ، كما أنها كانت أكبر قبائل دارفور كلها من عرب وغير عرب ، ولذلك كان رجالها يسمون تراب الهين ، أى ملء الكفين ، وذلك لكثرتهم (١٦١) .

---

(١٥٧) نعوم شعير : نفس المرجع ، حـ١ ص ٦٣

(158) Mac Michael : Vol 1, p. 289.

(١٥٩) انظر ، ص ١٣٥ – ١٣٦ Mac Michael : op . cit , Vol 1, p. 289.

(160) Mac Michael : op. cit, Vol 1, p. 290.

(١٦١) نعوم شعير : نفس المرجع ، جـ١ ص ٦٢

والدليل على ذلك وكما سبق القول أن الرزيقات وجدهم يكونون ثلاث قبائل كبرى هى المهرية والنوايبة والمحاميد(١٦٢) ، وأن هذه القبائل كان لها نظير وبنفس الاسم فى شمالى دارفور ، حيث كانوا يعيشون كأبالة ، وقد سبق الحديث عنهم(١٦٣) ، ولذلك فاننا لن نتحدث عن هذه القبائل الثلاث هنا بأسمائها ، وانما عن القبيلة الأصل التى تضمهم جميعا وهم الرزيقات .

والرزيقات كانوا ولا زالوا فى الجنوب الشرقى من دارفور(١٦٤) ، ولا يوجد أحد منهم يعيش خارج هذا الاقليم الا عدد يعيش فى واداى(١٦٥) ومعنى ذلك أنهم انتشروا فى الجنوب حتى وصلوا الى غربى دارفور ومنه الى اقليم واداى المجاور ، مما يدل على كثرتهم .

ونتيجة لهذه الكثرة كانوا يتحالفون مع الحبانية والمعالية ويقاومون سلاطين الفور مقاومة عنيدة ، ولم يخضعوا لهم الخضوع التام(١٦٦) بل ان بعض السلاطين اضطروا الى الاستعانة بهم فى نزاعهم الداخلى ضد أقاربهم فى سبيل الحفاظ على كرسى الحكم ، أو فى القضاء على أطماع جيرانهم من سلاطين كردفان(١٦٧) .

كان الرزيقات دائما غيورين على استقلالهم وكانوا يعملون على عدم الخضوع للسلطة الحاكمة ، وطالما شنوا غارات جريئة على أراضى الفور لأقل سبب أو دافع (١٦٨) فقد كانوا يربون الخيول ومشهورون بالفروسية

---

(١٦٢) انظر ، ص ١٢٩ — ١٣١ ، نعوم شقير : نفس المرجع ، ج ١ ص ٦٢

(١٦٣) أنظر ، ص ١٣١ ، نعوم شقير : نفس المرجع ، ج١ ص ٦٢

(164) Mac Michael : op. cit , Vol 1, 290.

(١٦٥) التونسى : نفس المصدر ، ص ١٠٣

(١٦٦) نعوم شقير : نفس المرجع ، ج١ ص ٦٢

(١٦٧) التونسى : نفس المصدر ، ص ٨٤ — ٨٥

(١٦٨) المصدر السابق ، ص ٣٥٨

بكافة مظاهرها كما كانوا مهرة فى استعمال السلاح واتصفوا بالنزعة للقتال ، ودرجوا على اقامة عرض سنوى يبرزون فيه كل مظاهر فروسيتهم التى كانوا يتفاخرون بها بين القبائل ، مما حدا بأحد الباحثين كى يشبههم بالهلالية(١٦٩) .

ونظرا لقوتهم وفروسيتهم تلك ، فقد اصبحوا ندا للسلطة الحاكمة فى دارفور ، حتى انهم تمكنوا ذات مرة من هزيمة أحد السلاطين حيما تصدى لهم ، فازداد شأنهم علوا وذاع صيتهم بين القبائل ، ومن ثم أصبحوا ملاذا لكل العرب وخاصة من الحبانية وبنى هلبة والمعالية وبنى خزام(١٧٠) .

كان الرزيقات بقارة ، وكانوا يعيشون فى الجزء الجنوبى الشرقى من دارفور بين الحمر من الشرق والمعالية والبرقد والبيقو والداجو من الشمال . ونظرا لأنهم كانوا يتزوجون من الدنكا ، فقد تأثرت الوانهم كما تأثرت نقاوتهم العرقية(١٧١) .

اما اصلهم فهم ينتسبون الى رزيق الثقفى(١٧٢) ، اى انهم ينتمون انى بنى ثقيف سكان الطائف فى بلاد الحجاز . غير انهم كانوا ضمن المجموعة الجهنية التى سكنت دارفور ، اذ يقول ماكمايكل انهم ينتسبون الى عطية بن جنيد من جهينة(١٧٣) ، ومعنى ذلك أنهم من جهينة وليسوا من ثقيف .

ومهما كان الأمر فى شأن اصلهم القبلى ، فانه لم يقتصر تواجد العرب فى جنوبى دارفور عليهم وعلى اخوانهم من الحبانية والمسيرية ، وهم أقوى ثلاث قبائل فى تلك المنطقة ، وانما كانت هناك قبائل اخرى

---

(١٦٩) سر الختم عثمان : نفس المرجع ، ص ٢٨٨

(170) Mac Michael : op. cit. Vel 1, p. 290 .
(171) Ibid : Vol 1, p. 290.
(172) Ibid : Vol 2, p. 183.
(173) Ibid : Vol 2, p. 92.

ليست فى نفس القوة ، وليست فى نفس العـدد والغنى ، وان كانت لها نفس الصـفة ، وهى انها من قبائل البقارة غير انها اقل شانا .

من هـذه القبائل ، القبيلة المعروفة باسـم بنى هلبة ، وهم بقارة ، وموطنهم الأصلى فى منطقة (عد الغنم) جنوب غرب جبل مرة ، وتعيش جماعة منهم شرق هـذا الجبل وجنوب جبل حريز فى وسط دارفور ، كما تعيش جمـاعة ثانية من الأبالة فى شرقى هـذا الاقليم بين الميمـة والرزيقات ، وجمـاعة ثالثة مسـتقلة عن بنى هلبة عاشت فى والداى غرب اقليم دارفور(١٧٤) .

ومعنى ذلك ان بلاد بنى هلبة كانت تقع جنوب جبل مرة فى منطقة واسـعة تمتد غربا الى ديار المساليط وشرقا الى المنسـيرية الرزق وجنوبا الى دار ابادیما(١٧٥) . وكانوا ينقسـمون الى قسـمين رئيسيين ، هما أولاد جابر وأولاد جباره(١٧٦) .

وكانت هـذه القبيلة ذات قوة وشـوكة فى المـاضى حتى ان ماكمايكل ذكر انهم كانوا الى وقت قريب اكبر واغنى قبيلة فى ديارهم الأصـلية التى تقع فى منطقة (عد الغنم) جنوب جبل مرة(١٧٧) ، ولكنهم فى العصر الحديث تعرضوا لضغط سـلاطين الفور الذين كانوا يطالبونهم بدفع اتاوات ضـخمة ، فكانوا يدفعونها لهم رغما عنهم ، واذا رفضوا كان السـلطان يهاجمهم ويسـتولى على مواشـيهم كما فعل بهم السـلطان احمـد فضل(١٧٨) .

---

(١٧٤) التونسى : نفس المصدر ، ص ١٣٩ هامش (١) ،

Mac Michael : op. cit, Vol 1, 293.

(١٧٥) التونسى : نفس المصدر ، ص ١٤٢ هامش (٢) ، ص ١٤٥ ،

٣٧١

(176) Mac Michael : op. cit, Vol 1, p. 293.

(177) Ibid : Vol 1, p. 293.

(١٧٨) التونسى : نفس المصدر د ص ١٣٩ هامش (١)

وقد أدى هـذا الأمر الى ضعفهم ، حتى قال عنهم التونسى انهم « يلحقون بعرب المسـيرية الحمر والرزيقات والفلان ، لأنهم اهـل بقر مثلهم ، لكنهم يتوغلون فى دارفور ويزرعون »(١٧٩) ، كما قال عنهم ماكمايكل انهم كانوا يلجئون الى الرزيقات(١٨٠) ، ووصفهم بأنهم نوع ضعيف من العرب روحيا وجسـديا ، وانهم كسـالى ولا يتميزون بالصفات الطيبة التى تميز البدو العرب فى كردفان(١٨١) .

ونظرا لضعفهم فقد اشـتهروا بالمراوغة والتقلب واتباع الغالب ، وكانوا اذا ضيقت السـلطة عليهم رحـلوا غربا وتركـوا دارفور الى دار سلا (واداى)(١٨٢) .

أما عن نسـبهم فانهم يقولون أنهم من جهينة ، وقيل انهم من الهوارة بمصر(١٨٣) ، وقال ماكمايكل مرة أنهم من بنى عامر عرب الحجاز(١٨٤) ، ومرة ثانية بانهم من جهينة (١٨٥) . ويحتمل أنهم من بنى هلبا من جذام ، ويمكن ان يسـتدل على ذلك من أن السودانيين وبعض الباحثين من غير السودانيين يعرفونهم باسـم بنى هلبة(١٨٦) وليس ببنى حلبة كما سـماهم التونسى(١٨٧) .

---

(١٧٩) المصدر السابق ، ص ١٣٩

(180) Mac Michael : op. cit, Vol 1, p. 290.

(181) Ibid : Vol 1, p. 295.

(١٨٢) نعوم شقير : نفس المصدر ، ج ١ ص ٦٣

(١٨٣) المرجع السابق ، ج ١ ص ٦٣

(184) Mac Michael : op . cit, Vol , 2, 196.

(185) Ibid : Vol 2, p. 92.

(١٨٦) نعوم شقير : نفس المرجع ، ج ١ ص ٦٣ ، عبد الله حسين : السودان من التاريخ القديم ، ج ١ ص ٢٢ ، عبد المجيد عابدين : دراسات فى تاريخ العروبة ، ص ١٤٨

(١٨٧) تشحيذ الأذهان ، ص ١٣٩

واذا صح انهم من بنى هلبا ، فان بنى هلبا هؤلاء كانوا فخذا من جذام ، وكانوا يعيشون فى الحوف الشرقى بمصر(١٨٨) ، وايضا فى قرية مسجد موسى بالمنيا ، وفى قنا وقوص واسيوط ، وفى دمنهور وبمركز الصف بالجيزة وبقرية النويرة حيث يعيش فرع منهم يسمى بنى على(١٨٩) . وقد تفرع من جذام بطون وفخوذ كثيرة ثلاث منها عرفت باسم هلبا ، وهى هلبا سويد ، وهلبا مالك ، وهلبا بعجة . ومن هذه الهلباوات الثلاث نزلت فخوذ وعشائر كثيرة(١٩٠) ، وهاجر كثير منها الى السودان ومنها الى بلاد الكانم والبرنو حيث اشتكى منهم سلطان هذه البلاد(١٩١) .

وطبيعى ان هذه القبائل من هلبا حين هجرتها من مصر الى بلاد الكانم لابد وان تمر بدارفور عن طريق درب الأربعين ، ولذلك فمن المرجح ان بعضا منها وكما هى العادة استقر فى دارفور وعرفوا هناك باسم بنى هلبة ، وذلك فى عصر القلقشندى الذى حدثنا عن علاقتهم بسلاطين الكانم والذى توفى عام ٨٢١ هـ / ١٤١٨ م ، وهى الفترة التى شهدت اعظم الهجرات الى بلاد السودان والتى امتدت من القرن الثالث عشر للميلاد الى القرن السادس عشر .

ويؤكد هذا القول ان هناك فى السودان الآن من يعرفون باسم العطوية ، وهم من الكبابيش الذين يعيشون فى كردفان ، وبعضهم يعيش بين الرزيقات البقارة فى دارفور(١٩٢) . والراجح أن هؤلاء العطوية

---

(١٨٨) المقريزى : البيان والاعراب ، ص ١٥ ، القلقشندى : قلائد الجمان ، ص ٥٧

(١٨٩) سر الختم عثمان : نفس المرجع ، ص ٢٨٦

(١٩٠) المقريزى : البيان والاعراب ، ص ١٢ ، ١٥ — ١٧ ، القلقشندى : قلائد الجمان ، ص ٥٧ ، ٥٩

(١٩١) القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ٨ ص ١١٦ — ١١٨

(١٩٢) القلقشندى : قلائد الجمان ، ص ٥٨ ، ٦٧ ، ٦٨ ، المقريزى : البيان والاعراب ، ص ١٧

هو العطويون الذين ذكرهم القلقشندى والمقريزى ضمن من ذكروا من بطون هلبا ســويد الجذاميين ، وهم : العطويون والجابريون والحميـديون وغيرهم(١٩٣) ، مما يؤكد أن بنى هلبة من جذام ، وأن أولاد جابر وأولاد جبارة الذين ذكر ماكمايكل انهم فرعين لهلبة ، هم الجابريون الذين سبقت الاشــارة اليهم .

والجدير بالذكر أن العطوية الذين اشرنا اليهم ورجحنا انهم بطن من بطون بنى هلبة ، وأن منهم من يعيش فى كردفان ومنهم من يعيش فى دارفور بين الرزيقات البقارة فى الجنوب ، ينتسب اليهم مجموعة من العرب تعرف باسم الترجم Tergam ، وقد اعتادت هـذه المجموعة أن تعيش فى الشـمال الغربى لدارفور ، وقليل منهم يعيش فى دار المساليط فى غربى دارفور ، وكذلك فى واداى(١٩٤) .

ويقول ماكمايكل انه لا يوجـد منهم احـد فى اى مكان آخر غير هـذه الأماكن ، ويذكر انهم انتقلوا فى العصر الحديث الى الشرق من جبل مرة حيث يربون الماشية ويعيشون مع بنى حسـين والهوتية والثعالبة العرب والفور الباقين كجيران لهم(١٩٥) .

ومن القبائل العربيـة الأخرى التى هاجرت الى جنوبى دارفور قبيلة التعايشـة . وتعيش هـذه القبيلة الآن فى المنطقة الجنوبية الغربيـة من دارفور والتى تسمى دار الباديما التى تشـمل بالاضافة الى بلاد التعايشة بلاد بنى هلبة والمسـاليط والفلاتا (الفلان)(١٩٦) . وتمتد المنطقـة التى تعيش فيها التعايشة بين قبيلة الحبانية فى الشرق ودار (سـلا) فى الغرب ، وبنى هلبة البقـارة فى الشـمال ، والفرتيت الزنوج فى

(١٩٣) القلقشندى : قلائد الجمان ، ص ٥٨ ، المقريزى : البيـان والاعراب ، ص ١٧

(194) Mac Michael : op . cit, Vol 1, p 289.

(195) Ibid : Vol 1, p. 289.

(١٩٦) التونسى : نفس المصدر ، ص ١٤٢ هامش (٢)

الجنوب(١٩٧) ومركزهم بلدة مندوه قرب كلكلة(١٩٨) ، وينقسمون الى قلادة والريق(١٩٩) ٠

واسم التعايشة ليس ماخوذا من الخليفة عبد الله التعايشى كما ظن ماكمايكل(٢٠٠) ٠ بل ان التعايشى هو الذى ينتسب اليهم ، فهو منهم ، وقد اتى بآلاف من قومه هـؤلاء من دارفور الى ام درمان كحرس له ، ولم يلبثوا أن عادوا الى دارفور بعد هزيمته والقضاء على حركته(٢٠١) ٠

والصحيح أن التعايشة ينتسبون الى عيش أو عائش بن الظرب بن الحارث بن فهر ٠ وعائش هـذا هو جد عوامر بن ساعدة البديرى(٢٠٢) ، وهم والحبانية واولاد حميد وسليم أولاد حماد بن جنيد ، بينما الحوازمة والحمر Humr والمسيرية والرزيقات أولاد اخية عطية ، والكل ينتسبون الى جهينة(٢٠٣) أو الى مجموعة جهينة على الأصح ٠

(جـ) القبائل العربيـة المهاجرة الى شرقى دارفور :

هاجر الى شرقى دارفور قبائل عربيـة عديدة ، منهـا البديرية والمجانين والمغالية وبنو عمران والحمر Hamar ٠

اما البديرية فقد ذكر استاذنا الدكتور حسن محمود ان منهم شعبة تعيش على النيل واخرى فى كردفان ، وان انحدارهم صوب الغرب لم يتم

---

(197) Mac Michael : op. cit, Vol 1, p. 292.

(١٩٨) نعوم شقير : نفس المرجع ، جـ ١ ص ٦٢ ،

(199) Mac Michael : op. cit, Vol 1, p. 292.

(200) Ibid : Vol , 1, p. 292.

(٢٠١) نعوم شقير : نفس المرجع ، جـ ١ ص ٦٢ ،

(202) Ibid : Vol 2, p. 186.

(٢٠٣) نعوم شقير : نفس المرجع ، جـ ١ ص ٦٢ ،
Ibid : Vol 2, pp. 91 - 92.

وكما يبدو الا فى القرن الرابع عشر للميلاد فى الوقت الذى ادال فيه العرب مملكة مقرة النوبية المسيحية(٢٠٤) .

اما ماكمايكل فقد ذكر ان قوائم النسبة التى عثر عليها فى بلاد السودان تبين ان البديرية تعيش فى شرقى دارفور وبخاصة قرب حدود كردفان ، وهم ينقسمون الى فروع عديدة ، ويذكر انهم اتوا من دراو فى صعيد مصر منذ سبعة اجيال كتجار وصوفية ، ويمكن أن يكونوا على صلة ببنى عمران الأشراف الذين تصفهم قوائم النسبة على انهم من جهينة(٢٠٥) .

وليس هناك اختلاف كبير بين هذين الراين اذا ما علمنا وكما سبق القول أن كردفان كان جزء كبير منها يقع فى منطقة نفوذ دارفور ، بل ان الأسرة الحاكمة فى كردفان ذاتها ما هى الا فرع من الأسرة الحاكمة فى دارفور(٢٠٦) . ويبدو ان قول ماكمايكل اقرب الى الصحة ، اذا ما عرفنا أن الأستاذ نعوم شقير حينما تحدث عن بعض الأماكن التى سكنتها القبائل العربية ذكر بلدانا سكنتها البديرية وتقع فى اقليم دارفور مثل ودعة وبلبل وكلكلة وكتم وغيرها من مراكز البديرية(٢٠٧) .

ويذكر ماكمايكل ان البديرية نسبة الى بدر بن عمر بن جوية بن لوذان بن ثعلبة بن عدى بن فزارة ، وعلى ذلك فهو يعتبرهم قسما من فزارة(٢٠٨) ، ويذكر انهم يتكونون من الشويحات والرياش والدهماش وأولاد موسى وأولاد حليب(٢٠٩) .

---

(٢٠٤) الاسلام والثقافة العربية فى افريقية ، ص ٣٠٤

(205) Ahistory of the Arabs in the Sudan, Vol 1, p. 249.

(٢٠٦) التونسى : نفس المصدر ، ص ١٣٣ هامش (٢) .

(٢٠٧) نعوم شقير : نفس المرجع ، ج ١ ص ١١٠

(208) Mac . Michael : op. cit, Vol , p. 182.

(209) Ibid : Vol . 2, p. 194.

وفزارة التى ينتمى اليها البديرية هـؤلاء وينسب اليها معظم رعاة الابل غربى النيل الأبيض كانت تقيم فى نجد ووادى القرى(٢١٠) ، وهاجرت جماعات منها الى مصر فى القرن السابع الميلادى ، ولحق بهم اقاربهم فى القرن الحادى عشر للميلاد مع بنى هلال(٢١١) . وانتشرت فزارة من مصر الى برقة وطرابلس وافريقية (تونس)(٢١٢) . وفى مصر كانت ديارهم بالصعيد وقليوب والجيزة(٢١٣) ، ولا زالت هناك قرى تحمل اسمهم حتى الآن فى مصر(٢١٤) .

وحوالى منتصف القرن الرابع عشر للميلاد رحلت بطون كثيرة من فزارة الى بلاد النوبة نتيجة لضغط المماليك واضطهادهم لهم ولغيرهم من قبائل العرب ، لاسيما وأن بلاد النوبة فى ذلك الحين كانت تفتقر الى حكومة قوية تكبح جماحهم ، ولما وصلوا الى هـذه البلاد اندفعت فزارة مع جهينـة جنوبا وغربا تاركين وراءهم بنى كنز وبنى عكرمة وهوارة وغيرهم فى بلاد النوبة(٢١٥) .

واستقرت فزارة فى كردفان ودارفور واصبحت ضمن قبائل البقارة والكبابيش الذين ينتسبون اليوم الى جهينة . وليست هناك غرابة فى أن تعد فزارة من قبائل جهينة فى السودان على الرغم من أن أصلها من العدنانية ، وجهينة وكما سبق القول من قضاعة من عرب الجنوب ،

---

(٢١٠) القلقشندى : قلائد الجمان ، ص ١١٣

(٢١١) مصطفى مسعد : الاسلام والنوبة ، ص ٢٦١

(٢١٢) القلقشندى ـ قلائد الجمان ، ص ١١٣ ، المقريزى : البيان والاعراب ، ص ٧١ ، ٧٣

(٢١٣) القلقشندى : نفس المصدر ، ص ١١٣ ، ١١٤ ، المقريزى : نفس المصدر ، ص ٤٨ ـ ٤٩

(٢١٤) عبد المجيد عابدين : دراسات فى تاريخ العروبة ، ص ١٥٣

(٢١٥) مصطفى مسعد : الاسلام والنوبة ، ص ١٨٢

ولكن قضاعة كانت تفرقت كما تفرق الأزد(٢١٦) وسكنت احدى قبائلها وهى جهينة فى بلاد الحجاز وكانت أوطانها متاخمة لأوطان فزارة ، فكانت جماعات من الفريقين تنتقل معا وتستقر معا ، وكانت بينهم مصاهرات اندمجت احدى القبيلتين او على الاقل بطون من كلا القبيلتين فى الأخرى(٢١٧) . ولعل هذا يفسر سر التقارب بين القبيلتين فى السودان ، فصارت فزارة احدى مجموعات جهينة الكبرى الثلاث التى تكاون منها البقارة والكبابيش(٢١٨) .

وفى واقع الأمر فان البقارة والكبابيش الذين عاشوا فى دارفور وكردفان ما هم الا احلاف تجمعت على فترات وتالفت من قبائل عديدة ، لعل اهمها جهينة وجذام وهوارة وبنو هلال ، يضاف اليهم احلاف هؤلاء واولئك من فزارة وسليم ولخم وغيرهم(٢١٩) .

وقد أطلق النسابون اسم بنى فزارة على مجموعة من القبائل تعيش فى الجهات الشرقية والوسطى من كردفان وتتالف من العشائر الآتية : دار حامد ، وبنو جرار ، والزيادية ، والبزعة ، والشنابلة ، والمعاليا(٢٢٠) . وقد عرفت هذه المجموعة باسم فزارة فى القرنين الماضيين ، اما اليوم فقد انتثر عقدها فصارت وحدات منفصلة كل وحدة تسمى باسمها الخاص(٢٢١) .

---

(٢١٦) ياقوت : معجم البلدان ، ج ٥ ص ٣٧ ، القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ١ ص ٣١٦

(٢١٧) التونسى : نفس المصدر ، ص ١٣٩ هامش (٣) ، محمد عوض محمد : السودان الشمالى ، ص ٢٢٠

(٢١٨) مصطفى مسعد : نفس المرجع ، ص ٢٠١

(٢١٩) عبد المجيد عابدين : دراسات فى تاريخ العروبة ، ص ١٤٧

(٢٢٠) سر الختم عثمان : نفس المرجع ، ص ٢٨٩ ، مصطفى مسعد : الاسلام والنوبة ، ص ٢٠١

(٢٢١) حسن محمود : نفس المرجع ، ص ٣٠٦ ، سر الختم عثمان : نفس المرجع ، ص ٢٨٩

وربما كان هـذا القول هو الذى دفع استاذنا الدكتور حسن محمود الى أن يقول انهم يعيشون فى كردفان • والراجح أن بعضا منهم كان فى كردفان والبعض الآخر كان فى الجزء الشرقى من دارفور حسبما ذكر ماكمايكل وحسبما ذكر التونسى الذى قال بالنص حين حديثه عن الأبالة فى دارفور : « وأما أهل الابل فمنهم الفزارة وهم : المحاميد والمجانين وبنو عمران وبنو جرار والمسيرية الزرق وغيرهم »(٢٢٢) •

ويلاحظ ان التونسى لم يذكر البديرية ضمن هذه القبائل التى نسبها الى فزارة فى دارفور ، كما لم يذكرها أيضا من تحدثوا عن قبائل فزارة فى كردفان ، ولعل ذلك راجع الى ان البديرية كانوا هم القبيلة الرئيسية التى تفرعت عنها هـذه القبائل ، فاشتهر اسم الفروع واهمل الأصل ، ولذلك لم يرد ذكرها • وفى نفس الوقت لم يرد ذكر لهذه القبائل التى تفرعت عن فزارة او البديرية فى مصر ، مما يدل على ان البديرية كان يقصد بهم فزارة وخاصة بعد ان هاجروا الى السودان • والراجح ان ان البديرية تنسب الى بطن من فزارة يعرف ببنى بدر ، كانوا يعيشون فى نواحى القيلوبية بمصر ، واليهم ينتسب القلقشندى ، ثم رحلوا الى كردفان ودارفور(٢٢٣) •

ومن قبائل فزارة الأخرى التى هاجرت الى دارفور وعاشت فيها قبيلة المجانين • وقد ذكرهم نعوم شقير ضمن القبائل التى عاشت فى كردفان وقال انهم عمارة من دار حامد المجاورين للكبابيش والذين كانوا فى عداء معهم ، واهم مراكزهم بارة(٢٢٤) ، وتابعه على هـذا القول محققو كتاب تشحيذ الأذهان للتونسى ، فقالوا انهم شعبة من دار حامد

---

(٢٢٢) تشحيذ الأذهان ، ص ١٣٩ ــ ١٤٠

(٢٢٣) القلقشندى ــ قلائد الجمان ، ص ١٤٤ ، المقريزى : البيان والاعراب ، ص ٤٥ ــ ٤٩ هامش (٤٨) •

(٢٢٤) نعوم شقير : نفس المرجع ، ج ١ ص ٦١

التى تنتسب الى فزارة ، وان موطن دار حامد فى وسط السودان (٢٢٥) مستندين فى ذلك على ماكمايكل الذى قال فى موضع آخر انهم نازلون من عرب جهينة (٢٢٦) .

على أن التونسى الذى عاش قبل نعوم شقير وقبل ماكمايكل بقرن على الأقل وزار دارفور كما قلنا فى بداية القرن التاسع عشر واستقر فيها سبع سنوات ، ذكر ان المجانين قبيلة عظيمة ، أهلها أصحاب ابل (٢٢٧) ، وأنهم من فزارة (٢٢٨) ، وأنهم كانوا يدفعون ضريبة لسلطان دارفور يأخذها من أموالهم كل سنة (٢٢٩) ، وكان يحصل منهم « من الأموال والنوق والجمال ما لا يوصف » (٢٣٠) وهذا القول يدل أولا على ثراء المجانين وغناهم ، كما يدل ثانيا على انهم كانوا داخلين فى طاعته ، وانهم ضمن رعاياه ، وانهم كانوا ضمن قبائل دارفور ويعيشون فيها ، وعلى حدودها الشرقية ، وربما كان موقع بلادهم وتطرفه ناحية الشرق من العوامل التى دفعت بفريق منهم كى يعيش فى غربى كردفان ، بالقرب من دار حامد التى تنتسب هى الأخرى الى فزارة ، مما جعل بعض الباحثين يشيرون الى انهم كانوا يعيشون فى كردفان .

على أن التونسى ذكر لنا نصا آخر يؤيد ما قلناه ، فعند حديثه عن أعراب البادية الذين كانوا يهتمون بصيد الزراف والنعام قال انهم « المحاميد والزيدة والعريقات بدار الواداى ، والمجانين والزيادية وبنى جرار والعريقات بدار الفور » (٢٣١) . وهو قول يقطع الشك باليقين ويدل على أن المجانين كانوا من قبائل دارفور دون غيرها من أقاليم السودان ، وعلى

---

(٢٢٥) التونسى : نفس المصدر ، ص ١٠٠ هامش (٢) .

(226) Mac Michael : op. cit, Vol 2, p. 195.

(٢٢٧) التونسى : نفس المصدر ، ص ١٠٠

(٢٢٨) المصدر السابق ، ص ١٣٩

(٢٢٩) المصدر السابق ، ص ١٤٠

(٢٣٠) المصدر السابق ، ص ١٠٠

(٢٣١) تشحيذ الأذهان ، ص ٢٩٢

انهم كانوا فرسانا ومن أمهر الفرسان ٠ ولذلك لا غرابة أن قال عنهم قبيلة عظيمة ، وانهم كانوا على درجة كبيرة من الغنى والثراء لما كانوا يمتلكون من النوق والجمال والأموال بما لا يوصف(٢٣٢) ٠

وايضا من القبائل العربية التى هاجرت الى دارفور وسكنت الجزء الشرقى منها قبيلة المعالية ٠ ولم يرد ذكر هذه القبيلة عند التونسى ، وقد ذكرها نعوم شقير ضمن قبائل الأبالة الذين يعيشون فى دارفور ، وقال أن أكثر المعالية حضر ، وأن من مراكزهم كركود التى تقع شمالى الطويشة ، وينسب اليهم قوز المعالية ، وأن حلفاءهم من الرزيقات الذين يعيشون فى الجزء الجنوبى الشرقى من دارفور ، وخصومهم الحمر Hamar (٢٣٣) الذين ذكر انهم يعيشون فى غربى كردفان فى ابى حراز والنهود(٢٣٤) ٠

ويبدو أن هذه القبيلة كان لها نفوذ كبير فى الجزء الشرقى من دارفور حتى انها كانت فى بعض الأحيان تهدد قوافل التجارة القادمة من مصر الى دارفور عبر هذه الجهة ٠ وقد حدث أن قامت بهذا العمل واستولت على أموال قافلة قادمة من مصر الى دارفور وقتلوا بعض رجالها واخذوا أموالهم من سكر وأقمشة وغير ذلك ، ولم يستطع سلطان دارفور أن يفعل معهم شيئا ، ربما بسبب قوتهم وشدة شكيمتهم وثباتهم فى الحروب وصبرهم على القتال ، ولذلك سلط عليهم خصومهم من عرب الحمر وأباح لهم دماء المعالية وأموالهم مستغلا عداوة قديمة كانت بين الفريقين(٢٣٥) ٠

---

(٢٣٢) المصدر السابق ، ص ١٠٠

(٢٣٣) تاريخ السودان القديم والحديث ، جـ ١ ص ٦٢

(٢٣٤) المرجع السابق ، جـ ذ ص ٦٢

(٢٣٥) التونسى : نفس المصدر ، ص ٣٩٤ - ٣٩٥ ، مصطفى مسعد : سلطنة دارفور ، ص ٢٤٠

اما عن القبيلة التى ينتسب اليها المعالية فلم تذكر المصادر او المراجع شيئا عن ذلك ، وانما هناك من اشار الى انهم قبيلة ضمن المجموعة الثانية من المجموعات الثلاث التى انقسمت اليها جهينة فى السودان والتى يطلق عليها النسابون اسم فزارة(٢٣٦) . ومعظم هذه المجموعة التى تحمل اسم فزارة من العرب الأبالة الذين يعملون فى رعى الابل . وعلى ذلك فان المعالية ابالة وليسوا من البقارة . وقد ذكرهم الأستاذ عبد الله حسين فعلا ضمن اشهر قبائل الأبالة العرب الذين يعيشون فى دارفور(٢٣٧) .

ومع ان المعالية وكما يتضح من نشاطهم سكنوا المنطقة الوسطى من الجزء الشرقى من دارفور ، الا ان الأستاذ نعوم شقير قد ذكرهم ضمن القبائل التى عاشت فى جنوبى دارفور(٢٣٨) ، كما ذكرهم الأستاذ الشاطر بصيلى عبد الجليل ايضا وقال ان مجموعات من المعالية تعيش فى جنوب دارفور(٢٣٩) . والقول الأخير يدل على أن هناك مجموعات أخرى من المعالية سكنوا مناطق اخرى غير الجنوب ، منهم المعالية الذين تحدثنا عنهم وكانوا يقطنون المناطق الشرقية والذين تصدوا احيانا للقوافل القادمة الى دارفور من هذه الجهة ، وسلط عليهم سلطان دارفور عرب الحمر .

وعرب الحمر Hamar هؤلاء كانوا أيضا من القبائل العربية التى هاجرت الى دارفور واقامت فى الجزء الشرقى منها . اما اصل هذه القبيلة فيقول ماكمايكل انهم ينتمون الى الأحمر بن معاوية بن سليم ابو شعبل التميمى ، فهم من بنى تميم(٢٤٠) . ثم يقول فى موضع آخر

---

(٢٣٦) مصطفى مسعد : الاسلام والنوبة ، ص ٢٠١

(٢٣٧) السودان من التاريخ القديم الى رحلة البعثة المصرية ، جـ ١ ص ٢١

(٢٣٨) التونسى : نفس المصدر ، ص ٣٧١

(٢٣٩) تاريخ وحضارات السودان الشرقى الأوسط ، ص ٣٧٤

(240) Mac Michael : op. cit, Vol 2, p. 185.

ان أوراق النسبة لا تذكر الكثير عن الحمر ، فاحداها تقول انهم فرع من بنى تميم ، واخرى تذكر انهم خليط من بنى أمية وبنى العباس ، والعنج والأشراف والفور ، واثنتان تقولان انهم ينتمون الى مجموعة جهنية (٢٤١) .

وقد ذكرهم بعض الباحثين فعلا على انهم من المجموعة الثالثة من مجموعات جهينة الرئيسية ، وقال ان هذه المجموعة منتشرة فى كردفان ودارفور (٢٤٢) . والقول الشائع بين جزء من الحمر هو انهم حميريون اتو من اليمن (٢٤٣) ، وليس هناك تناقض كبير بين كونهم من جهينة أو من حمير ، لأن جهينة من قضاعة (٢٤٤) ، وقضاعة من حمير (٢٤٥) .

وسواء كانوا من جهينة أم من حمير أم من غيرهم من قبائل العرب ، فانهم يقولون انهم أتوا من اليمن وهاجروا الى السودان ، فى عصر الحجاج بن يوسف الثقفى فى النصف الثانى من القرن السابع للميلاد ، بعد أن عبروا البحر الأحمر الى هذه البلاد ، ويقال انهم استقروا أولا حول التاكة (كسلا) ، ثم تحركوا الى النيل الأزرق ، وبعد فترة الى دارفور حيث اتخذوا هناك سكنا دائما لهم (٢٤٦) .

وقد ظلت المعلومات عن تاريخ هؤلاء الحمر فى دارفور ضئيلة حتى بداية القرن الماضى عندما تحولوا الى قوة كبيرة تحت قيادة منعم الذى قاد مجموعة منهم تسمى العساكرة أو فرع العساكرة . وبمجرد ان صار الحمر اقوياء انقسموا الى قسمين كبيرين ، اولهما هو قسم العساكرة (الجنود) الذى أشرنا اليه ، والقسم الثانى هو الدكاكيم . وقد تحرك

(241) Ibid : Vol 1, p. 319 & Vol 2, p. 91.

(٢٤٢) مصطفى مسعد : الاسلام والنوبة ، ص ٢٠١

(243) Mac Michael : op. cit, Vol 1, p. 319.

(٢٤٤) القلقشندى : قلائد الجمان ، ص ٤٣

(٢٤٥) المصدر السابق ، ص ٤١

(246) Mac Michael : op. cit, Vol 1, p. 319.

معظم افراد هذين القسمين من شرقى دارفور واتجها شرقا نتيجة للمعارك التى نشبت بينهم وبين قبائل العرب الأخرى التى تقيم فى شرقى دارفور ، ولعدم كفاية اراضيهم فى تلك المنطقة(٢٤٧) .

اما من بقى منهم فى دار فور فقد استقروا حول ام شنقة وفى الأقاليم المعروفة الآن باسم دم جمد Dam Gamad وزرناخ zernakh وغيرها من الأماكن ، وظلوا مستقلين تحت حكم دارفور(٢٤٨) .

وقد استمرت هجرات الحمر شرقا الى كردفان واشتبكوا مع الكبابيش فى حروب طاحنة ، وأصبح الفريقان فى عداء مستحكم نتيجة للصراع على المياه والعشب والكلأ اللازم لرعى ابلهم واغنامهم . وقد ازدادت قوة الحمر بسرعة لدرجة "انه فى عام ١٨٧٦ اعتبرهم انسور Ensor اغنى البدو فى هذا الجزء من افريقيا ، وانهم فاقوا الكبابيش فى العدد والثروة ، وهم الآن يشغلون مناطق الغابات والزراعة شمال الاضاية وابو زباد وابو حراز وغرب ابو سنون ومزروب التى تقع شمالى دارفور . ولم يبق منهم أحد فى دارفور عدا بعضهم الذى اقام فى مستعمرة صغيرة تسمى سحانين ، نسبة الى أولاد سحنون الذين يعيشون مع الزغاوة فى الشمال حول مكان يسمى حشابة ، ويقال ان اصلهم من الحمر(٢٤٩) .

ونظرا لهجرة معظم الحمر الى كردفان فان معظم النسابين والباحثين لم يذكروهم ضمن قبائل دارفور ، وانما ذكروهم ضمن قبائل كردفان ، مثال ذلك نعوم شقير الذى قال انهم يسكنون غربى كردفان ومن مراكزهم ابو حراز والنهود ، وانه يكثر فى بلادهم شجر التبلدى او شجر الحبحاب المجوف والذى كانوا يستخدمونه فى خزن ماء المطر بعد ان يفرغوا ما فى داخله واستعماله كمخزن للمياه ، وهم يبيعونه للمسافرين بين كردفان ودارفور(٢٥٠) .

---

(247) Ibid : Vol 1, pp. . 319 - 320.
(248) Ibid : Vol , 1, p. 320.
(249) Ibid : Vol 1, pp. 320 - 321.

(٢٥٠) نعوم شقير : نفس المرجع ، ج ١ ص ٦١ ،
Mac Michael : op . cit , Vol 1, pp, 319 - 320.

ونظرا لقربهم من حدود دارفور ، اذ انهم كما اشرنا كانوا يعيشون أساسا فى غربى كردفان وشرقى دار فور ، فان سلاطين الفور استعانوا بهم فى انقضاء على بعض القبائل التى تمردت عليهم فى هذه المنطقة. ومن هذه القبائل قبيلة المعالية التى أباح سلاطين الفور دماءها وأموالها للحمر بسبب اعتدائها على قافلة كانت قادمة من مصر الى دارفور كما سبق القول(٢٥١) .

وقد تمكن الحمر فعلا من انزال هزيمة قاصمة بالمعالية فى واقعة تعرف بواقعة القرطاس قتلوا فيها المعالية شر قتلة . وقد قيل ان هذه الواقعة سميت بواقعة القرطاس لأن الصحارى امتلأت بقراطيس السكر التى كان المعالية قد نهبوها من تجار القافلة المذكورة (٢٥٢) .

ومن القبائل العربية الأخرى التى توجد فى شرقى دارفور قبيلة بنى عمران . وهذه القبيلة لم يذكرها نعوم شقير فى كتابه الهام عن تاريخ السودان ولكن التونسى ذكرها واخبرنا بأنها من أهل الابل ومن فزارة ، وأنهم كانوا ضمن القبائل الآخرى التى كانت تدفع الضريبة لسلطان دارفور(٢٥٣) ، كما اخبرنا بأنهم وربما بسبب جوارهم للميمة(٢٥٤) كانوا معهم فى نزاع وقتال(٢٥٥) .

---

(٢٥١) انظر ، ص ١٥٩

(٢٥٢) مصطفى مسعد : سلطنة دارفور ، ص ٢٤٠ ، التونسى : نفس المصدر ، ص ٣٩٤ - ٣٩٥

(٢٥٣) التونسى : نفس المصدر ، ص ١٣٩ - ١٤٠

(٢٥٤) الميمة قبيلة عظيمة من القبائل غير العربية فى دار فور وكانت هذه القبيلة تسكن شرقى جديد كريو ولها شيخ كان يسمى سلطانا تجوزا ، وله اقطاع يتعيش منه . وقد تقاربت عاداتها وتقاليدها مع عادات العرب بسبب مجاورتها لهم ، وملك هذه القبيلة أو سلطانها كان من المسلمين . ويرى بعض الباحثين انها هاجرت اساسا من غربى تمبكت =

ويذكر بعض الباحثين أن أسلاف بنى عمران قدموا من دراو بصعيد مصر تجارا منذ سبعة أجيال مضت ، وانتشر بعضهم فى وسط كردفان وسط قبيلة البديرية وغيرها على حين استقر البعض الآخر منهم فى شرقى دارفور عند حدود كردفان (٢٥٦) حيث تسكن بديرية دارفور الذين من المرجح أن بنى عمران سكنوا بينهم ، نظرا لأن البديرية وكما اشرنا ينتسبون الى بنى بدر من فزارة(٢٥٧) ، وهى نفس القبيلة التى ينتمى اليها أيضا بنو عمران هؤلاء ٠

(د) القبائل العربية المهاجرة الى غربى دارفور :

واذا كانت المناطق الشمالية والجنوبية والشرقية من دارفور قد عجت بالقبائل العربية التى هاجرت اليها وسكنتها واتخذتها موطنا وسكنا منذ ما قبل القرن الثالث عشر للميلاد ، وفيما تلاه من قرون ، فان الجزء الغربى من دارفور لم يحظ بعدد من القبائل العربية بنفس العدد والكثافة التى حظيت بها المناطق المشار اليها ٠ ولعل السبب فى ذلك يعود الى ان هذه المناطق كانت أقرب الى المنافذ التى دفعت بالمهاجرين الى دارفور ، مثل مصر وليبيا وتونس فى الشمال ، وبلاد النوبة وعلوة فى الشرق ٠

أما الغرب اقصد البلدان التى تقع غرب دارفور فلم تكن موطنا أساسيا من مواطن الهجرة اليها ، لأن غالبية سكانها ليسوا من العرب وانما هم من الكانميين والبرنويين وغيرهم من عناصر السود وشبه

= ببلاد مالى ، وانها قبيلة كبيرة فى واداى ، وأن شعبة منها انتقلت ناحية الشرق الى دارفور ٠

انظر ، التونسى : تشحيذ الأذهان ، ص ١٣٧ - ١٣٨ هامش ٤ ص ١٤٤ ، ١٥٢ ، ١٦٥ ، ٣٧٠

(٢٥٥) التونسى : نفس المصدر ، ص ٢٨٢ - ٢٨٣

(٢٥٦) المصدر السابق ، ص ١٤٠ هامش (١) ٠

(٢٥٧) انظر ، ص ١٥٧

السـود الذين كانوا يعيشـون فى حوض بحـيرة تشـاد وما حولهـا . ولذلك فان بلاد الكانم والبرنو رغم ما كان يوجد فيها من بعض العرب ، الا ان هؤلاء العرب كانوا اقل عددا وشأنا بكثير من عرب البلدان الأخرى المحيطة بدارفور او المتصلة بها ، مما اثر على الهجرة الى غربى دارفور ، ولذلك فليس أمامنا من القبائل التى هاجرت الى غربى دارفور وسكنته الا قبائل قليلة العـدد وصغيرة الشأن .

من هـذه القبائل بنو حسين . وينقسم بنو حسين بين اقليم واداى الذى يقع ضمن بلاد حوض بحيرة تشـاد ، وبين دارفور . ويذكر ماكمايكل انهم قبيلة صـغيرة ، وهؤلاء الذين يعيشـون معهم فى دارفور يسـكنون المناطق التى تقع فى الجنوب الغربى من الفاشر بين جبل كوسـا Kussa وجبل مرة Marra . وفى الصيف الجاف ينزلون الى الجنوب من هـذه المناطق طلبا للماء والمرعى ، وهم ينقسـمون فى دارفور الى اقسـام كبيرة(٢٥٨) .

واذا كانت المناطق السابقة والتى ذكرها ماكمايكل على انها بلدان بنى حسين لا تقع فى غربى دارفور ، بل تقع فى وسطها ، فان غيره من الباحثين ذكروا أن بلاد بنى حسين تقع فى غربى هذا الاقليم . والمثال على ذلك هو المؤرخ السـودانى الشاطر بصيلى عبد الجليل(٢٥٩) ، وكذلك الأستاذ نعوم شـقير الذى ذكر أنهم بقارة ومجاورون للمسـاليط(٢٦٠) الذين تقع بلادهم غربى دار فور (٢٦١) ، كما ذكرهم الأستاذ عبد الله حسـين فى كتابه ضمن قبائل البقارة فى دارفور ولكنه لم يحـدد موقع بلادهـم(٢٦٢) .

---

(258) A history of the Arabs in the sudan, Vol 1, p, 296.

(٢٥٩) تاريخ وحضارات السودان الشرقى والأوسط ، ص ٣٧٤

(٢٦٠) تاريخ السودان القديم والحديث وجغرافيته ، جـ١ ص ٦١

(٢٦١) انظر الخريطة رقم ١ ، ٢

(٢٦٢) عبـد الله حسين : السودان القديم والجديد ، ص ٤٢ . السـودان من التاريخ القديم ، جـ١ ص ٢٠٢

وهناك ايضــا قبيلة بنى خزام الذين يسكنون فى غربى دارفور بجوار المســاليط ، ويقولون عن انفسهم انهم على صلة قرابة ببنى حسين(٢٦٣) الذين سـبق أن تحدثنا عنهم منذ قليل • والواقع ان بنى خزام يعيش معظم فى واداى وفى دار ســلا التى تعرف ايضا باسم دار صليح(٢٦٤) • ولـمـا كان موقع دار ســلا متطرف الى الغرب اكثر ، فان اهل واداى كانوا يحكمونها رغم انها اصــلا جزء من دارفور(٢٦٥) •

واذا كان معظم بنى خزام يعيشون فى اقليم واداى ، فان القليل منهم هو الذى يعيش فى دارفور (٢٦٦) ، والمحير فى الأمر ان ماكمايكل يقول أنهم يعيشون بين الرزيقات(٢٦٧) ، ولا يمكن ان يكون الأمر على هــذا النحو الا اذا كانت بلاد الرزيقات قــد امتدت غربا الى موقع بلاد بنى خزام فى غربى دارفور ، او أن بلاد بنى خزام امتدت شرقا الى بلاد الرزيقات •

ومهما كان الأمر فان قليلهم عاش فى دارفور وانقسموا هناك الى بحرية وعلاليق • ويتكون البحرية من حمودة وجماعة اخرى ، ويتكون العلاليق من عبيرات واشداد وسيف(٢٦٨) ، وهم يقولون انهم من ســلالة بنى مخزوم شــبه الجزيرة العربية(٢٦٩) ، وان كان ماكمايكل يشكك فى هــذه النســبة ويقول انها ادعاء(٢٧٠) •

---

(٢٦٣) نعوم شــقير : نفس المرجع ، ج ١ ص ٦٣ ،

Mac Michael : ou . cit, Vol 1, p. 295.

(٢٦٤) التونسى : نفس المصدر ، ص ١٤٥ هامش(١) ،

Mac Michael : op. cit, Vol 1, p. 295.

(٢٦٥) التونسى : نفس المصـدر ، ص ١٤٥

(266) Mac Michael : op. cit, Vol 1, p. 295.
(267) Ibid : Vol 1, p. 295.
(268) Ibid : Vol 1, p. 295.
(269) Ibid : Vol 1, p. 295.
(270) Ibid : Vol 1, p. 295.

وبنو مخزوم كما هو معروف من قريش (٢٧١) ، وقد رحل بعضهم الى مصر ضمن من رحل من العرب ، وكان بعضهم موجودين فيها ويحملون نفس الاسم عندما قدم اليها اسد الدين شيركوه(٢٧٢) قبيل القضاء على الدولة الفاطمية عام ٥٦٧هـ /١١٧١م . وكانوا يسكنون الصعيد ضمن القرشيين الآخرين من بنى طلحة ، وبنى الزبير ، وبنى شيبة ، وبنى زهرة ، وبنى سهم(٢٧٣) .

وعندما وقعت مصر فى قبضة الاتراك منذ أحمد بن طولون ، تكونت ضدهم أحلاف من قبائل العرب كما سبق القول ، وكان ضمن هذه الأحلاف أحلاف قرشية اتخذت أقصى الصعيد مسرحا لثوراتهم ضد الاتراك الذين اشتدوا فى مطاردتهم لأنهم كانوا ينظرون اليهم نظرة ملؤها الشك والريبة ، اعتقادا منهم بأن للقرشيين اطماعا سياسية ، ولأن العرب يعرفون فضلهم قبل الاسلام وبعده ، ويسعون الى نيل شرف الانتماء اليهم والوقوف الى جانبهم(٢٧٤) ، بل ان كثيرا من الأسر الحاكمة فى بلاد السودان على اتساعها كانت كل منها تنتسب الى بيت من بيوت قريش كما هو معروف فى تاريخ هذه البلدان .

ولذلك أمعن سلاطين المماليك فى مصر فى مطاردتهم وقضوا على ثوراتهم ، مما أجبرهم على الاتجاه جنوبا كما فعل العرب الآخرون ، واستقروا فى بلاد النوبة ، وكذلك فى كردفان ودارفور . وقد سبق أن تحدثنا عن بعض الأشراف الذين استقروا فى دارفور فى بداية حديثنا عن قبائل العرب التى هاجرت الى هذا الاقليم ، وكان من هؤلاء الأشراف الحسنية وبنو بكر الذين استقروا فى غربى دارفور (٢٧٥) .

(٢٧١) المقريزى : البيان والاعراب ، ص ٤٢

(٢٧٢) المصدر السابق ، ص ٢٢ ـ ٢٣

(٢٧٣) المصدر السابق ، ص ٤٠

(٢٧٤) عبد المجيد عابدين : دراسات فى تاريخ العروبة ، ص ١١٩ ـ ١٢٠

(٢٧٥) أنظر ، ص ١٢١ ، ١٢٢

وقد شجع هذا الأمر قبائل قرشية اخرى على الهجرة الى هذا الاقليم بعيدا عن مطاردة المماليك ، وكان منهم بنو مخزوم الذين نتحدث عنهم والذين امعنوا فى النزول جنوبا وغربا حتى وصلوا الى غربى دارفور واقاموا هناك وذكرهم نعوم شقير وقال انهم بقارة مجاورون للمساليط(٢٧٦) .

ومن المحتمل ايضا أن يكون قد تسرب الى دارفور بعض من بنى مخزوم الذين كانوا قد هاجروا من شبه الجزيرة العربية الى بلاد الحبشة واستقروا فى اقليم شوا الذى يقع فى جنوبى هضبة الحبشة واقاموا فيه اقدم دولة اسلامية فى تلك المنطقة تعرف بسلطنة شوا الاسلامية ، وذلك فى عام ٢٨٣ هـ / ٨٩٦ م واستمرت حتى تم القضاء عليها فى عام ٦٨٤هـ / ١٢٨٥م على يد سلطنة اسلامية اخرى تعرف باسم سلطنة أوفات الاسلامية والتى كانت تقع فى المناطق التى تقع فى شرق شوا وتمتد حتى ساحل البحر الأحمر وخليج بربرة (٢٧٧) .

ومن القبائل العربية الأخرى التى سكنت غربى دارفور وكانت لها نفس صفة بنى حسين ، وبنى خزام المنتسبين الى بنى مخزوم ، من حيث كونهما اقلية وبقارة ، عرب السلامات . والحقيقة أن عرب السلامات لم يرد لهم ذكر عند التونسى ولا عند نعوم شقير ، وقد ذكرهم ماكمايكل على انهم من اكبر القبائل فى افريقيا ، وانهم يسكنون بلدانا عديدة هى هى بورنو ، وتشاد ، وباجرمى ، وجنوبى واداى ، وكانوا فى وقت من الأوقات كثيرين فى دارفور ولكنهم ازيحوا غربا ناحية تشاد ، وبقى القليل منهم فى دارفور وصاروا يعرفون هناك بالفرع الشرقى(٢٧٨) .

---

(٢٧٦) تاريخ السودان القديم والحديث وجغرافيته جـ١ ص ٦٢ ، ٦٣

(٢٧٧) زاهر رياض : الاسلام فى اثيوبيا ، دار المعرفة ، القاهرة، الطبعة الأولى سنة ١٩٦٤ ، ص ٧٢ ، ٧٣

(278) Mac Michael : op. cit, Vol 1, p. 296.

أما الفرع الغربى الذى اتجه غربا فقد اصبحوا اكثر سوادا من القسم الشرقى ، وصاروا يضمون بصفة عامة الى العرب الموجودين فى بلاد الكانم (تشاد) والذين يعرفون هناك باسم الشوا ربما نسبة الى حرفتهم التى تقوم على رعى الحيوانات ومنها الشاه من الضأن . ولذلك فان جميع السلامات بفرعيهم بقارة ويمتلكون عددا من الأغنام(٢٧٩) .

وفيما يتعلق بأصلهم فان قوائم النسبة تقول بانهم نازلون من قضاعة(٢٨٠) . وهذا يذكرنا بأن هناك قبيلة فى مصر كانت موجودة فى عصر القلقشندى تعرف بالسلمات ، وهم من بنى مهدى من بنى طريف . وبنو طريف هؤلاء بطن من جذام(٢٨١) التى تنتمى الى كهلان(٢٨٢) . وقد سبق أن بينا أن بعضا من قبائل العرب فى دارفور تدعى النسبة الى جذام(٢٨٣) .

ولذلك فمن المحتمل ان السلامات هم من السلمات ، وان كان للسلمات من جذام وليسوا من قضاعة . كما انه من المحتمل ايضا ان يكونوا من سلامان . وسلامان هذا هو والد ثعلبة التى هى بطن من طيىء ، وكانت تعيش فى مصر ايضا فى عصر القلقشندى(٢٨٤) ، ورحل بعضها الى دارفور وانتمى اليها بعض قبائلها كما سبق القول(٢٨٥) .

وهكذا نرى أن القبائل العربية التى هاجرت الى غربى دارفور

---

(279) Ibid : 1, p. 296.
(279) Ibid : 1, p. 296.
(280) Ibid : Vol 2, p. 198.

(٢٨١) القلقشندى : قلائد الجمان ، ص ٦٦
(٢٨٢) ابن حزم : نفس المصدر ، ص ٤٢٠
(٢٨٣) انظر ، ص ١٣٧
(٢٨٤) القلقشندى : قلائد الجمان ، ص ٨٥
(٢٨٥) انظر ، ص ١٤٣

قنيلة ومعدودة ، بعكس ما رأيناه عن القبائل التى هاجرت واستقرت فى الشمال والجنوب والشرق . واذا كانت هـذه هى القبائل العربية التى هاجرت الى هـذه الأجزاء الأربعة من دارفور ، فياترى ما هى القبائل العربية التى هاجرت وسكنت وسط هـذا الاقليم ؟

(هـ) القبائل العربية التى هاجرت الى وسط دارفور :

لعل أشـهر القبائل العربيـة التى سكنت ذلك الجـزء من اقليم دارفور : عرب البشير ، والكروبات ، والخوابير ، وبنو فضل ، وهوارة التى يشك فى اصل عروبتها ، وأخيرا الهلالية .

اما عرب البشير فقد ذكرهم نعوم شقير وغيره ضمن قبائل البقارة فى دارفور ، وقال انهم قبيلة جسـيمة ومركزهم عريدة(٢٨٦) ، ولم يرد لهم ذكر عند التونسى ، بينما ذكرهم ماكمايكل على أنهم قبيلة صـغيرة نصـف بدوية تعيش مباشرة جنوب الفاشر العاصمة الحاليـة لدارفور ، وتنتمى الى مجموعة حمد Haymad ، وينقسمون الى خمسة اقسام او خمسة فروع ، ويوجد فرع بين الكبابيش يحمل اسـم (بشير) ويعيش فى شمال كردفان ، ومن المحتمل أنهم فرع من قبيلة بشير دارفورا(٢٨٧) .

ومن القبائل التى انتشرت أيضا فى وسط دارفور ، قبيلة الكروبات . ولمـا كان الكروبات يعيشون أصلا فى شمالى الاقليم ، فقد سـبق الحديث عنهم ضمن القبائل العربية التى سكنت الشـمال . وغير الكروبات فقد عاش فى وسط دارفور عرب الخوابير وبنو فضل . وقد اشار نعوم شقير وغـيره الى الخوابير ضمن قبائل البقارة فى دارفور وقال ان مركزهم

---

(٢٨٦) نعوم شقير : تاريخ السودان القديم والحديث وجغرافيته ، ج ١ ص ٦٣ ، عبد الله حسـين : السودان القديم والجديد ، ص ٤٢ ، السودان من التاريخ القديم ، ج ١ ص ٢٢

(287) Ahistory of the Arabs in the Sudan, Vol 1, p. 296.

ردعة التى تقع شرقى جبل حريز وجنوب الفاشر ، وهم يربون الابل والبقر ، وهم حضر وبادية(٢٨٨) .

اما بنو فضل فقد ذكرهم الباحثون ضمن قبائل البقارة فى دارفور وقالوا انهم اهل زراعة وينتسبون للزيادية التى تنسب نفسها الى ابى زيد الهلالى ، وانهم يعيشون فى مراكز معينة فى وسط دارفور ، منها (سانى كرو) التى تقع على مسيرة يومين الى الجنوب الشرقى من مدينة الفاشر(٢٨٩) .

نأتى بعد ذلك الى الهوارة او الهواوير ، وقد ذكر الباحثون انهم يعيشون فى دارفور وكردفان ، غير انهم اكثر عددا فى دارفور ، ويعيشون حاليا بالقرب من العاصمة الفاشر ، ويشتغل غالبيتهم بالتجارة . اما الأبالة منهم فقد حاربوا فى أزمنة سابقة البدايات والقرعان وسكان جبل ميدوب ، وهى بلاد تقع فى شمال دارفور . وقد تمكن ابالة الهوارة من هزيمة هذه القبائل وحلوا محلهم بعيدا الى الشمال فى وادى الملك فى شهور الشتاء الباردة حيث يرعون مع الكبابيش الذين يسالمونهم(٢٩٠) .

ومعنى ذلك ان ابالة الهوارة ترحل الى الشمال لرعى ابلها فى شهور الشتاء ، وفى الصيف تعود الى الجنوب حيث الماء أوفر والمراعى اغزر ، وكان بعضها يتجه ناحية الشرق حيث وصلوا الى صحراء

---

(٢٨٨) نعوم شقير : نفس المرجع ، ج ١ ص ٦٣ ، عبد الله حسين : السودان القديم والجديد ، ص ٤٢ ، السودان من التاريخ القديم ، ج ١ ص ٢٢

(٢٨٩) نعوم شقير : نفس المرجع ، ج ١ ص ٦٢ ، ٦٣ ، عبد الله حسين ، السودان من التاريخ القديم ، ج ١ ص ٢٢ ، السودان القديم والجديد ، ص ٤٢

(290) Mac Michael : op. cit, Vol 1, pp. 315-316 , 336.

بيوضة ، فقد ذكروا على انهم من اشهر قبائل العرب في هذه الصحراء التى يسكنون فيها جزءا يسمى صحراء ببترة(٢٩١) .

ونظرا لأن هوارة مشكوك فى أصلها العربي فلم يذكرها التونسى ضمن القبائل العربية التى سكنت دارفور ، وان كان الهواوير يقولون بأن جدودهم أتوا من صعيد مصرا(٢٩٢) ، وانهم عرب ، ويقول الادريسى انهم عرب من حمير نزحوا الى افريقية والمغرب وتسموا باسم هوارة لكلمة تقولها زعيمهم فسمى بها هوارا وتبربر ابناؤه بالمجاورة للبربر ، ويشير المقريزى الى هذا الموضوع بقوله أن هوارة قوم من عرب اليمن ، جهلوا انسابهم ، أو أنهم قوم من بربر شمال افريقية ويرجح أنهم من هؤلاء البربر(٢٩٣) . غير ان المؤرخ ابن تغرى بردى المعاصر للمقريزى يصف أمير هوارة ببلاد الصعيد بقولة أنه « أمير عرب هوارة »(٢٩٤) مما يدل على أن هوارة كانوا أصلا من العرب ، فهم اما عرب أصلاء ، وهذا هو الأرجح ، أو بربر استعربوا لطول اقامتهم بين العرب فى مصر وشمال افريقيا .

ومهما كان الأمر فى أصلهم فقد قدمت منهم طوائف وجماعات الى مصر فى عصر الفاطميين الذين يعد عصرهم مرحلة هامة فى تاريخ الهجرات المغربية الى مصر ، وسكنوا المنطقة التى تقع بين الاسكندرية وبرقة ، ثم انتقلوا الى صعيد مصر حوالى منتصف القرن الثامن للهجرة الرابع عشر للميلاد ، وخاصة بعد انقضاء الأحداث العنيفة التى وقعت بين المماليك وعرب الصعيد ، وانزلهم السلطان الظاهر برقوق فى منطقة الصعيد الأعلى واقطع شيخهم ناحية جرجا وما حولها ، فاشتد

(٢٩١) نعوم شقير : نفس المرجع ، ج ١ ص ٦٠ - ٦١

(٢٩٢) المرجع السابق ، ج ١ ص ٦١ ،
Mac Michael : op. cit , Vol 1, p. 336.

(٢٩٣) نزهة المشتاق ، ج ١ ص ٢٢٣ ، ٢٢٤ ، البيان والاعراب ، ص ٥٦ - ٥٨

(٢٩٤) النجوم الزاهرة ، ج ١٦ ، ٢٠٣

نفوذهم وعلا صوتهم حتى صارت امرة عربان الصعيد كلهم لاحد رؤساء هوارة فى تلك الفترة من نهاية القرن الثامن للهجرة(٢٩٥) ، واتجهت جموع البدو منهم الى الجنوب حيث هاجموا أسوان فى المحرم من عام ٨١٥ هـ / ١٤١٢ م ، وحاربوا بنى كنز الذين كانوا يسيطرون على اسوان وما يليها من بلاد النوبة ، وهزموهم وخربوا مدينة أسوان واسترقوا من فيها(٢٩٦) ، ثم زحفت جموع هوارة الى جنوب الوادى ودخلت سودان وادى النيل(٢٩٧) ، حيث استقروا فى دارفور وفى غيرها من انحاء هذه البلاد كما سبق القول .

وفى نهاية الحديث عن القبائل العربية التى هاجرت الى دارفور وسكنتها واتخذتها موطنا نذكر عرب الهلالية او بنى هلال . ويلاحظ اننا أخرنا الحديث عنهم وجعلناه خاتمة الحديث عن هجرات العرب الى دارفور ، ولم يكن ذلك الا لانهم كان لهم شأنهم الخاص بالنسبة لهذا الاقليم . ذلك انهم وكما سنرى كانوا الأصل الذى انتسبت اليه الأمرة التى حكمت دارفور واقامت فيها السلطنة الاسلامية قبيل منتصف القرن الخامس عشر للميلاد ، فضلا عن أنهم كانوا يسكنون الجزء الأوسط من هذا الاقليم الذى نحن بصدد الحديث عن القبائل العربية التى هاجرت اليه وسكنته .

والهلالية الذين اشتهروا فى التاريخ بعد أن خرجوا من مصر الى تونس فيما يعرف بالتغريبة الهلالية ، هم أصلا من عرب بنى عامر بن صعصعة ، من هوازن ، من القيسية ، كانوا يعيشون في بلاد الحجاز ثم رحلوا الى مصر وسكنوا بلاد الصعيد منذ عهد الفاطميين بل ورحل بعضهم اليها قبل ذلك العهد . ويبدو أن نفوذ الهلالية شمل بلادا كثيرة فى

---

(٢٩٥) عبد المجيد عابدين : دراسات فى تاريخ العروبة ، ص ١٣٢ - ١٣٥

(٢٩٦) المقريزى : البيان والاعراب ، ص ٥٨ ، ٥٩ ، هامش (٩٣) ، الخطط المقريزية ، ج ١ ص ٣٥٠

(٢٩٧) عبد المجيد عابدين : نفس المرجع ، ص ١٣٦

صعيد مصر حتى إن القلقشندى والمقريزى قالا عنهم بأنهم « كانوا اهل بلاد الصعيد كلها الى عيذاب »(٢٩٨) .

والمشهور فى كتب التاريخ أن بنى هلال وصلوا الى مصر فى عهد الفاطميين (٣٥٨ - ٥٦٧ هـ / ٩٦٩ - ١١٧١ م) ، ولكن ابن حوقل المتوفى عام ٣٦٧ هـ / ٩٧٧ م ، أى بعد فتح الفاطميين لمصر ببضع سنين ، يشير الى وجود بنى هلال فى الواحات المصرية الغربية ، فيقول « وبالواحات من بنى هلال عدة غزيرة وأمة كثيرة وهى مصيفهم وقت الغلة وميرتهم منها »(٢٩٩) ، وذلك فى معرض حديثه عن الواحات الداخلة الموجودة فى صحراء مصر الغربية ، مما يدل على ان كثيرا من بنى هلال كانوا قد هاجروا الى مصر قبل قدوم الفاطميين اليها بزمن طويل، وانهم انتشروا فيها وخاصة فى الصعيد ووصلوا غربا الى الواحات الداخلة التى كانت كما قلنا معبرا عبر منه التجار والمسافرون والمهاجرون الى دارفور عبر طريق درب الأربعين .

وهذا يدل على ان هجرة بنى هلال الى دارفور تمت عن هذا الطريق ، أو عن طريق النيل حيث يشير المقريزى الى ان بنى هلال نزحوا جنوبا وعاشوا فى « بلاد أسوان وما تحتها »(٣٠١) ، وهاجروا منها بالطبع الى بلاد النوبة مصاحبين كما قلنا من قبل للحملات المملوكية التى شنها سلاطين المماليك على هذه البلاد . وقد توغلوا فيها فى حملة عام ٦٨٦ هـ / ١٢٨٧ م على سبيل المثال مسافة تقدر بمسيرة خمسة عشر يوما وراء دنقلة(٣٠٢) ، اى انهم وصلوا الى حدود مملكة

(٢٩٨) القلقشندى : قلائد الجمان ، ص ١١٨ ، المقريزى : البيان والاعراب ، ص ٢٨

(٢٩٩) كتاب صورة الأرض ، ص ١٤٥

(٣٠٠) الادريسى : نزهة المشتاق ، جـ ١ ص ١٢١ ، ١٢٢

(٣٠١) البيان والاعراب ، ص ٢٧

(٣٠٢) ابن خلدون : نفس المصدر ، جـ ٥ ص ٤٠٠ - ٤٠١

علوة المسيحية ، وفى الغالب فانهم فضلوا استئناف الرحلة من هناك غربا الى دارفور .

وربما كانت هجرة بعض الهلالية الى دارفور عبر هذا الطريق هى التى جعلت الأمر يشتبه على عرب السودان فقالوا بأن الهلالية وفدوا على السودان من طريق الشرق ، اى من بلاد العرب راسا ، ومنها الى كسلا ، ثم عبروا النيل الأبيض واتجهوا الى غرب السودان(٣٠٣) .

والراجح أن كثيرا من الهلالية اتوا فعلا من الشرق ، ولكنه ليس الشرق الذى حكت عنه هذه الروايات ، وانما هو شرق دارفور وكردفان ، اى المناطق الشرقية التى تقع حول النيل والتى نزح اليها الهلالية من مصر ، والتى تعرف ببلاد النوبة ، والتى انحرفوا منها غربا على امتداد وادى الملك الى كردفان ثم الى دارفور(٣٠٤) .

على ان بعض الروايات تذكر طريقا ثالثا غير طريقى الواحات والنيل جاء منه الهلالية الى دارفور ، وهذا الطريق هو الطريق الليبى الذى يربط ليبيا وتونس بدارفور عبر الصحراء الليبية أو الصحراء الكبرى والذى سبق الحديث عنه(٣٠٥) . وتقول هذه الرواية أن هجرة من الهلالية قادها رجل عربى يسمى احمد المعقور وصلت الى دارفور وتمكن هذا الرجل أن يصل نفسه بالبيت الحاكم وان يصاهره ، مما أدى الى انتقال الحكم اليه أو الى اولاده واحفاده من بعده(٣٠٦) .

وتستند هذه الرواية الى ان الخليفة الفاطمى المستنصر بالله قد أمر بنى هلال فى عام ٤٤١ هـ / ١٠٤٩ م بالزحف الى تونس عندما

(٣٠٣) عبد المجيد عابدين : دراسات فى تاريخ العروبة ، ص ١٥١ - ١٥٢

(٣٠٤) المرجع السابق ، ١٥٢

(٣٠٥) انظر ، ص ١٠٨ - ١١٠

(٣٠٦) توماس أرنولد : نفس المرجع ، ص ٣٥٩ ؛ مصطفى مسعد : سلطنة دارفور ص ٢٢٧

تمرد عليه حكام هذه البلاد من بنى زيرى الصنهاجيين ، فنزح اليها فى عام ٤٤٣ هـ / ١٠٥١ م كثير من بنى هلال وبنى سليم وغيرهم وقاموا بغزو طرابلس وتونس واستقروا هناك منذ ذلك الحين(٣٠٧) وكانت مساكنهم فى عصر القلقشندى تمتد فى نواحى قسطنطينة والمسيلة والزاب ، وكذلك فى بعض بلدان المغرب الأقصى(٣٠٨) ٠ ومن هذه البلاد تسرب الهلالية الى دارفور ٠

اذن فامامنا ثلاث طرق أو مسالك سلكها الهلالية الى دارفور ، أولاها طريق درب الأربعين ، وثانيها طريق النيل الى بلاد النوبة ثم الى كردفان ودارفور ، وثالثها هو الطريق الليبى الذى يصل ما بين تونس وطرابلس وبين دارفور ٠

وتعدد الطرق والمسالك التى سلكها الهلالية للوصول الى دارفور على هذا النحو يوحى بتعدد هجراتهم اليها سواء من مصر أو من ليبيا وتونس ٠ ويبدو أن هذا التعدد حقيقة واقعة ، ذلك لأننا نسمع عن جماعات كثيرة فى بقاع مختلفة فى السودان كلها تنتسب الى بنى هلال ، وان كان من الملاحظ أن معظم الجماعات التى تنتسب الى الهلاليين أو الى أبى زيد الهلالى يعيشون فى غربى السودان ، لأن جماعاتهم التى عاشت فى شرقى السودان كانت قليلة ومتفرقة بحيث لم تستطع أن تحتفظ بكيانها زمنا طويلا ، فاندمج معظمها فى مجموعات قبلية أخرى ، وصار الانتساب الى الهلالية نادرا ومحدود الأثر ٠ أما فى غرب السودان فان التأثير السلالى أو الأصل العرقى لبنى هلال يظهر بصورة أقوى وأوضح(٣٠٩) ٠

ذلك أننا نجد فى دارفور بالذات عددا من الجماعات تنتسب الى الهلالية أو الى أبى زيد الهلالى ، منهم التنجور ، والفور ، والرزيقات ،

---

(٣٠٧) مصطفى مسعد : الاسلام والنوبة ، ص ٢٦١ ،
Trimingham : op. cit., p. 100.

(٣٠٨) القلقشندى : قلائد الجمان ، ص ١١٨ — ١١٩

(٣٠٩) عبد المجيد عابدين : نفس المرجع ، ص ١٥١ — ١٥٢

وهلالية البرقد ، والزيادية . وقد ظهر أمر انتساب هذه الجماعات وتلك القبائل الى بنى هلال فى قوائم النسبة التى احتفظوا بها ، وكذلك فى رواياتهم التى كان التاثير القصصى متمثلا فيها ، مما حدا بماكمايكل الى ان يشكك خعادته فى نسبة هذه القبائل الى بنى هلال ، مع ان وجود التاثير القصصى فى هذه الروايات لا يعنى باى حال الشك فى صحة انتساب هذه الجماعات أو اوصولها الأولى الى الهلاليين جملة وتفصيلا(٣١٠) .

يدعم هذا القول وجود وحدات من الحلف الهلالى القديم تعيش على ارض السودان حتى الآن ، وتحمل كل وحدة منها اسمها الخاص بها ، مثل بنى سليم وبنى فزارة(٣١١) . اما بنو فزارة فقد سبق الحديث عنهم وقلنا انهم كانوا يعيشون فى مصر وانتقلت بعض بطونهم الى كردفان ودارفور(٣١٢) . وأما قبيلة بنى سليم فانها موجودة حتى اليوم وتعيش على النيل الأبيض من جهة الغرب فى أرض كردفان وتنتمى الى مجموعة البقارة(٣١٣) .

ويبدو من دراسة المجموعة الفزارية فى السودان أن لبعضها - على الأقل - صلة ببنى هلال . ففى روايات دار حامد الفزارية نسمع أن جدهم (حامد) حين قدم الى غرب السودان ، لقى أبا زيد الهلالى ، فاستشاره فى المكان الذى يتخذه مقاما له ، فأشار عليه بسكنى بقعة معينة فى كردفان(٣١٤) . والزيادية الذى سبق أن تحدثنا عنهم ضمن قبائل فزارة التى هاجرت الى دارفور ، قلنا انهم ينتسبون حتى الآن الى ابى زيد الهلالى ومنه أخذوا اسمهم(٣١٥) .

---

(٣١٠) المرجع السابق ، ص ١٥٢ - ١٥٣

(٣١١) المرجع السابق ، ص ١٥٣

(٣١٢) انظر ، ص ١٢٨ ، ١٣٢ ، ١٥٤ - ١٥٨

(٣١٣) عبد المجيد عابدين : نفس المرجع ، ص ١٥٣

(٣١٤) المرجع السابق ، ص ١٥٣ - ١٥٤

(٣١٥) انظر ، ص ١٢٦

وكذلك ربط رواة السودان بين أحمد سفيان المشهور باسم أحمد المعقور مؤسس أول سلطنة اسلامية فى دارفور وبين ابى زيد الهلالى : فقالوا ان أحمدا هذا اخو أبى زيد ، وأن اباهما هو الأمير رزق الذى لعب دورا فى قصة أبى زيد الهلالى ، وأن رزقا هذا فى بعض الروايات هو جد قبائل الرزيقات(٣١٦) الذين سبق أن تحدثنا عنهم ضمن القبائل المهاجرة الى دارفور(٣١٧) ٠

وهذه الروايات لا شك تفيدنا فى أن الهلاليين هاجروا من مصر ومن غيرها من البلدان المجاورة مثل تونس الى دارفور وأقاموا فيها واتخذوها موطنا ٠ وكان تأثيرهم الكبير فى تحويل المجرى السياسى لتاريخها حينما ساهموا مباشرة فى اقامة أول سلطنة اسلامية عربية فيها ، دعمت من شأن العروبة فى دارفور ، وشدت من أزر الاسلام فيها حتى اصطبغت بالصبغة العربية والاسلامية الواضحة ٠ ولم يكن ذلك كله الا نتيجة لهجرات العرب بصفة عامة الى دارفور واقامتهم فيها واستيطانها ٠ فكيف تم ذلك وكيف عاش هؤلاء العرب فى هذا الاقليم الواسع ؟

(و) حياة القبائل العربية فى دارفور :

هذه القبائل العربية التى هاجرت الى دارفور فى العصور الوسطى وخاصة منذ القرن الثانى عشر للميلاد وما بعده من قرون ، هل أقامت بمجرد ان استقرت فيها حكومات وامارات كما فعلت القبائل العربية فى بعض البلدان الأخرى مثل ساحل شرقى افريقيا ومنطقة القرن الافريقى على سبيل المثال ؟

الواقع يقول ان ذلك لم يحدث ، نظرا لطبيعة القبائل المهاجرة

---

(٣١٦) التونسى : نفس المصدر ، ص ٨٣ ـ ٨٤ هامش (٥) ، عبد المجيد عابدين : نفس المرجع ، ص ١٥٤

(٣١٧) انظر ، ص ١٤٥ ـ ١٤٧

من ناحية ولطبيعة الاقليم الذى هاجروا اليه من ناحية أخرى . فهذه القبائل التى هاجرت الى دارفور بالذات كان معظمها من البدو الرحل الذين لا يميلون الى سكنى الحضر ولا سكنى المدن ، وانما فضلوا الاقامة فى الصحراء والمناطق البعيدة عن موطن الحضر ، بسبب طبيعة هذه القبائل من ناحية ، ولأنها تعشق الحرية والاستقلال من ناحية أخرى ، وحتى تستطيع أن تمارس نشاطها فى رعى الابل كما فعل الأبالة ، ورعى البقر كما فعل البقارة ، ولأن الصحراء أصح هواء من داخلية البلاد التى تكثر فيها المياه والأمطار والرطوبة والعفونة والوخم وتنتشر الأمراض ، ولذلك كان الأعراب الذين سكنوا البادية اقوياء البدن اصحاء الجسم(٣١٨) اكثر من غيرهم من بقية سكان دارفور .

يضاف الى ذلك أن هذه القبائل كانت هاربة من سيطرة حكومة مركزية قوية فى مصر أذاقتهم العذاب والاضطهاد وطاردتهم حتى الجأتهم فى النهاية الى الهجرة الى السودان ، فاختاروا الاقامة فى دارفور بالذات ، نظرا لموقع هذا الاقليم وتطرفه وبعده عن مجال سيطرة ونفوذ السلطات المملوكية ، ولأن هذا الاقليم نفسه لم يكن فيه مثل هذه الحكومة القوية المسيطرة(٣١٩) ، ولا مثل تلك السلطات الاستبدادية الطاغية ، والتى يمكن أن تمارس معهم فيما لو وجدت نفس السياسة وتتبع نفس الأسلوب .

فحكومة الداجو ثم حكومة التنجور التى عاش العرب فى ظلها حتى قامت أسرة كيرا فى الحكم قبيل منتصف القرن الخامس عشر للميلاد ، لم تعمل أى من هاتين الحكومتين على اخضاع العرب لحكمها لسبب بسيط وهو أن هذه الحكومات لم تكن تسيطر على كل بقاع هذا الاقليم(٣٢٠) ،

---

(٣١٨) التونسى : نفس المصدر ، ص ٢٨١ — ٢٨٢ ،
Mac Michael : The Coming of the Arabs to the Sudan, pp. 58 - 59.

(219) Baddour : op. cit, p. 33.

(٣٢٠) التونسى : نفس المصدر ، المقدمة ، ص ٦ ، ٧

بل ان الداجو الذين يحكمون دارفور قبل ظهور التنجور ، لم يسقط حكمهم بالكلية عندما تمكن هؤلاء التنجور من السيطرة على زمام الحكم ، بل اصبح لهم حكمهم فى بعض نواحى دارفور بجانب حكم التنجور للنواحي الأخرى من هذا الاقليم(٣٢١) . ولذلك فان مملكة التنجور لم تكن حدودها واضحة ولا معروفة(٣٢٢) ، وان كان تمركزهم فى النصف الجنوبى من دارفور . ولما هاجر العرب الى هذا الاقليم استمسك التنجور بالمرتفعات لأن العرب البدو واسلاف البقارة سيطروا وقتذاك على سهول دارفور الجنوبية وحتى اليوم(٣٢٣) .

وهكذا لم تسيطر حكومات الداجو والتنجور على كل بقاع دارفور لهذه الثنائية التى اشرنا اليها والتى ادت الى وجود نفوذ الداجو بجوار نفوذ التنجور . ولم تكن هذه الثنائية وحدها هى السبب فى ذلك ، فقد كان هناك اتساع الاقليم وكثرة عدد قبائله وشعوبه التى كان كل منها له حاكم يحمل لقب ملك . وقد استمرت هذه الألقاب حتى بعد ان قامت أسرة كيرا على يد السلطان سليمان سولون فى حكم دارفور فى عام ٨٤٨ هـ / ١٤٤٥ م .

وكثيرا ما يحدثنا التونسى عن ملوك وسلاطين فى دارفور كانت لهم بلدانهم وكان لهم استقلالهم وكانت لهم اقطاعاتهم التى ورثوها عن اجدادهم ، مثل سلاطين البرقو والميمة والتنجور والداجو والبيقو والزغاوة ، وغيرهم من ملوك الاقاليم(٣٢٤) ، حتى سلاطين الفور انفسهم لم يكن لهم الا بلاد خاصة بهم يتعيشون منها كانوا قد ورثوها

---

(٣٢١) المصدر السابق ، المقدمة ، ص ٧

(٣٢٢) الشاطر بصيلى : تاريخ وحضارات السودان الشرقى والأوسط ، ص **٤٢٥**

(323) Arkell : The history of Darfur, S.N. *. IV, p. 273.

(٣٢٤) تشحيذ الأذهان ، ص ١٥٢

عن آبائهم وأجدادهم مثل قرلى والريل وتندلتى وغيرها(٣٢٥) ، وذلك بالاضافة الى مقدار من المال كان يرسله لهم كل ملك أو سلطان من سلاطين وملوك دارفور ، علامة على التبعية والخضوع ، وهى فى الواقع تبعية شكلية وخضوع اسمى فقط .

ومعنى ذلك أن دارفور كانت تعيش قبل قيام سلطنة دارفور الاسلامية على يد سليمان سولون الى سلطنات وممالك صغيرة مستقلة ، وكان كل سلطان مستقل بنفسه له بلاده وله اقطاعاته التى يعيش منها ، وكانت الأقاليم الصغيرة يحكمها ملوك يبدو أنهم كانوا تحت سيطرة هؤلاء السلاطين . ولما قامت سلطنة سليمان سولون وفرضت النظام الاسلامى على الجميع دان لها هؤلاء السلاطين والملوك واطاعوها ، وان كانت طاعة اسمية فى الواقع ، ولكن الاقليم اصبح له طابعه الوحدى اللامركزى منذ ذلك الحين .

وفى كل هذه الأوضاع التى كانت قائمة قبل قيام سلطنة دارفور الاسلامية فى عام ٨٤٨ هـ / ١٤٤٥ م على يد سليمان سولون ، عاشت القبائل العربية التى هاجرت الى الاقليم ومعظمها قبائل من البدو الرحل كما قلنا دون أن تجد مقاومة لا من الحكومة ولا من الأهالى . وقد وجدت هذه القبائل فى هذه الأوضاع نوعا من النظم التى كانت تالفها ، فظهر عندهم وكما هو المعتاد نظام المشيخة العربية(٣٢٦) ، فكل قبيلة كان لها شيخها التى لا ترد له كلمة ، والذى يجب المحافظة على سلطاته وكيانه ، لأن القبيلة تتمثل فيه ، فازدياد قوته قوة لها ، وضعف نفوذه هو ضعف للقبيلة كلها . ولم يكن مطلوبا أن يضعف نفوذ شيخ القبيلة ازاء هذا العدد الكبير المتنافس والمتنوع من القبائل التى سكنت دارفور ، سواء كانت قبائل عربية أم سودانية أم زنجية(٣٢٧) ، تلك القبائل التى لم تجد كما أشرنا حكومة مركزية قوية تفرض عليها سلطانها ونفوذها .

---

(٣٢٥) المصدر السابق ، ص ١٥٢

(326) Mandour : op. cit, p. 35 & Mac Michael : The Coming of the Arabs to the Sudan, pp. 58 - 49 .

(327) Mandour : op. cit, p. 33.

وقد ظلت هـذه القبائل العربية تعيش على هـذا النحو حتى قامت سلطنة دارفور الاسلامية وعملت على توحيد البلاد ، وتعين على الجميع عربا وغير عرب الخضوع لها . وقد سبقت الاشـارة الى ان العرب اندمجوا فى هـذه السلطنة وصاروا جزءا من نظامها السياسى ، واعطوا السـلطان الضرائب المقررة عليهم ، وسـاعدوه فى حروبه المحليـة والخارجيـة(٣٢٨) .

واحيانا كانت العلاقة تسـوء بينهم وبين السـلاطين ، وتقوم بينهم الحروب اذا ما اشـتط السلطان فى تحصـيل الضرائب ، واذا ما كانت القبيلة فى عز ومنعة ، فكانت تخلع طاعة السلطان وترفض دفع الضريبة له ، واذا اعطوها فانهم لا يعطون الا « اقبح اموالهم » ، واذ اعترض عامل السـلطان طردوه وربمـا قتلوه « ولا يقـدر السلطان لهم علـى شىء »(٣٢٩) ، وكثيرا ما حاربوا السـلاطين وهزموهم كما فعل عرب الرزيقات مع السـلطان تيراب ، واذا هزموا فانهم يفرون الى الصحراء أو الى المناطق النائية بمواشـيهم حيث لا يستطيع السلطان أن ينـال منهم شـيئا (٣٣٠) .

ولذلك كثرت الفتن والحروب فى دارفور سـواء بين العرب والقبائل الفوراوية ، أو بين العرب بعضهم البعض . وقد بين التونسى هـذا الوضع بقوله انه كانت« كل قبيلتين منهم بينهما دم مسـفوك وثار مطالب به غير متروك ، كما بين البرتى والزيادية ، وبنى عمران والميمة ، والفلاتا والمساليط ، والمسيرية الحمر والرزيقات ، والمجانين وبنى جرار ، والزغاوة ، والمحاميد مما لا يكاد يحصى »(٣٣١) ، وكان سـببا فى قلة عدد سـكان دارفور ،

---

(٣٢٨) انظر ، ص ١٤٢ ، ١٤٧ ، التونسى : نفس المصدر ، ص ٤٠ .
(٣٢٩) التونسى : نفس المصدر ، ص ١٤٠
(٣٣٠) المصـدر السابق ، ص ١٤٠
(٣٣١) المصدر السابق ، ص ٢٨٢ ، ٢٧٣

رغم أن الأمراض المنتشرة فيها وفى السودان عامة لم تكن أمراضا وبائية قتالة(٣٣٢) ، وانما هذه الحروب وتلك الفتن هى التى كانت تحصد الناس حصدا .

وربما كان نظام الحياة الاقتصادية فى دارفور من دواعى هذه الحروب ، فمعظم سكان الاقليم سواء كانوا عربا أو غير عرب كانوا يشتغلون بالرعى ، سواء رعى الابل او الغنم أو البقر ، وقليل منهم من كان يعمل بالزراعة والتجارة ، ولذلك كانوا فى حاجة لاستيراد الحبوب والمواد الغذائية(٣٣٣) .

وقد صرح التونسى بذلك وقال ان « أعراب البادية فى دارفور منعمون فيما يشتهون ، لا يحتاجون الا الى الدخن والذرة والملبوسات ويمكن أن يشتروا ما يحتاجونه من ذلك بما زاد عن كفايتهم من السمن والعسل واللواشى وجلود الصيد والبقر والابل ، حتى ، انهم يجلبون ادار الواداى ولدار الفور الأجربة والقرب والبطط والحبال المصنوعة من سيور الجلد والسياط وغير ذلك»(٣٣٤) .

والفقرة السابقة تبين لنا ما كان يحتاجه عرب البادية فى دارفور وما كانوا ينتجونه . وهذا الانتاج كما ترى ما هو الا نتاج لما كانوا يربونه من ماشية وابل ، كما انهم كانوا وكما سبق القول يمارسون حرفة الصيد ، نقصد صيد الزراف والنعام والغزلان والفيلة وغيرها ، جلبا لما تدره هذه الحيوانات من سن فيل وريش نعام وجلود ولحوم كانوا فى حاجة اليها ، وكانوا يربون الخيل ليستخدمونها لهذا الغرض وللقتال ضد اعدائهم وخصومهم . وقد نشط فى هذا المجال قبائل المجانين والزيادية وبنى جرار والعريقات(٣٣٥) .

---

(٣٣٢) المصدر السابق ، ص ٢٨٢

(٣٣٣) انظر ، ص ٢٣ — ٢٤

(٣٣٤) تشميذ الأذهان ، ص ٢٩٣

(٣٣٥) المصدر السابق ، ص ٢٨٧ — ٢٨٩ ، ٢٩٢

وبخلاف ذلك فقد كان عرب دارفور يزرعون وقت اقامتهم فى الأراضى التى يجود فيها المطر ويكثر الماء ، فكان يوجد عندهم « من الأرز والدفرة والكوريب والهجليج والتمر هندى والعسل والكرنو والسرنة مما لا يوجد عند غيرهم »(٣٣٦) .

كما أنهم كانوا يرحلون شمالا مسافة عشرة ايام من دارفور للحصول على الملح والنطرون من منطقة بئر النطرون التى تسمى أيضا بئر الزغاوى، ذلك لأن النطرون والكثر الملح لا يجلب لدارفور الا من هذه المنطقة (٣٣٧) . كما أن عرب دارفور كانوا يقومون بعمل آخر وهو حراسة القوافل الذاهبة من دارفور والآيبة اليها ، وبعضهم كان يعمل فى التجارة فينضم لهذه القوافل ويصاحبها الى مصر والى غيرها من البلدان .

ونظرا لذلك كله فقد كان معظم عرب دارفور فى شبه ترحال دائم سواء كانوا أبالة ام بقارة أم حراسا للقوافل أم تجارا ، نظرا لطبيعة نشاطهم ، ولطبيعتهم كبدو رحالة . وفى ذلك يقول أحد الباحثين أن السكان الذين سكنوا على النيل من العرب كانوا غير متنقلين وتحضروا ، أما الذين سكنوا داخلية القطر ما عدا الشمال الأقصى فقد صبغتهم صبغة البداوة ، وكانوا بيممون ناحية الشمال ومعهم ابلهم من اغسطس الى نوفمبر حيث يطيب المرعى ، وهؤلاء الذين سكنوا الغرب وهم أهل كردفان ودارفور حتى حدود الصحراء الكبرى الجنوبية ، والبقارة الذين سكنوا منطقة الزنوج كانوا يرحلون منها مدة شهرى ابريل ومايو ميممين ناحية الشمال فى المنطقة الوسطى ، لأن المطر عندئذ يهطل عندهم بغزارة (٣٣٨) .

---

(٣٣٦) المصدر السابق ، ص ٢٩٥ والأشياء المذكورة اعلاه كلها من الأشجار المثمرة عدا الأرز والعسل بطبيعة الحال ، وقد سبق التعريف بمعظم هذه الأشجار ، انظر ، ص ١٣٥ - ١٣٦

(٣٣٧) المصدر السابق ، ص ٥١ - ٥٢

(٣٣٨) نعوم شقير : نفس المرجع ، جا ص ٦٦

وهـذا التنقل والترحال الذى تميز به العرب فى دارفور كان من الاسـباب الرئيسية فى دفع عملية التعريب ونشر الاسـلام بين السكان الاصليين مما سـنبينه عما قليل ٠

واذا كان هـذا هو طابع الحيـاة الاقتصادية لعرب دارفور ، فانهم فى حياتهم الاجتماعية تأثروا الى حد كبير بالتقاليد والنظم التى رأوها فى هذا الاقليم ، وشمل هذا التأثير مسكنهم وملبسهم وعاداتهم فى الأفراح والأتراح والزواج والاعيـاد (٣٣٩) ، وحتى اللغـة وغير ذلك من مظاهر الحياة الاجتماعية والثقافية ٠ ففى اللغـة نجد ان العرب الذين اختلطوا وامتزجوا بالأجناس والقبائل الفوراوية تعلموا لغات هـذه القبائل وتكلموا بهـا بجانب لغتهم العربية على لحن ظاهر فى كلامهم بهـذه اللغـات المحلية ، تماما كما فعل اهل دارفور الأصليون بعد أن تعلموا العربية وتكلموا بها ايضا على لحن ظاهر فى كلامهم بها(٣٤٠) ٠

اما المساكن فقد كان البقارة والأبالة من العرب فى دار فور يتخذون مساكنهم من الخيـام والأخصاص ذات الشـكل المخروطى مما يدل على تأثرهم بالبيئة المحليـة ، اما الفلاحون منهم فكانوا يبنون بيوتا مربعـه الشـكل من الآجر او من الحجر ويجعلون لها سـقوفا كسقوف البيوت المصرية(٣٤١) ٠

كمـا كانوا يلبسـون اقمصة واسـعة الأكمام جـدا مقفلة الصدر بلا سراويلات ، ويتحزمون بسيور من جلد ، ويمشـون حفاة عراة الرأس ، او يلبسون نعـالا فى أرجلهم ، ويجدلون شعور رءوسهم بالشـحم والزيت ،

---

(٣٣٩) عن هـذه العادات والتقاليد ، انظر نعوم شقير : تاريخ السودان القديم والحديث وجغرافيته ، جا ص ١٩٨ - ٢٠١ ، ٢٠٥ ، ٢٠٧ ، ٢٣٤ - ٢٤١

(٣٤٠) نعوم شـقير : نفس المرجع ، جا ص ١١٩

(٣٤١) مونسينجر : رسـالة جغرافية فى بلاد السـودان ، مصر ، سـنة ١٨٧٤ ، ص ١٤ ، نعوم شقير : نفس المرجع ، جا ص ٢١٥

ولا يخرج الواحد منهم الا وفى يده حربة كبيرة يلقيها على كتفه ٠ وأما الأبالة فكانوا يلبسون الثوب بسراويل أو بلا سراويل ، ويلبس مشايخهم القمصان الواسعة ، الا أن قمصانهم اقل اتساعا من قمصان البقارة وانظف ، وهم يجدلون شعور رؤوسهم ضفيرتين فقط ، ولا يتركون لها كشة فى الناصية ، أما مشايخ البادية الذين يخالطون الحضر ، فانهم يحلقون شعورهم ويلبسون القفاطين والجبب والعمائم ، ويتختمون بخواتم من الفضة بفصوص من العقيق أو الفيروز أو حجر الدم(٣٤٢) ٠ وهى أوصاف تدل على مدى تأثر الرجال من العرب فى دارفور بالبيئة التى عاشوا فيها ، والأهالى الذين خالطوهم ٠

أما نساء العرب فى دارفور من حضر وبادية ، فقد كن يضفرن الشعر ضفائر دقيقة تنزل على الصدغين والعنق كسائر نساء السودان ، وكانت الواحدة منهن تلبس ثيابا تستر جسدها وراسها بحيث لا يظهر منها الا عيناها كعادة نساء العرب المعروفة ٠ هذا بخلاف العادات الأخرى، التى تأثروا فيها بالأهالى المحليين والتى لم يعرفها العرب فى بلدانهم الأولى او التى هاجروا منها(٣٤٣) ٠

ورغم ذلك فقد تمسك العرب بمعظم عاداتهم المعروفة فى سائر نواحى حياتهم الاجتماعية ، وكان نظام حياتهم يقوم اساسا على المحافظة على الابل والماشية وعلى المراة وعلى سلطة الشيخ او الزعيم الغير محدودة(٣٤٤) ، وعلى الحفاظ على الاستقلال والحرية بعيدا عن تحكم السلطة المركزية ٠ وكانت قيم الحياة عندهم تدور حول هذه المحاور الرئيسية بما لا يخرجها عن مبادىء الدين والشريعة ٠

---

(٣٤٢) نعوم شقير : نفس المرجع ، جا ص ٢٠٨

(٣٤٣) المرجع السابق ، ص ٢٠٩

وعن هذه العادات ، انظر نعوم شقير : نفس المرجع ، ج ١ ص ٢٢٨

(٣٤٤) الشاطر بصيلى : تاريخ وحضارات السودان الشرقى والأوسط ص ٤٠٢

واذا كنا قد اشرنا الى ان العرب فضلوا سكنى البادية فى دارفور ، فليس معنى ذلك أنهم سكنوا البوادى المحيطة بدارفور كما صورهم بعض الباحثين ، وانما سكنوا هذه البوادى وسكنوا أيضا المناطق السهلية والوديان والواحات التى تقع فى داخل دارفور(٣٤٥) وقد سبق القول أن قبائل العرب تواجدوا فى نواحى دارفور وجهاتها المختلفة سواء فى الشمال أو فى الجنوب وسواء فى الشرق أو فى الغرب ، كما تواجدوا أيضا فى وسط دارفور وحول العاصمة ، سواء كانت هذه العاصمة هى مدينة أورى فى عهد التنجور ام الفاشر فى عهد أسرة كيرا الاسلامية(٣٤٦) .

واذا القينا نظرة على خريطة دارفور وعلى توزيع القبائل فيها ، سواء الخريطة التى رسمها بيرون أو التى وضعها محمد بن عمر التونسى ، نجد أن هناك تداخل بين قبائل العرب المهاجرين وقبائل السكان الأصليين . فلا توجد ناحية أو منطقة الا ويسكنها عرب وفوراويون ، أو عرب يحيط بهم فوراويون او العكس . وليس هناك مكان لم يسكنه العرب فى دارفور الا جبل مرة (٣٤٧) الذى لم يسكنه الا أعجام الفور فقط ، وهم ثلاث قبائل هى الكنجارة والتموركة والكراكريت(٣٤٨) .

وهذا التداخل بين العرب والفور فى مناطق السكنى والاقامة ، أتاح الفرصة لعملية اجتماعية فى غاية الاهمية أخذت تتفاعل على مدى القرون والأزمان تلك العملية هى الاختلاط والمصاهرة والتزاوج بين العرب وسكان البلاد الأصليين . وقد اتيح لهذه العملية أن تنجح لأسباب عديدة ، منها أن العرب الذين دخلوا اقليم دارفور لم يدخلوه كغزاة ، ولم يدخلوه

---

(٣٤٥) التونسى : نفس المصدر ، ص ١٤٥

(٣٤٦) انظر ، ص ١٢١

(٣٤٧) ان جبل مرة سمى بهذا الاسم لانه لم يخلق مثله ، فلا ثانى له ولا نظير . انظر : التونسى : تشحيذ الأذهان ، ص ١٤٤ هامش (١)

(٣٤٨) التونسى : نفس المصدر ص ١٤٤

فى شكل جيوش حربية مسلحة ، وانما دخلوه فى شكلٍ هجرات جماعية أو فردية بطريقة غاية فى السلمية والهدوء ، لم يعلموا فيه الحديد والنار والسيف كما قال بعض الباحثين الأوربيين ، وانما دخلوه كطلاب مأوى ومهاجرين مسالمين(٣٤٩) وهم يختلفون فى ذلك عن بعض القبائل العربة الأخرى التى دخلت بلاد النوبة أو بلاد البجـة .

فقد عاثت بعض هـذه القبائل فسـادا فى هـذه البلاد واستعملت اسـاليب العنف والشـدة فى معاملة الأهالى كما اشـار ابن خلدون وكما سـبق القول ، وكانت هـذه القبائل تأتى مصاحبة لحملات سـلاطين المماليك التى كانت تقصـد بلاد النوبة بالغزو ، نظرا لقيـام ملوك هذه البلاد بقطع البقط او الاغارة على البلاد المصرية المجاورة لهم(٣٥٠) .

اما فى درافور فلم يحدث من ذلك شىء ، فلم يثبت ان أرسل احد حكام مصر فى القرون السـابقة اى حملة غزت دارفور الا فى العصور المتأخرة التى تخرج عن نطاق هـذا البحث ، وذلك قرب نهاية القرن التاسـع عشر للميلاد وفى عصر الخديوى اسـماعيل(٣٥١) . وكذلك لم يثبت أن قبيلة عربية أتت تحمل السلاح واقتحمت هـذه البلاد بقوة هـذا السـلاح . ولذلك فان القبائل العربية التى هاجرت الى دارفور لم تقابل بالصـد أو النفور ، ولم يحدث بينها وبين السكان المحليين اى صـدام او خصـام وفعـل الاتفـاق والزواج المختلط اكثر ممـا فعـلته قـوة الجيوش(٣٥٢) .

والسبب الثانى الذى أدى الى عملية الدمج والامتزاج بين العرب والسكان المحليين فى دارفور ، هو ما أظهره العرب انفسهم من قدرة فائقة

---

(349) Trimingham : op. cit, p. 100 & Baddour : op. cit, p. 33.

(٣٥٠) انظر ، ص ٥١

(٣٥١) التونسى : نفس المصـدر ، ص ٣٩٥ — ٣٩٦

(349) Trimingham : The Coming of the Arabs to the Sudan, p. 59 .

على الاستيعاب والاندماج مع هؤلاء السكان ، لأن العرب وكما يقول ترمنجهام يندمجون بسهولة فى غير بيئتهم ، ويمتزجون بالسكان المحليين ، وفى نفس الوقت يذيعون آدابهم وخصائصهم الدينية والاجتماعية ، وان كانوا بلا شك يكتسبون قدرا متفاوتا فى صفاتهم الطبيعية ، كلون البشرة والتقاطيع والملامح الجسدية نتيجة للاختلاط والمصاهرة (٣٥٣) ، حتى انك اليوم لا تستطيع أن تفرق بين الدارفورى العربى الأصل وبين غيره من الذين لا يحملون أصلا أو نسبا عربيا ، أو لا تجرى فى عروقهم الدماء العربية ٠

ومعنى ذلك أن الاختلاط والاندماج تم بين الفريقين ونتج عنه ما يعرف بشعب دارفور بخصائصه التى نراها ونعرفها اليوم ، وقد سهل هذا الأمر أن العرب المهاجرين والعرب بصفة عامة ليس لديهم تجبر أو تعصب عرقى ، لأن هذا مما يخالف تقاليد الاسلام وأوامره ، ولذلك فانهم استطاعوا ان يكتسبوا قلوب الناس ورضاهم ، ويهيئوا الطريق لحكمهم فى الأقاليم التى عاشوا فيها ، أو على الأقل يساعدون فى اقامة حكومة عربية اسلامية كما حدث فى دارفور فى عام ٨٤٨هـ /١٤٤٥م على يد سليمان سولون الذى ينتمى الى اسرة كيرا التى تقول بأنها تنتسب الى بنى العباس(٣٥٤) أو الى ابى زيد الهلالى(٣٥٥) ٠

ورغم اندماج العرب فى السكان المحليين فى دارفور ، الا انهم لم ينعزلوا عن الخواتهم فى مصر والأقطار المجاورة ، فقد ثبت انه كانت لهم علاقات ثقافية قوية وعلاقات تجارية متنامية مع مصر ، حتى ان قوافلهم التجارية التى كانوا يرسلونها اليها كانت تتالف من عشر الى خمسة عشر الف جمل تحمل السلع العديدة والمتنوعة (٣٥٦) ٠

---

(353) Trimingham : op. cit, pp. 99 - 100.

(354) Baddour : op. cit, p. 43.

(٣٥٥) عبد المجيد عابدين : دراسات فى تاريخ العروبة فى وادى النيل ص ١٥٢ – ١٥٣

(356) Baddour : op . cit, p. 34.

والسياسى والحضارى فى اقليم دارفور : وان كان هذا التأثير لم يكن لامعا كما هو الحال فى بلاد النوبة او وسط السودان ، وذلك بسبب طبيعة العرب الذين كانوا فى الغالب بدوا كما قلنا ، وبسبب بعد الاقليم وتطرفه عن نهر النيل الذى كانت تجرى على ضفافه الحضارة ومظاهر التقدم منذ آلاف السنين ، وبسبب قلة عدد السكان الذى أشرنا اليه من قبل ٠

ومع ذلك فقد صبغ العرب هذا الاقليم بالصبغة العربية الواضحة ، واتحدوا مع السكان المحليين منذ أوائل القرن الثالث عشر للميلاد الى اليوم(٣٥٧) ، وكانوا هم الأساس أو العامل الرئيسى فى نشر العروبة والدماء العربية ، وكذلك فى نشر الاسلام والثقافة العربية الاسلامية فى هذا الاقليم الهام ٠



---

(٣٥٧) نعوم شقير : نفس المرجع ، جا ص ٦٧

الفصـــل الـــرابع

نتائج هجرة العـرب الى دارفور

كان من نتيجة هجرة العرب الى دارفور فى العصور الوسطى وعبر قرون عديدة حسبما واينما رأينا فى الفصل السـابق ، أن انتشرت العروبة وانتشر الاسـلام فى هـذا الاقليم انتشـارا كبيرا ، وقامت فيـه دولة عربية اسـلامية فى عام ٨٤٨هـ / ١٤٤٥م عمقت تيـار العروبة والاسلام ، وافسحت له المجـال كى يزداد نموا وانتشـارا عن ذ ـ قبل ، حتى تم صبغ هـذا الاقليم بالصبغة العربية والاسـلامية الواضحة ، فكيف تمت هـذه الأمور الثلاثة ؟ وما هى المظاهر الاسلامية التى سـادت الحياة فى دارفور حتى أصبحت كما قلنا اقليما عربيا اسلاميا له فعالياته فى دنيا العروبة والاسـلام ؟

١ ـ انتشـار العروبة فى دارفور

تتمثل العروبة التى نقصدها فى هـذا الحديث فى نقطتين ، الأولى هى تسرب الدم العربى الى السـكان المحليين عن طريق المصاهرة والتزاوج الذى يؤدى الى الذوبان العرقى لكـلا الطرفين ، هـذا الذوبان الذى ينتج عنـه جيل جـديد يحمل صـفات الأب العربى والأم الفورية أو العكس . هـذا الجيل الجديد يعتز بنسبة العربى وبأصله الافريقى فى نفس الوقت . وقد أشرنا الى عملية المصاهرة والاختلاط التى تمت بين العرب وسكان دارفور خلال العصـور التى سبقت قيام سلطنة دارفور الاسـلامية قبيل منتصف القرن الخامس عشر للميلاد ، والتى ازدادت عقب قيام هـذه السلطنة بطبيعة الحال .

أما النقطة الثانية فهى انتشار اللسان العربى بين أهل دارفور من غير العـرب حتى صارت اغلبيتهم ان لم يكن كلهم يتكلمون العربيـة ،

واحتفظ القليل بلغة الفور أو بلغاتهم الخاصة كلغة محلية(١) . وقد ساعد على انتشار اللغة العربية بينهم انتشار الدين الاسلامى بين اغلبية السكان ، وبطبيعة الحال كان الناس فى حاجة الى تعلم الأبجدية العربية والخط العربى للتمكن من قراءة القرآن الكريم ، ولمعرفة المسائل الفقهية والدينية والأمور المتعلقة بالعقيدة الاسلامية .

ولذلك انتشرت العربية بين سكان دارفور انتشارا واسعا ، وكان هذا الانتشار مصاحبا لعملية الامتزاج والاختلاط والمصاهرة التى اشرنا اليها ، بمعنى أن عملية الاستعراب كانت مصاحبة لعملية الأسلمة ليس فى افريقيا الحامية فقط كما يقول ترمنجهام(٢) ، بل فى افريقيا الزنجية المتمثلة فى دارفور التى كان يسكنها عناصر حامية وعناصر زنجية ، مما نتج عنه فى النهاية تحول شعب دارفور الى شعب عربى مسلم .

وعلى ذلك فان اللغة العربية فى دارفور لم تكن لغة مقدسة او لغة القرآن الكريم فقط وذات استعمالات قليلة فى حياة الناس كما يقول ترمنجهام(٣) ، وانما كانت ولا زالت لغة معظم الناس ، واختفت لغات القبائل التى كانت تتكلمها قبل هجرة العرب الى دارفور(٤) ، مما يدل على نجاح القبائل العربية النجاح كله فى تحويل هذا الاقليم الى اقليم عربى مسلم .

ولا شك ان البيئة الطبيعية كان لها تأثيرها فى احتفاظ القليل جدا من أهل دارفور بلغاتهم المحلية دون أن يعرفوا اللغة العربية ، ففى المناطق الجبلية الوعرة التى لم يستطع العرب الوصول اليها وخاصة فى جبل مرة والتى عاش اهلها فى عزلة عن جيرانهم مكتفين بما فى الجبل من مراعى وزروع وثمار وماشية ترعى وحدها دون راع حتى ان بعضهم لم يروا انسانا غريبا عنهم حتى زارهم التونسى فى بداية القرن الماضى فتعجبوا من

---

(1) Evans Princhard : Ethnological Survey of the Sudan p. 84.

(2) Trimingham : op. cit, p. 101.

(3) Ibid : p. 101.

(4) Evans Princhard : op. cit, p. 84.

رؤيته لأنهم كانوا ينكرون حتى ذلك الحين أن يكون هناك انسان ذو لون ابيض أو احمر(٥) ٠

ولذلك لم تنتشر العربية بين هذه الجماعة من الناس الذين أصبحوا لا يعرفون منها الا عبارتى الشهادة ، وقد راى التونسى ذلك بنفسه عندما زار بعض الأماكن فى جبل مرة(٦) ٠ غير أن هؤلاء الذين لا يعرفون العربية من أهل هذا الجيل كانوا قليلى العدد(٧) ، بينما كانت غالبية أهل الجبل تتكلم العربية بجانب الفورية ٠ وقد روى التونسى أخبارا تدل على هذه الحقيقة(٨) ، وقال ان الاعداد عندهم كانت بلغة الفور حتى رقم ستة ، أما بقية الأعداد فكانوا ينطقون أسماءها باللغة العربية(٩) ٠

ولا شك أن وجود بعض العرب بين الفور الأعجام كأهل جبل مرة كالتوركة وغيرهم كان له تأثيره فى نشر اللغة العربية بينهم ، هذا بخلاف تواجدهم بين قبائل دارفور الأخرى التى تحيط بالجبل من جميع جهاته وتختلط بالعرب اختلاطا كبيرا ، مثل البرتى ، والداجو ، والبيقو ، والزغاوة ، والبرقو ، والميمة ، والمساليط وغيرهم(١٠) ، مما كان له اثره فى نشر اللغة العربية بين هذه القبائل ٠

ويمكن أن نستشف ذلك من قصة رجل من أكابر البرقد يقال له عثمان ود علو كان قد اصيب بمرض الجدرى وشفى منه ، وكان يتلثم قبل أن يشفى تماما حتى لا يؤذيه الذباب ، فمر به ذات يوم اعرابى

(٥) التونسى : نفس المصدر ، ص ١٥٣ ، ١٥٨

(٦) المصدر السابق ، ص ١٥٨

(٧) المصدر السابق ، المقدمة ، ص ١٠

(٨) المصدر السابق ، ص ٣١٧

(٩) المصدر السابق ، ص ١٦١

(١٠) المصدر السابق ، ص ١٦٥

وسأله عما اذا كان لا يوجد فى البلدة مصاب بالجدرى ، فنفى عثمان ذلك ، ولما رفع اللثام عن وجهه ورآه الأعرابى صاح هذا الأعرابى صيحة هائلة وسقط على الأرض مغشيا عليه ، لأن الأعراب كانت تخاف هذا المرض خوفا عظيما لأنه ما دخل حيا من احيائهم الا وافنى أهله . ولما صاح الأعرابى على هذا النحو المفزع جاء اخوانه من الأعراب لصيحته وحملوه وذهبوا به الى ديارهم(١١) .

وهذه القصة تدل أولا على ان أسماء رجال البرقد كانت أسماء عربية ، فأحد كبار رجالهم كما رأينا كان يسمى عثمان ود علو ، أى عثمان بن على ، وتدل أيضا على ان رجال البرقد كانوا يتكلمون العربية ، بدليل الحوار الذى جرى بين الأعرابى والبرقوى عثمان ود علو ، كما تدل ثالثا على ان الأعراب كانوا يختلطون بالبرقد ويذهبون الى بلادهم ، اى بلاد البرقد ، وكانوا يختلطون على هذا النحو بغير البرقد من قبائل دارفور الأخرى(١٢) .

وقد نتج عن هذا الاختلاط ان تعربت هذه القبائل مثل المساليط الذين تعربوا وأصبحوا خليطا من الزنوج والعرب(١٣) ، ومثل البرقد الذين تعربوا تماما ونسوا لغتهم الأصلية ، كما تعربت الميمة تماما ونسيت أيضا لغتها ، وكذلك المراريت والزغاوة والبرتى الذين أصبحوا يتكلمون العربية مع احتفاظهم بلغتهم الأصلية(١٤) . والنتيجة ان اللغة العربية أصبحت لغة قبائل دارفور بعد ان تغلبت على لغات هذه القبائل ومحتها

---

(١١) المصدر السابق ، ص ٢٧٣

(١٢) المصدر السابق ، ص ١٢٦ ، هامش (٤)

(١٣) المصدر السابق ، ص ١٢٦ ، هامش (٤)

(١٤) نعوم شقير : نفس المرجع ، ج ١ ص ٤٨ — ٤٩ ويلاحظ ان علماء الأفرنج بحثوا فى كثير من لغات شبه السود فى دارفور والف بعضهم كتبا فى صرفها ونحوها ومفرداتها . انظر ، نعوم شقير : ج ١ ص ١١٩

تماما ، كما أنها أصبحت أداة التخاطب المشتركة عند القبائل التى احتفظ بلغاتها ورطاناتها الزنجية(١٥) ، بينما بقيت بقية لا تكاد تذكر لا تعرف من العربية شيئا للأسباب التى ذكرناها من قبل .

وهذه العربية التى يتكلمها أهل دارفور والسودانيون عامة يتكلمونها بلهجة حسنة تختلف قليلا عن لهجتى مصر والشام ، ولكنهم يلفظون الحروف كأهل الشام ومصر ، فيلفظون الجيم خفيفة ، والذال زايا ، والثاء تاء أو سينا ، والقاف يلفظونها كالجيم المصرية(١٦) ، وهم متأثرون فى ذلك بأهل الصعيد الذى نزحت منه معظم قبائل العرب فى دارفور والسودان كما سبق القول .

وقد نتج عن هذا التأثير أيضا أن حملت اللغة العربية التى انتشرت هذا الانتشار الواسع بين أهالى دارفور كلمات عامية مصرية لازالت موجودة فى دارفور حتى الآن . ويمكن أن تستقى بعض هذه الكلمات من خطاب أرسله عبد الله التعايشى الذى ينتمى الى التعايشة احدى قبائل دارفور الى احد الأمراء فى عام ١٣٠٤ هـ / ١٨٨٦ م يدعوه فيه الى أم درمان أورده نعوم شقير . ومن أمثلة هذه الكلمات : بغدين — الهدوم — تعال قوام ، يخلى ، مافيش — الستات ... الخ(١٧) .

وهكذا تعربت دارفور وأصبحت أقليما عربيا مثل غيره من اقاليم السودان ، فأصبح لسان الناس عربيا ، واسماؤهم أسماء عربية ، حتى الفور الأعاجم الذين لم تنتشر العربية بينهم انتشارها بين القبائل الأخرى ، كانت أسماء ملوكهم وأسماء ملوك جبال مرة وأسماء حكام قراها ونواحيها أسماء عربية . فشيخ الجبل كان يسمى أبا بكر(١٨) ،

---

(١٥) عبد الله حسين : السودان من التاريخ القديم ، جـ ١ ص ١٢

(١٦) نعوم شقير : نفس المرجع ، جـ ١ ، ص ١١١

(١٧) المرجع السابق ، جـ ١ ، ص ١١١ ، ١١٣ ، ١١٧

(١٨) التونسى : نفس المصدر ، ص ١٥٦

ورئيس طائفة من طوائف التموركة ، وهى احدى قبائل الفور الأعاجم الثلاثة كان يسمى على كرتب ، وكان ابنه الذى صادقه التونسى يسمى عبد الله كرتب(١٩) ، ورئيس بلدة نمليه كان يسمى الفقيه نمر ، وولده كان يسمى الفقيه محمد ، وآخر يقال له سليمان(٢٠) ، مع أن التونسى ذكر أن أهل هذه البلدة لم يقع لهم رؤية عربى قبل ذلك(٢١) مما يدل على أن تيار العروبة والتعريب والثقافة العربية قد انتشر حتى اقتحم على الفور الأعاجم بلدانهم وقراهم مع التجار او بسبب ذهاب بعضهم الى أماكن الدراسة أو التجارة ، فتعلموا وحملوا أسماء عربية ، كما حملوا هم وكافة أهل دارفور الكنى والألقاب العربية .

فالأب والأم يكنيان باسم ابنهما البكر كما فى مصر والبلدان الاخرى ، فاذا لم يكن لهما ابن كنيا باسم بنتها البكر ، كما أنهم يكنون الأماكن بأب وأم على السواء فيقولون على سبيل المثال بئر أبو طليح او بئر ام طليح ، وعندهم كنى معلومة لأسماء معلومة حملا على كناها القديمة المشهورة فى التاريخ مثلما هو الحال فى مصر والبلدان الآخرى التى هاجر منها العرب الى دارفور ، فكنية ابراهيم ابو خليل ، وحسن ابو على ، واسماعيل أبو السباع ، ومصطفى أبو درويش أو درش ، وداود أبو سليمان ، كما أنهم مولعون بالألقاب يلقبون بعضهم بعضا ، ومن هذه الألقاب ما يحمل معنى المدح ومنها ما يحمل معنى الذم(٢٢) ، مما يدل على مدى تأثر أهل دارفور بالعرب الذين نشروا بينهم اللغة والأسماء والألقاب العربية .

---

(١٩) المصدر السابق ، ص ٣٢٩

(٢٠) المصدر السابق ، ص ١٥٤

(٢١) المصدر السابق ، ص ١٥٥

(٢٢) نعوم شقير : نفس المرجع ، جـ ١ ص ٢٢٥ ، ٢٢٦

وظاهرة انتشار الأسماء العربية بين قبائل دارفور ظاهرة تستحق الاشارة والدراسة . ذلك ان الأسماء العربية لم تخلع على الناس فقط ، ولكنها خلعت ايضا على أسماء الشهور ، ولذلك فانهم لا يعرفون الشهور الافرنجية والقبطية والأعجمية ، واهل العلم منهم يسمون الشهور كما سمتها العرب قديما بالأسماء المشهورة الآن كالمحرم وصفر وربيع ، الى غير ذلك من الشهور . اما عوام الناس فانهم يسمون الشهور العربية بأسماء أخرى تحمل معنى عربيا ، فيبداون حساب السنة بشهر شوال ويسمونه بالفطر ، كما يسمون شهر ذى القعدة فطرين ، وشهر ذى الحجة بالضحية ، ومحرما بالضحيتين ، وصفرا بالوحيد ، وربيعا الأول بالكرامة ، وربيعا الثانى بالتوم ، وجمادى الأولى بالتومين ، وجمادى الثانى بسابق التيمان ، ولم يسلم من التغيير الا شهر رجب ورمضان ، اما شعبان فيسمونه القصير(٢٣) .

حتى فى المحاصيل الزراعية ، فمنها ما عرف بأنه عربى والمثال على ذلك النبق ، فقد قال عنه التونسى أنه نوعان : عربى وكرنو(٢٤) ، وكذلك القطن ، فقد زرع اهل دارفور القطن بنوعيه : وهما البلدى ويسمى عندهم بالعربى ، والهندى ويسمى عندهم باسم (لوى)(٢٥) . أما الصمغ الذى يستخرجونه من شجر يسمى شجر الحشاب فقد اعطوه اسم الصمغ العربى(٢٦) .

ولعل أهم موضوع يمكن أن يناقش فى هذا المضمار هو موضوع الانتساب الى العرب أو اتخاذ نسبة عربية واصل عربى ، وهو أمر يدل دلالة قاطعة على مدى حركة التعريب والاستعراب ، وعلى أن هذه

---

(٢٣) التونسى : نفس المصدر ، ص ٣٢٠

(٢٤) المصدر السابق ، ٣٠٩ وقد سبق تعريف الكرنو ، انظر ، ص١٣٦

(٢٥) المصدر السابق ، ص ٣١١

(٢٦) المصدر السابق ، ص ٣١٢

الحركة وصلت الى قمتها وذروتها عندما أخذت العناصر الفورية فى دارفور تنتسب الى العرب وتجعل لنفسها نسبا عربيا شأنها فى ذلك شأن العناصر السودانية فى ممالك السودان الأخرى على امتدادها من المحيط الأطلسى الى نهر النيل ٠

فالبرقد الذين يعيشون بين جبل حريز ومنطقة الرزيقات شمال وشرق قبيلة الداجو ، وكذلك فى شمال شرق مدينة الفاشر (٢٧) يضعون على جمالهم علامة الهلال (٢٨) ، ويقولون أن أصلهم من بنى هلال (٢٩) ٠ وكذلك اهل جبل ميدوب يقولون انهم من كنانة ، ويضعون على جمالهم نفس العلامة وهى الهلال (٣٠) ، والداجو وهم من اقدم الشعوب التى سكنت دارفور وكانت لهم فيهم دولة قبل دولة التنجور والفور ، ويقولون بأنهم من الهلالية ٠ والميرنجا وهم قسم من الفور يقولون انهم من الهلالية أيضا (٣١) ٠

وكذلك دار قمر التى تقع شمال بلاد المساليط وشرق دار تامة فى غربى دارفور ، يقول اهلها من القمر انهم من أصل عربى ، ويتكلم معظمهم اللغة العربية (٣٢) ٠ ومما يدعم هذا القول ان قبيلة القمر كانت تسكن فى شندى شمالى الخرطوم حيث كانت تكثر القبائل العربية المهاجرة الى هذه المنطقة من السودان ، وكانت تدين بالاسلام وهاجرت مع زعيمها الذى يسمى وداعة بن يامى الى مكانها الذى تسكنه حتى الآن فى غرب دارفور وفى واداى ، وان كان تاريخ هذه الهجرة على وجه التحديد وكذلك الطريق الذى سلكته فى ترحالها نحو الغرب غير معلوم ،

---

(٢٧) المصدر السابق ، ص ٧٦ هامش (٢) ، ص ١٣٨

(28) Arkell : The history of Darfur S. N. R., 11, p. 221.

(29) Ibid : 11, p. 224.

(30) Ibid : 11, p. 221 .

(31) Ibid : 11, pp. 221 - 235.

(٣٢) التونسى : نفس المصدر ، ص ١٣٦ هامش (٢)

ولكنها وصلت الى منطقة فى غرب دارفور تسمى مابا ، وانتزعت الحكم من التنجور واستقرت فى مابا واطلقت على موطنها اسم دار وداعة بدلا من دار مابا ، وتصحف لفظ وداعة وصار واداى ، اى ان العين صارت ياء(٣٣) .

ولعل ما ذكره الشاطر بصيلى عن زعيم قبيلة قمر يدل على الزمن الذى وصل فيه الى غربى دارفور ، حيث يقول ان هذا الزعيم استطاع ان يكسب نفوذا فى زعامة التنجور ، وعين فى منصب ادارى لاحدى الولايات ، كما تولى حفيد هذا الزعيم ولاية من ولايات الدار ، وكان ذلك فى عهد السلطان داود الذى كان يتولى سلطنة التنجور ، وكان معاصره من دارفور السلطان سليمان فى بلاد الفور ، وكان السلطان داود يشعر بقوة سلطان الفور ويخشى بغزوه نحو الغرب ، اى نحو بلاده(٣٤) .

ويمكن أن نستنتج من هذا الكلام ان التنجور لم تندثر دولتهم بقيام سلطنة دارفور الاسلامية على يد سليمان سولون فى عام ١٤٤٥ م ، وانهم كانوا يحكمون فى المنطقة الغربية التى تمتد الى واداى ، وأن زعيم قبيلة القمر اتى الى بلاد التنجور هؤلاء غالبا فى نهاية القرن الرابع عشر للميلاد ، اذا أن حفيده كان معاصرا للسلطان داود والسلطان سليمان فى بلاد الفور ، مما يدل على ان هجرة القمر الى مواطنهم فى غربى دارفور تعود الى هذا التاريخ والى انهم من العرب المهاجرين من وادى النيل .

يؤيد ذلك ما ذكره بعض الباحثين من ان سلطنة واداى تأسست على يد اسرة من قبيلة الجوامعة العرب تعرف بالجمر (بفتح الجيم

---

(٣٣) الشاطر بصيلى : معالم تاريخ وحضارات السودان الشرقى والأوسط ، ص ٤٢٥

(٣٤) المرجع السابق ، ص ٤٢٥

وكسر الميم) بقيادة زعيمهم (وودا) الذى دخل مدة فى خدمة ملك التنجور، واستطاع حفيده عبد الكريم أن يقضى على حكم التنجور سنة ١٠٢٠ هـ / ١٦١١م ويؤسس دولة اشتهرت باسم واداى ، نسبة الى جده (وودا) (٣٥) . ولعل (وودا) هـذا هو نفسـه وداعه الذى ذكره الشاطر بصيلى ، مما يدل على صحة هـذه الرواية وان كان زمن قدوم هـذه اسرة او هذه القبيلة العربية من بلاد النوبة الى واداى فيه اختلاف بين الروايتين .

وهناك شعب آخر يصل نفسه بالعرب اتصالا قويا ، ذلك هو شعب التنجور الذى كان ولا يزال يعيش فى وسط دارفور (٣٦) والذى خلف شعب الداجو فى حكم دارفور فى القرن الثالث عشر للميلاد . وقد اختلف الباحثون فى اصل التنجور ونسـبهم اختلافا كبيرا ، فمن قائل بأنهم من النوبيين والهلالية الذين هاجروا من دنقلة الى دارفور ومدوا نفوذهم على واداى وارغموا الكانم احيانا على دفـع الجزية (٣٧) .

ومن قائل بأن التنجور من التبيو Tibus الذين كانوا يعيشون فى هضـبة تيبستى Tibesti (٣٨) التى تقع فى شمـال بحيرة تشاد ، ثم هاجروا منها الى دارفور ، ولكن ليس تحت ضغط بنى هلال فى شـمال افريقيا كما ذكر الدكتور مصطفى مسعد ، وانما كان ذلك بسبب حرب شـنتها دولة الكانم ضـد التبو فى القـرن الثالث عشر للميلاد (٣٩) . ولأن هجرة بنى هلال الى شـمال افريقيا حدثت قبل ذلك بقرنين ، اى فى القرن الحادى عشر للميلاد ، بينما هاجر التنجور فى الغالب الى دارفور فى القرن الثالث عشر للميلاد حيث اقاموا دولتهم هناك .

---

(٣٥) التونسى : نفس المصدر ، ص ٧٤ هامش (١) .

(٣٦) المصدر السابق ، ص ١٣٧ — ١٣٨

(٣٧) مصطفى مسعد : سلطنة دارفور ، ص ٢٢٥ ، التونسى : نفس المصدر ، ص ١٣٧ هامش (٣) ، Mandour : op. cit, p. 33.
& Arkell : A history of the Sudan, p 201 .

(38) Arkell : The history of Darfur , S. N. R., 11, p. 213, IV, p. 272

(39) Ibid : S. R., IV, p. 272.

ولكن يبدو أن هـذه الهجرة كانت قليلة الأهمية ولم تلفت الانظار ، ولذلك لم يرد ذكرها عند الكتاب العرب سـواء كانوا مؤرخين أم رحالة(٤٠) وقد استدل صاحب هـذا الراى وهو الأسـتاذ آركل على ان تاثير التيبو والذين يسمون أيضا باسـم التدا على دارفور كان واضحا ، بان هنـاك صلة بين التنجور والتوماجيرا وهم الفرع الملكى من التدا ، وان اسـمهم يمكن ان يكون قد صحف من توجا جيراوى الى تونجيراوى التى تعنى جـمع كلمة تنجـور(٤١) ٠

ويرد صاحب هـذا الراى على من قالوا بان التنجور من بنى هلال قائلا ان الغزوة الهلالية لشـمال افريقيا كتب عنها ابن خلدون ، وان بنى هلال كانوا مثالا سيئا ومدمرين ومخربين لدرجة ان قبائل بربرية كثيرة هجرت بلادها الى مناطق داخلية فى الصحراء الكبرى ٠ وليس هناك - والكلام ما زال له - فى التاريخ ما يشـير الى ان بنى هلال اقاموا دولة صغيرة واحدة ، وانها استمرت حتى ولو لفترة قصيرة من الزمان(٤٢) ٠

كما انه ليس من المحتمل ان يهاجر قسـم صغير من بنى هلال ويقيم حكومة منظمة بشكل جيد فى دارفور ، كما انه من غير المتوقع أيضـا وبنفس الدرجة ان تتمكن هـذه الجماعة الهلالية من أن تتخذ طريقها عبر الكثر من الف وثلاثمائة ميل عبر اقاليم صحراوية يسكنها البربر الذين كانوا متاثرين بالمعاملة القاسـية التى عاملهم بها العرب من الهلالية(٤٣) ٠

ويعلق صاحب هـذا الراى على ذلك قائلا أن العرف عند التنجور متفق على انهم اتوا من الشـمال ، من تونس ، وليس من الشرق ٠ وحتى لا يجعل القادمين من تونس من الهلالية يقول انه يبدو أن قليلا من بنى هلال كانوا موجودين فعلا بين الشـوا العرب السـاكنين فى بحيرة تشـاد ،

(40) Ibid : S. N. R., IV, p. 272.

(41) Ibid : S . N. R. 11, p. 213.

(42) Ibid : S . N. R, 11, p. 215.

(43) Ibid : S. N . R. 11, p. 215.

ولكنهم فى نظرة أتوا من الشرق من وادى النيل وأن رفاقهم من (سليم) يتمثلون فى البقارة(٤٤) .

ويستدل على رأيه أيضا بأن المؤسسات والنظم التى أقامها التنجور فى دارفور تحمل طابع البربر الوثنيين ، ولما دخل الاسلام بلاط التنجور اراد رجال النسبة ان يثبتوا الأصل العربى للأسرة الحاكمة ، فبحثوا عن اسم شائع الاستعمال وعلى صلة بالأسرة الحاكمة وفى نفس الوقت على صلة باسم قبيلة عربية مشهورة . ولما كان التنجور - حسب افتراضه - من نبلاء البربر من قوم يسمون ايلالا Ilala فان رجال النسبة حملوا هذا الاسم على انه بنى هلال(٤٥) .

ويقول انه من الطبيعى أن التوماجيرا الذين عرفوا باسم التنجور فى دارفور والاتون من الشمال (تبستى) ، حيث وصلتهم الأساطير الشائعة عن البطل الهلالى أبو زيد ومغامراته فى اقليم تونس الخضراء ، من الطبيعى انهم يخترعون قصة الأجداد الذين أتوا من تونس الى دارفور مدعين نسبتهم الى بنى هلال مستغلين هذه الأساطير(٤٦) التى وصلتهم عبر طريق الحج الذى يجرى من بحيرة تشاد - حيث كان الناس هناك مسلمين - عبر واداى والفاشر ، مما سهل على التنجور أن يدعوا النسبة الى بنى هلال التونسيين(٤٧) .

وهذا يتناقض مع كونهم وثنيين عندما قدموا الى دارفور حسب قوله ، ولكن انتشار الاسلام ووجود الهيبة والنفوذ الأدبى للاسلام الذى تبع ذلك فى هذه المناطق ذات السلف العربى ، يعتبر - فى نظره - سببا كافيا فى تبنى التنجور لقصة انتسابهم الى بنى هلال ، والتى وجدت قبولا فى بلاطهم(٤٨) .

---

(44) Ibid : S. N. R. 11, p. 215.
(45) Ibid : S . N. R. 11, p. 215.
(46) Ibid : S . N. R. 11, p. 215.
(47) Ibid : S . N. R. 11, p. 216.
(48) Ibid : S . N. R. 11, pp. 216-217.

ويدلل على رأيه أيضا بأن اللغـة العربية ليس فيها كلمة ، تحتوى على الحروف الأربعة T,M,G,R ، ولكن اسم المفعول (معقور) والتى تنطق مجور Magur فى السودان يمكن أن تكون - فى رأيه - هى التى أمدت النسابين بهذه القصـة(٤٩) التى يفندها ويرفضها تماما ، وهو هنا يشـير الى ما يقوله التنجور من أنهم ينتسبون الى احمد المعقور الهلالى الذى قاد قومه من بنى هلال من تونس وهاجر الى دارفور(٥٠) ٠

ويحاول أركل أن يجد لفظا بربريا يمكن ان تشتق منة كلمة هلالى ، أى من بنى هلال ، ويستدل على ذلك بالأغانى الشـعبية الموروثة عند شعب البولالا الذى كان يعيش فى شرقى بلاد الكانم ، والتى تسرب منهـا هـذا اللفظ الى غرب السودان(٥١) ، ويرد على ما قالة بارت وكاردو من أن التنجور من دنقلة ، أو أنهم عاشوا يوما ما على ضفاف النيل على اعتبار ان هـذه الصلة التى ايدها أيضا ماكمايكل هى صلة قديمة كانت قائمة بين دارفور والنوبة وتعود الى الف عام ، وكانت موجودة فى القرن الرابع للميلاد(٥٢) ٠

ويتبنى أستاذنا الدكتور حسن محمود هـذا الرأى الذى نادى به آركل ويقول ان التنجور أو الطنجور كما سـماهم شعب من البربر الذين هاجروا من الشـمال الى دارفور فى القرن الثانى عشر أو الثالث عشر ، أى على اثر الغارات الهلالية على تونس ، ثم اختلطوا بالداجو السابقين لهم فى حكم دارفور ، وكان من نتيجة هـذه المصاهرة احمد المعقور(٥٣) ٠

والرد على هذه الأدلة التى جمعها آركل ليثبت أن التنجور ليسوا من عرب بنى هلال ، يمكن أن نوجزه فى النقاط الآتيـة :

---

(49) Ibid : S. N. R. 11, p. 216.

(٥٠) ارنولد : نفس المرجع ، ص ٣٥٩ ، دائرة المعارف الاسلامية ، جـ ٩ ص ٨٤

(51) Arkell : op . cit, S. N. R. 11, p. 216,

(52) Ibid : S. N. R. 11, p. 216.

(٥٣) الاسلام والثقافة العربية فى افريقية ، ص ٣٢٤ - ٣٢٥

١ – قوله ان الهلاليين كانو مخربين مدمرين ، هو قول أطلقه ابن خلدون الذى آلمه ما حدث لوطنه تونس على يد الهلاليين الذين اريد منهم أن يقوموا بما قاموا به تأديبا لبنى زيرى الصنهاجيين الذين كانوا قد تمردوا على حكم الخلافة الفاطمية فى مصر ٠ وكان هذا التخريب فى بداية الصدام الذى حدث بين الهلاليين والزيريين ، ولم يلبث ان استقر بنو هلال فى تونس وما يحيط بها من بلدان وانتشروا بين البربر وقاموا بأهم عملية حضارية فى تاريخ هذه البلاد ، وهى تعريب البربر بأكثر مما قام به غيرهم من العرب عبر تاريخ تونس والجزائر وسائر دول شمال المغرب العربى ، حتى يصعب علينا اليوم أن نميز القبائل العربية من القبائل البربرية(٥٤) ٠

وانتشار الهلالية فى هذه البلدان على هذا النحو كان فى الواقع ناتجا عن الضغط الذى لاقاه الهلاليون على يد الدول التى قامت فى شمال افريقيا على انقاض دولة بنى زيرى من مرابطين وموحدين ثم حفصيين وزيانيين ومرينيين(٥٥) ، بسبب أن بنى هلال كانوا من العناصر المشاغبة ، وكثيرا ما كانوا يتدخلون بين الحكام فيساعدون واحد ضد الآخر ، بخلاف الحروب التى نشبت بين الدول المشار اليها وتدخل عرب بنى هلال وغيرهم فيها ، مما ادى الى مطاردة بنى هلال وغيرهم من الأعراب الذين كانوا يتبعون نفس هذه السياسة(٥٦) ٠ ولذلك رحل الهلالية الى البوداى والصحراوات وتبدوا وسموا بالعرب المستعجمة ، وأصبحوا خطرا على التجار الذين كانوا يمرون بهذه النواحى(٥٧) ٠

---

(٥٤) دائرة المعارف الاسلامية ، جـ ١٠ ص ٢٣١

(٥٥) المرجع السابق ونفس الصفحة ٠

(٥٦) الحسن الوزان : نفس المصدر ، جـ ١ ص ٤٦ – ٤٨ ، دائرة المعارف الاسلامية مادة تونس ، جـ ١٠ ص ١٩٧ – ١٩٩ ، ٢٣١ ، جـ ١١ ص ٣١٦ – ٣١٧ ، مادة الجزائر ٠

(٥٧) الحسن الوزان : نفس المصدر ، جـ ١ ص ٤٧ – ٤٩

وهكذا لم يتمكن الهلاليون من اقامة دولة لهم فى أى بقعة من شمال افريقيا للأسباب التى أشرنا اليها ، ولسبب آخر وهم أنهم مهما كان عددهم فانه لا يقاس بعدد قبائل البربر التى سكنت شمال افريقيا من بربر البرانس أو البتر ، ولذلك فانهم سكنوا البوادى والصحراء حتى لم يعد أحد يسمع عنهم شيئا (٥٨) . وطبيعى أن البوادى التى سكنوها كانت تقع فى طرق التجارة التى كانت تمر بين الشرق الى الغرب ، ومن الشمال الى الجنوب ، مما أدى الى شغبهم على هؤلاء التجار ومطالبتهم بالأموال للسماح لهم بالذهاب كما أشار الى ذلك الحسن الوزان (٥٩) .

وليس ببعيد أن يسلك بعض الهلالية هذه الطرق التجارية المتجهة من تونس وطرابلس جنوبا الى بحيرة تشاد ودارفور فرارا من ضغط الدول الحاكمة فى شمال آفريقيا ، وتخلصا من حياة البادية القاسية . ولم يكن الطريق الواصل بين هذه البادية وبين تشاد ودارفور من الطول بحيث يتعذر على الهلاليين سلوكه ، فقد سلكه التجار من قبلهم ومن بعدهم ، وليس غريبا أن يذهب الهلالية مع بعض قوافل التجار كحراس لها الى تشاد والى دارفور ، وقد سبقت الاشارة الى وجود طريق يربط طرابلس وتونس بتشاد ودارفور (٦٠) .

ولذلك كان من الطبيعى وجود بعض بنى هلال بين العرب الذين كانوا يعيشون فى بلاد الكانم (تشاد) فى تلك العصور ، كما اعترف آركل نفسه فى كلامه الذى سبقت الاشارة اليه ، وان كان قد جعل مجىء هؤلاء الهلالية من الشرق أى من وادى النيل وليس من الشمال ، وذلك حتى يثبت صحة نظريته التى تقول بأن التنجور جاءوا من الشمال من عناصر التيبو ، وليسوا من الهلالية .

وقد سبقت الاشارة الى وجود بعض بنى هلال فى الواحات المصرية

---

(٥٨) المصدر السابق ، جـ ١ ص ٤٨

(٥٩) المصدر السابق ، جـ ١ ص ٤٨

(٦٠) انظر ، ص ١٠٨ - ١٠٩

فى عصر ابن حوقل(٦١) ، أى قبل هجرة الهلالية المشهورة الى مصر فى عصر الفاطميين . ومعنى ذلك أن بنى هلال هاجروا الى مصر على شكل موجات ، قد تكون أعتاها هى الموجة الأخيرة التى وصلت اليها فى عهد الفاطميين ، ولكن من المؤكد أن بعضهم كان موجودا فى مصر قبل ذلك بدليل ما أشار اليه حوقل فى هذا الصدد(٦٢) .

كما سبق القول أيضا أن بعض الهلالية كانوا مصاحبين لحملات المماليك على دنقلة وبلاد النوبة ، وبالذات حملة السلطان قلاون فى عام ٦٨٦ هـ / ١٢٨٧ م ، وأن كثيرا منهم ومن غيرهم من العرب المصاحبين لهذه الحملة كانوا يفضلون البقاء فى هذه البلاد بدلا من العودة الى مصر حتى يتخلصوا من ضغط المماليك واضطهادهم لهم .

اذن كان لبنى هلال وجود فى الواحات المصرية وفى صعيد مصر ، وكان لهم وجود فى بلاد النوبة حتى قبل أن تسقط فيها المملكة المسيحية وتتحول الى ديار اسلامية فى عام ٧٢٣ هـ / ١٣٢٣ م ، هذا بالاضافة الى وجودهم فى شمال افريقيا وخاصة فى تونس .

وعلى ذلك فان الهلاليين اما أنهم أتوا الى دارفور من تونس ، أو أنهم أتوا اليها من الشرق أى من وادى النيل ، سواء من الواحات المصرية عبر درب الأربعين ، أم من بلاد النوبة عبر وادى الملك الى شمال كردفان ومنها الى دارفور ، أو أنهم أتوا الى دارفور من كلا الجهتين معا .

واذا كان بعض المؤرخين قد قالوا بمجيئهم من تونس ، فان البعض الآخر مثل ماكمايكل قال بقدومهم من الشرق من بلاد النوبة ولكنه لم ينف صلة التنجور ببنى هلال كما فعل آركل ، فقد أشار فى كتابه الى احدى

---

(٦١) انظر ، ص ١٧٤ ، ابن خلدون ، ج ٥ ص ٤٠٠ — ٤٠١

(٦٢) انظر ، ص ١٧٣ — ١٧٥

الوثائق التى تقول بأن التنجور الذين حكموا دارفور من هلالة ، أى من بنى هلال ، وأن البيت الملكى للفور هم ايضا من بنى هلال ، وأن الفور أنفسهم نوبة أى نوبيين(٦٣) ٠

٢ - أما كون التنجور حين هاجروا الى دارفور كانوا وثنيين مما يعتبر دليلا على أنهم كانوا من التيبو الذين يعيشون فى هضبة تيبستى ، فليس دليلا على نفي صلة التنجور ببنى هلال المسلمين ، أولا ، لأن التيبو أنفسهم كانوا قد انتشر بينهم الاسلام بعد ان أحاط بهم من الشمال والجنوب ٠ ففى الشمال حيث ليبيا وتونس كانت الديار ديار اسلام ، وفى الجنوب كانت بلاد الكانم ايضا ديار اسلام منذ القرن الحادى عشر للميلاد على الأقل(٦٤) ٠ وكان لبلاد الكانم سيطرتها على المناطق التى تقع فى شمالها حتى جنوب ليبيا ، وفى هذه المناطق تقع بلاد التيبو وغيرهما مي قبائل البربر الأخرى(٦٥) ٠

ولماذا يكون التيبو او هؤلاء البربر الذين هاجروا الى دارفور هم الوثنيون الوحيدون على فرض صحة القول بهذه الهجرة وعلى فرض أن التنجور من هؤلاء البربر ، فى حين ان غيرهم من البربر الذين أقاموا بيوتا حاكمة فى الكانم وغيرها من دول السودان كانوا مسلمين ؟

وما كتبه أستاذنا الدكتور حسن محمود ربما يكون فيه الاجابة عن هذا التساؤل ٠ فقد ذكر بعد أن افترض أن التنجور من البربر وليسوا من العرب ، أن الاسلام دخل معهم الى دارفور كما دخل الى غرب افريقيا مع البربر الذين وفدوا اليها ، غير أن هذا التيار الاسلامى لم يترك أثرا يذكر فى حياة الناس فى دارفور لأن هذه الهجرة لم تكن كبيرة العدد ، ففنيت بمضى الزمن فى العناصر الأصلية ، ونتج عن هذا الاختلاط أو هذا

(63) Mac Michael : Ahistory of the Arabs in the Sudan, Vol 2, p . 195.

(٦٤) انظر ، ص ٧٦

(٦٥) انظر ، ص ٧٨ - ٧٩

الفناء أو هذا الذوبان عنصر جديد جامع بين دماء البربر ودماء الداجو وهو شعب الفور(٦٦) .

كما أن آركل نفســـه ذكر ما يفيد باسلام التنجور فى دارفور . فقد قال بأن الكانم ـ وكانت دولة اســلامية ـ كان لها نفوذها على شــمالى دارفور فى القرن الثالث عشر للميلاد ، وأن هناك آثارا كثيرة لتاثيرات الكانم والبورنو على ثقافة دارفور التى كان يحكمها التنجور فى تلك الفترة(٦٧) ، كما ان الزغاوة الذين كانوا يسكنون شـمالى دارفور وفى بلاد الكانم أيضا كانوا مسلمين(٦٨) .

فاذا لم يكن التنجور قد هاجروا وهم على دين الاســلام كما قال آركل ، فلابد أنهم تأثروا بالنفوذ الكانمى وبالزغاوة المجاورين لهم فاعتنقوا الاسلام . ويعترف آركل نفســه بهذه الحقيقة وأن كان يقول أن حكام أورى الأواخر أي التنجور الذين اتخذوا هــذه المدينة عاصمة لهم كانوا مسلمين اسميا(٦٩) ، وانهم اســتخدموا العرب فى البلاط(٧٠) ، وأن الاسلام كان دين البلاط فقط فى دارفور(٧١) ، وانه كان يوجد مسجد فى أورى عاصمة الدولة(٧٢) .. وكلها اشــارات أوردها آركل نفســه وتدل على الأقل على أن التنجور لم يكونوا كلهم وثنيين ، والحقيقة ان التنجور كان يمثلون الطبقة الحاكمة ، وكانوا مسلمين وافدين الى هــذه البلاد التى حكموها(٧٣) والتى كان غالبية أهلها من غير التنجور هم

(٦٦) الاسلام والثقافة العربية فى افريقية ، ص ٣٢٥

(67) Arkell : The history of Darfur, S. N. R., IV , pp. 270—271.

(68) Ibid : S. N. R., IV, p. 270.

(69) Ibid : S. N. R., IV, p. 272 & Triming ham : op. cit, p 22,

(70) Arkell , op. cit, S. N. R., IV, p. 274

(71) Ibid : S. N. R, 11, p. 213.

(72) Ibid : S.N.R. IV , pp. 249, 273,

(٧٣) أحمد شلبي : موسوعة التاريخ الاسلامى والحضارة الاسلامية ، ج ٦ ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، الطبعة الثانية سنة ١٩٧٥ ، ص ٣٠٣

الوثنيون ، مما يدل على أن التنجور قوم من العرب ، أو على الأقل يدل على وجود صلة بين التنجور وبين العرب أيا كان هؤلاء العرب ، سواء من بنى هلال أم من غيرهم ٠

٣ — اما تلك الصلة وذلك التفسير الذى حاول آركل أن يربط به بين هلال وايلالا التى تعنى فى رأيه نبلاء البربر ، فليس من الأدلة التى تقف لقطع صلة التنجور ببنى هلال ، أولا ، لأن التبادل اللغوى ظاهرة مألوفة فى الميدان الثقافى والناس يتبادلون الألفاظ والافكار دون أن يتصلوا اتصالا بشريا(٧٤) ٠ فليس لأن لفظ (هلال) قريب من لفظ (ايلالا) يكون ذلك دليلا على أن الأول مشتق من الثانى ٠ وثانيا ، لأن تشابه الألفاظ او الأسماء لا يمكن أن يكون أيضا دليلا على نفى الصلة بين هلال وايلالا أو اثباتها ، فهو مجرد تشابه فى الأسماء ، والا كان البولالا الذين تمكنوا من القضاء على حكم البيت الحاكم فى الكانم واجبار آخر ملوك هذا البيت الى اللجوء الى البرنو فى الناحية الغربية من بحيرة تشاد ، من باب أولى أن يدعوا النسبة الى بنى هلال ، اعتمادا على التشابه اللفظى بين البولالا وبين هلالة أو بنى هلال ٠ ولكن ذلك لم يحدث لأن البولالا وحسب قوائم النسبة التى أوردها ماكمايكل ينتسبون الى بلال من قبيلة الأزد المعروفة التى كانت تعيش فى جنوب شبه الجزيرة العربية(٣٥) ، ولم يكن لهم أدنى علاقة ببنى هلال ، تماما كما هو الحال بين ايلالا وهلال ٠

كما أن عدم وجود لفظ فى اللغة العربية يحتوى على الحروف الأربعة T, M, G, R نفاه آركل بنفسه عندما ذكر أن الحل يمكن قد وأتى مؤلفى النسبة من كلمة « المعقور » التى يكتبها اهل السودان Magur ويقصد بذلك احد المعقور الذى يقول التنجور انه جدهم او زعيمهم الذى

---

(٧٤) حسن محمود : نفس المرجع ، ص ٣١٥

(75) Mac Michael : A history of the Arabs in the Sudan Vol 2, p . 185.

ينتسبون اليه(٧٦) • فكلمة معقور يمكن ان تكون قد صحفت الى كلمة Magur ثم أبدل حرف الميم نونا ، واضيف فى اولها حرف التاء فصارت تنجور

وعلى ذلك فاما أن التنجور من أهل البلاد الأصليين وليسوا وافدين من خارج دارفور ، مثلهم فى ذلك مثل غيرهم من شعوب السودان فى بلاد علوة وفى بلاد النوبة ، أو انهم كانوا فعلا من العرب وهو ما نرجحه •

يؤيد ذلك ما ذكره بعض الباحثين من أن التنجور هم من العرب الذين حملوا الاسلام الى دارفور قادمين من تونس الى الجنوب واخترقوا بورنو ووادای حتى وصلوا الى دارفور وكان أول سلاطينهم فيها هو أحمد المعقور(٧٧) • ويفسر باحثون آخرون لفظ التنجور تفسيرا طريفا يدل على أصلهم العربى ، اذ يقولون أن لفظ التنجور أو التنجر كما ورد عند بعض المؤرخين(٧٨) لعله مشتق من لفظ (تجار) ، اشارة الى التجار العرب الذين وفدوا على اقليم دارفور واختلطت دماؤهم بدماء غير العرب فيه ، مستندين فى ذلك على ما ذكره نختيجال من أن التاجو أو الداجو الذين حكموا دارفور قبل التنجور سلموا سلطانهم وحكمهم بلا قتال لهؤلاء التجار من العرب النازحين ، وكان أول سلاطينهم هو أحمد المعقور(٧٩) الذى هاجر مع قومه من شمال آفريقيا الى هذا الاقليم ولا يزال لسانهم عربيا(٨٠) •

يؤيد هذا القول ان هناك قبائل عربية لازالت تعيش فى كل من

---

(٧٦) أحمد شلبى : نفس المرجع ، ج ٦ ص ١٤١ ، ١٤٢

(٧٧) توماس ارنولد : نفس المرجع ، ص ٣٥٩ ، الموسوعة العربية الميسرة ، ج ١ ص ٧٧٣ مادة دارفور •

(٧٨) نعوم شقير : نفس المرجع ، ج ١ ص ٤٨

(٧٩) دائرة المعارف الاسلامية ، ج ٩ ص ٨٤ مادة دارفور •

(٨٠) المرجع السابق ، ج ٩ ص ٨٤

دارفور وتونس وتحمل نفس الاسم ، مثل المحاميد وبنى هلال والحمارنة الذين يسمون الحمر في دارفور(٨١) . ويؤيده أيضا أن ابن حوقل ذكر قبائل من البربر الموجودة فى زمانه والتى كانت تعيش فى المناطق التى يظن هجرتهم منها الى تشاد والى دارفور فلم يكن من بينها التنجور(٨٢) . وكذلك لم نعثر على اسم التنجور فى المصادر التاريخية التى اعتنت بذكر أنساب البربر كابن حزم وابن خلدون وغيرهما .

وكيفما كان الطريق الذى سلكه التنجور الى اقليم دارفور ، أو درجة الصحة فى انتمائهم الى العرب أو النوبيين أو النيبو ، فالمعروف أن أولئك التنجور لم يكن لهم فى المائتى سنة الأخيرة من حكم دولتهم لغة سوى اللغة العربية ، ومهما قيل فى شن اللغة التى كانوا يتحدثون بها من قبل على فرض أنهم ليسوا من العرب ، فان هذا لا ينفى - على الأقل - صلتهم بالعناصر العربية التى كانت فيما يبدو تمثل طبقة حاكمة تعتمد على قاعدة من العناصر الغير عربية والتى يمكن أن تكون من النوبة أو البديات أو التيبو أو السودانيين الدارفوريين . يدل على ذلك أن الاسلام امتد الى دارفور على عهد التنجور حيث عثر على بقايا آثار المساجد والقصور المبنية بالطوب الأحمر والتى ترجع الى عصرهم ، وخاصة فى مدينة عين فرح ، ومدينة أورى العاصمة(٨٣) .

---

(٨١) المرجع السابق ، ج ١٠ ، ص ٢٣٢

(٨٢) كتاب صورة الأرض ، ص ١٠١ - ١٠٣

(٨٣) مصطفى مسعد : سلطنة دارفور ، ص ٢٢٦ ،

Arkell : Ahistory of the Sudan, pp. 211 - 212 & The history of Darfur, S. N. R., IV, pp . 257 - 260

ويلاحظ أن آركل يحاول ان يشكك فى نسبة هذه المساجد الى سلاطين التنجور ويرجعها الى نشاط ملوك الكانم والبرتو فى دارفور . انظر

Arkell : The history of Darfur, S..N,R. IV, pp. 247 - 260

وعلى الرغم من أن الاسلام أخذ يشق طريقه الى هذه البلاد منذ حوالى القرن الثالث عشر للميلاد على الأقل حيث أخذت تنهال عليها الهجرات العربية من الشمال والشرق والشمال الغربى ، فان الاسلام لم يصبح الدين الرسمى فيها الا حين انتقل الحكم الى أسرة كيرا الفورية على يد سليمان سولون . وهذا يقودنا الى البحث عن أصل الشعب الثالث الذى حكم دارفور بعد الداجو والتنجور ، وهو شعب الفور الذى تنتمى اليه هذه الأسرة وزعيمها سليمان سولون .

ومن البداية تشير بعض الروايات التاريخية الى أن اسم هذا الزعيم يدل على أنه من العرب ، ذلك ان لقب سولونج الذى يخفف الى سولون والذى عرف به سليمان معناه فى لغة الفور « العربى » أو من يتكلم العربية ، أو من يدين بالاسلام دين العرب ، وفى هذا دليل على اتصال سليمان بالنسب العربى (٨٤) .

وهناك من الروايات ما يؤكد هذا القول . فبعضها تقول بأنه وفد الى دارفور قبل القرن السابع عشر للميلاد جماعة من عرب بنى هلال بقيادة احمد المعقور من نسل ابى زيد الهلالى وصاهروا الكنجارة ، وهى احدى الجماعات الثلاث التى انقسم اليها أعجام الفور من سكان جبل مرة الأصليين والتى كانت تمتاز على غيرها من الفور بوجود الدماء العربية فى عروقها . ونتيجة لهذه المصاهرة نشأ فى الكنجارة أسرة تسمى أسرة كيرا استطاعت بقيادة زعيمها سليمان سولونج أن تؤسس سلطنة دارفور الاسلامية (٨٥) .

وهناك رواية ثانية تقول أن سليمان سولونج نفسه عربى من

---

(٨٤) مصطفى مسعد : نفس المرجع ، ص ٢٢٦ — ٢٢٧ ،
Arkell : The history of Darfur , S. N. R., IV, p .268

(٨٥) التونسى : نفس المصدر ، ص ١٤٤ ، مصطفى مسعد : نفس المرجع ، ص ٢٢٧ ، Arkell : op . cit, S. N. R., IV, p 267

قبيلة بنى هلال وتزوج أميرة من الفور(٨٦) ، فانتقل الحكم اليه والى ذريته من بعده عن طريق هذه المصاهرة ، حيث أن العرف فى هذه البلاد يقضى بتوريث ابن البنت(٨٧) ، ورواية ثالثة تقول أن سليمان سولونج هو ابن أحمد المعقور من بنى هلال أو من سلالته ، ويعرض السيرتوماس أرنولد تفاصيل للرواية الأخيرة فيقول أن هجرة حدثت وقادها أحمد المعقور من تونس الى دارفور عبر بلاد الكانم والبرنو ، ولقى احمد هذا حفاوة عظيمة من ملك دارفور الوثنى الذى تعلق به فجعله مشرفا على شئون بيته واستشاره فى كل أموره نظرا لرجاحة عقله وحسن تدبيره(٨٩) .

ولما كانت خبرة احمد باساليب الحكم أكثر رقيا من تلك التى كانت فى دارفور ، فقد تمكن من ان يدخل اصلاحات عديدة فى البلاط وفى حكومة البلاد وفى شئون الملك الاقتصادية ، واتبع سياسة حكيمة فى معاملته للزعماء المتمردين فخضعوا له ، كما أحبه فقراء البلاد بعد أن قسم عليهم الأراضى ليضع حدا للمتاعب والقلاقل الداخلية ونتج عن ذلك أن احس الناس فى دارفور بشعور من الطمأنينة والرضا والهدوء لم يألفوه من قبل ، فأحبه الناس وأحبه الملك(٩٠) .

ولما لم يكن لهذا الملك وريث من الذكور ، فقد زوج ابنته من أحمد وعينه خليفة له . وقد ايد الناس هذا الاختيار واستحسنوه مما أدى الى انتقال الحكم الى أحمد والى ذريته من بعده ، وتحولت البلاد

---

(٨٦) مصطفى مسعد : نفس المرجع ، ص ٢٢٧

(٨٧) ابن خلدون : نفس المصدر ، ج ٥ ص ٤٢٩ ،

Mac Michael : The Coming of the Arabs, p . 32

(٨٨) مصطفى مسعد : نفس المرجع ، ص ٢٢٧

(٨٩) توماس ارنولد : نفس المرجع ، ص ٣٥٩

(٩٠) المرجع السابق ، ص ٣٥٩

الى دولة اسلامية ، واقترنت اسباب الحضارة التى احدثها هذا الزعيم وذريته من بعده من غير شك ببعض نشاط فى نشر تعاليم الدعوة الى الاسلام ، ولكن يظهر ان هؤلاء العرب المهاجرين لم يبذلوا الا جهدا يسيرا جدا فى سبيل نشر دينهم بين اخوانهم الوثنيين ، ذلك انه من المؤكد ان دارفور لم تدخل فى الاسلام الا بجهود احد ملوكها ويدعى سليمان الذى بدأ حكمه – حسب رأى ارنولد – سنة ١٥٩٦م(٩١) ، والذى يجعله نعوم شقير ابنا لأحمد المعقور ، ويجعل بداية حكمه فى عام ٨٤٨هـ / ١٤٤٥م حسبما ورد فى روايات اهل السودان انفسهم(٩٢) .

ومن الملاحظ ان هذه الرواية تفيد بان الفور ينتسبون الى بنى هلال والى احمد المعقور الهلالى بالذات ، كما انتسب اليه التنجور من قبل(٩٣) ، ولا يعنى ذلك ان هناك اضطرابا فى هذه الروايات اذا ما علمنا ان اسرة كيرا تحمل دماء تنجرية لأنها وكما تقول نازلة من نفس اجداد التنجور(٩٤) ، اى انها نازلة من التنجور القدامى(٩٥) ، وان كورو والد سليمان الثانى كان سليلا للحكام التنجوريين الذين فقدوا سلطانهم على اورى عاصمة الاقليم حوالى عام ٩٤٢هـ /١٥٣٥م(٩٦) نتيجة لاغتصاب اسرة كيرا للحكم من التنجور ، اذ انه بعد ذلك وفى العصور التالية كان سلطان التنجور الذين يقيمون فى جبل حريز على بعد مسيرة يومين الى الشرق من جبل مرة يلبس اللثام الأسود او العمامة السوداء حزنا وحدادا على فقدان السيادة من اسرته التى اغتصبتها

---

(٩١) المرجع السابق ، ص ٣٥٩

(٩٢) تاريخ السودان القديم والحديث وجغرافيته ، جـ٢ ص ١١١ ، ١١٢

(٩٣) احمد شلبى : نفس المرجع ، جـ٦ ص ١٤١ ، ١٤٢

(94) Arkell : Ahistory of the Sudan, p. 213.

(95) Arkell : The history of Darfur , S. N. R., IV, p. 275

(96) Ibid : S. N. R., IV, p. 267

اسرة كيرا الفوراوية(٩٧) ، وذلك خلافا لسلطان دارفور الذى يتعمم ويتلثم بلثام ابيض وعمامة بيضاء(٩٨) .

وعلى ذلك يمكن القول بأن الفور ينتمون اصلا الى التنجور ، او انهم كانوا ثمرة اختلاط التنجور بشعب الداجو(٩٩) السابق على التنجور فى حكم دارفور ، وان الفريقين ، اى الفور والتنجور ينتسبان الى احمد المعقور والى بنى هلال كما هو الملاحظ من الروايات السابقة .

فليس من الخطأ اذن أن الأصل وهم التنجور والفرع وهم الفور يمكنهم أن ينتسبوا الى القبيلة أو الشخص الذى تناسلوا منة او يرجعون نسبهم اليه ، خاصة وان هناك رواية رابعة تقول انه سبق حكم سليمان سولونج الربعة عشر سلطانا يحملون اسماء عربية(١٠٠) ، وان كان اركل يشكك فى صحته هذه الرواية(١٠١) .

ومما يدل على عروبة أو استعراب الفور أيضا معنى كلمة الفور نفسها ، فهى كلمة تعني (السود) مثل كلمة (السودان) ، اى الذين يحملون اللون الأسود . وهذا الاسم اى اسم الفور اعطاه سلاطين الفور الأوائل الذين يمتازون ببشرة فاتحة اللون لسكان الاقليم الزنجيو الأصل والذين كانوا يتصفون باللون الأسود مثل البنجا Binga والباندا Banda وغيرهما والذين تسمت البلاد باسمهم ، أو اخذت اسمها من صفتهم وهى السواد والتى كانت تعنى عندهم كلمة (الفور) ، حيث انهم كانوا أسبق الناس الى سكنى هذا الاقليم من طبقة الحكام أو السلاطين الذين فرضوا طاعتهم على هؤلاء الفور(١٠٢) .

---

(97) Ibid : S. N. R., IV, p. 267

(٩٨) التونسى : نفس المصدر ، ص ٢١٠

(٩٩) حسن محمود : نفس المرجع ، ص ٣٢٥

(١٠٠) مصطفى مسعد : نفس المرجع ، ص ٢٢٧

(101) Arkell : op cit, S. N. R., IV , p. 26

(١٠٢) عبد الله حسين : السودان من التاريخ القديم ، حـ٢ ص٤٦٣ ،
Arkell : Ahistory of the Sudan, p 214.

ولم يلبث الفور أن وافقوا هؤلاء السلاطين فى التحول الى الاسلام والخضوع لحكمهم والا هوجموا فاما ان يقتلوا او يستبعدوا ويباعوا بيع الرقيق . ولم يلبث السلاطين انفسهم أن تحول لونهم الى اللون الأسود ومالوا الى الزنوجة بالتدريج ، نتيجة للزواج المختلط من زوجات سوداوات ومحظيات زنجيات ، فاسودت بشرة السلاطين تدريجيا وأصبحوا معروفين عند أتباعهم السودان باسم « الفور »(١٠٣) .

فهؤلاء السلاطين كما هو مرجح من العرب من بنى هلال حسب الروايات السابقة ، أو من سلالة العباسيين الذين كان أولهم احمد المعقور وآخرهم السلطان على دينار الذى انتهى حكمه فى عام ١٩١٦م كما تقول روايات أخرى(١٠٤) ، أو على الأقل كان هؤلاء السلاطين من أصل سودانى ثم اختلطوا بالعرب واستعربوا واسس العرب معهم سلطنة دارفور الاسلامية التى دامت من عام ٨٤٨هـ / ١٤٤٥م الى عام ١٢٩١هـ/١٨٧٤م (١٠٥) ، وتحدث الجميع باللغة العربية ، وكانت لغتهم أنقى لغة(١٠٦) ، وكانت افصح مما يتكلم به غيرهم من الشعوب العربية الأخرى ، بل انهم كانوا يعتزلون بلسانهم العربى اعتزازا كبيرا(١٠٧) .

وهكذا انتشرت العروبة فى دارفور ، وأصبحت غالبية سكانها تتكلم العربية وتكتب أوراقها بالخط العربى ، وكان البيت المالك سواء فى عصر التنجور ام فى عصر الفور يرعى هذه الحركة بصفته فى الأغلب من أصل عربى ، يساعده فى ذلك القبائل العربية التى انتشرت فى طول

---

(103) Arkell : op. cit, p. 214.

(١٠٤) نعوم شقير : نفس المرجع ، جـ١ ص ٤٨ ، جـ٢ ص ١١١ ، عبد الله حسين : نفس المرجع ، جـ٢ ص ٢٦٣

(١٠٥) نعوم شقير : نفس المرجع ، جـ١ ، ص ٤٨

(١٠٦) عبد الله حسين : السودان القديم والجديد ، ص ٢٢٢

(١٠٧) بوركهارت : نفس المرجع ، ص ٢٧٤ ، ٢٧٥

البلاد وعرضها ، واختلطت بقبائل دارفور حتى استعربت هـذه القبائل ، ونتج عن ذلك فى النهاية شعب عربى لا يقل فى عروبته عن أى بلد عربى آخر ، سـواء فى السودان أم فى خارج السـودان ٠

ولم يكن ذلك كله الا بفضل هجرات هؤلاء العرب الذين تدفقوا على هـذا الاقليم منذ القرن الثانى عشر للميلاد على الأقل ، ونشروا فيـه العروبة والدم العربى ، كما نشروا الاسـلام أيضا ٠ ذلك ان انتشـار الاسـلام سـار جنبا الى جنب مع انتشـار لغـة القرآن (١٠٨) ٠

٢ ـ انتشـار الاسـلام فى دارفور

يعتبر انتشـار الاسـلام فى دارفور هو النتيجة الطبيعية الثانيـة لهجرة العرب الى هـذا الاقليم وللنشاط التجارى الذى مارسه أهلهـا من عرب وغير عرب مع الأقطار الاسـلامية المجاورة والذى سـبق ان تعرضنا له فى مكانه من هـذا الكتاب ٠ والحقيقة ان انتشـار الاسـلام فى دارفور لا يعود الى هذين العاملين وهى الهجرة والتجارة فقط ، وانما يعود الى عوامل أخرى أدت الى هـذه النتيجة ٠ ويمكن تلخيص هذه العوامل فى النقـاط الآتيـة :

١ ـ هجرة غير العرب من المسلمين الى دارفور واشتراكهم مع العرب فى تحويل هـذا الاقليم الى الاسـلام ٠

٢ ـ احاطة الاسـلام بدارفور من معظم نواحيها ٠

٣ ـ الحج والحجاج الذين كانوا يمرون بهـذا الاقليم وتاثيرهم فى تحويله الى الاسـلام ٠

٤ ـ طبيعة حيـاة العرب وطبيعة الاقليم وأثرهـا فى نشر الاسلام ٠

وهكذا تعددت العوامل التى أدت الى انتشـار الاسـلام فى دارفور

---

(١٠٨) مدثر عبد الرحيم : نفس المرجـع ، ص ١٤

وذلك قبل قيام سلطنة دارفور الاسلامية قبيل منتصف القرن الخامس عشر للميلاد بزمن طويل ، لأن هذه العوامل كانت تؤتى ثمارها منذ ان ان انتشر الاسلام فى بلدان غربى ووسط افريقيا المعروفة باسم بلاد السودان الغربى والأوسط منذ القرن العاشر والحادى عشر للميلاد ، ووفد من هذه البلاد حجاجها وتجارها وهجراتها الى دارفور منذ ذلك الحين ٠ وحتى نبين ذلك لابد من الحديث عن هذه العوامل فى شىء من التفصيل ٠

١ - هجرة غير العرب من المسلمين الى دارفور :

هاجر الى دارفور بجانب العرب قبائل او جماعات اخرى ليست عربية الأصل وكان لها أثرها فى نشر الاسلام فى هذا الاقليم ٠ من هذه الجماعات ، جماعات الزغاوة ، والفلان (الفلاتا) ، والتكارنة ٠

اما الزغاوة فهم خليط من الزنوج والتيبو والليبيين ، وكانوا يضمون أيضا بعض بنى تميم العرب ، وبعض الميمة وبعض التكرور(١٠٩) وقد جاء ذكر الزغاوة منذ وقت مبكر فى القرن الثالث للهجرة / التاسع للميلاد عند اليعقوبى اثناء حديثه عن الكانم(١١٠) ، كما وصفهم المهبلى فى القرن الرابع للهجرة / العاشر للميلاد كمملكة واسعة تمتد بين بحيرة تشاد وحدود النوبة ، وكأن مملكتهم كانت تشتمل اصلا على كل من كانم ودارفور ، اذ يقول انها مملكة عظيمة من ممالك السودان تشمل امما كثيرة وتحدها من الشرق مملكة النوبة وتمتد غربا مسيرة عشر ايام ، بطول خمس عشرة مرحلة فى مثلها فى عمارة متصلة (١١١) ٠

ويشير الادريس الذى عاش بعد ذلك فى القرن السادس للهجرة /

(109) Mac Michael : Ahistory of the Arabs, Vol, 2, p. 195

(١١٠) تاريخ اليعقوبى ، مطبعة العزى بالنجف ، العراق ، سنة ١٩٣٩م ، جـ ١ ، ص ١٥٦ ،

Arkell : Ahistory of the Sudan, p. 200.

(١١١) ياقوت : معجم البلدان ، جـ٤ ص ١٤٢

الثانى عشر للميلاد الى امتداد بلادهم فى الشمال حتى فزان الليبية ، وفى الجنوب الى حدود بلاد الكانم بحيث لم يكن بين انجيمى عاصمة بلاد الكانم وبين مدينة زغاوة الا مسافة مسيرة ستة أيام ، كما يشير الى كثرة كور واقاليم هذه المملكة الواسعة والى كثرة سكانها وكثرة ابلها التى كانت تحمل المتاجر وتنقلها بين مختلف البلدان التى تحيط بها (١١٢) .

وعلى ذلك فان الزغاوة انتشروا منذ القرن التاسع للميلاد على مساحة رحبة تمتد فى الجنوب من دارفور حتى بحيرة تشاد ، وتمتد فى الشمال حتى تصل الى المنطقة الممتدة بين الواحات المصرية والنوبة من ناحية الشرق ، وتنساح غربا الى الخط الذى يصل ما بين فزان فى الشمال وبحيرة تشاد فى الجنوب ، وكانوا يعيشون فى الجزء الجنوبى من هذه المنطقة الواسعة ، بينما كان يعيش اخوانهم من التاجو فى الجزء الشمالى الذى يمتد الى بلاد النوبة ، كما قال بذلك الادريسى الذى يسميهم التاجوين (١١٣) ، والذين كانوا يخضعون للزغاوة ولمن جاورهم من الشعوب الأخرى (١١٤) .

وبسبب موقع بلاد الزغاوة فى ملتقى الطرق التجارية التى تربط بين الشمال الافريقى وبلاد تشاد ودارفور ، وبسبب كثرة ابلهم التى كانت تحمل التجارة ، فقد تعرضوا للمؤثرات الثقافية الواردة مع التجار العرب وغير العرب ، وبمضى الزمن اخذ الزغاوة باللغة العربية كلغة للتخاطب والمعاملات اليومية ، كما دخلت فى بلادهم تقاليد وعادات غربية ، واعتنق القوم الاسلام بعد عصر لمهلبى مع احتفاظهم ببعض التقاليد الموروثة (١١٥) ، ولذلك فان ابن سعيد المغربى الذى عاش فى

---

(١١٢) نزهة المشتاق ، جا ص ٢٩ ، ٣٠ ، ١١٢

(١١٣) المصدر السابق ، ج ١ ص ٣٠

(١١٤) المصدر السابق ، ج ١ ص ١١٩

(١١٥) الشاطر بصيلى : تاريخ وحضارات السودان الشرقى والأوسط ، ص ٣٥٧

القرن السابع للهجرة / الثالث عشر للميلاد يصفهم بأنهم مسلمون(١١٦) ، وكذلك فان ابن خلدون الذى عاش فى القرن التالى يصفهم ايضا بنفس الصفة(١١٧) .

ويبدو أن كثيرا من الزغاوة اضطروا للنزوح والتركز جنوبا فى الجزء الشمالى من دارفور فى بداية القرن الثانى عشر للميلاد وهم الذين اشرنا اليهم عند حديثنا عن القبائل والجماعات التى سكنت دارفور قبل هجرة العرب اليها ، وكان نزوح الزغاوة الى دارفور نتيجة لتعرضهم لهجرة من الطوارق سواء كان هؤلاء الطوارق من التيبو والتدا ام من الملثمين . وقد تمكنت هذه الهجرة أن تفرض سلطانها على الزغاوة وان يمتد هذا السلطان جنوبا ليشمل بلاد الكانم حيث كونوا فيها طبقة ارستقراطية تولت الحكم واسست سلطنة كانم الاسلامية فى بداية ذلك القرن واطلقت على نفسها اسم الأسرة السيفية نسبة الى سيف بن ذى يزن الذى انتسبت اليه(١١٨) .

ولما رحل هؤلاء الزغاوة الى دارفور سكنوا فى الجزء الشمالى الغربى منها ، ورحل بعضهم الى كردفان وسكنوا اقليم كامجار(١١٩) ، وكونوا فى دارفور مملكة تسمى مملكة الزغاوة كان لها سلطانها الذى يحكمها ، وكانت تشتمل على خلق لا يحصون كثرة حسب تعبير التونسى(١٢٠) ، كما انها كانت من أعمر الممالك فى دارفور ، وكانت أصحها من الناحية الصحية ، ولذلك تجد الزغاوة فى غاية من القوة وسلامة

---

(١١٦) بسط الأرض فى الطول والعرض ، ص ٢٨ ، ٢٩

(١١٧) تاريخ ابن خلدون ، جـ٦ ص ١٩٩

(١١٨) حسن محمود : نفس المرجع ، ص ٢٣٤

(١١٩) التونسى : نفس المصدر ، ص ٥٤ هامش (٥) ، ص ١٤٤

(١٢٠) تشحيذ الأذهان ، ص ١٣٦

الأعضاء(١٢١) حتى كان يخشاهم سلاطين الفور ، نظرا لكثرتهم وشدة بأسهم(١٢٢) .

ونظرا لموقع بلادهم فى الجزء الشمالى من دارفور ، فانهم كانوا أول من يستقبلون التجار القادمين من مصر وغيرها من البلاد التى تقع شمال دارفور ، وكان قائدهم هو الذى يستقبل هؤلاء التجار على راس فرسانه (١١٣) . وبالنظر الى الخرائط يتبين أن بلاد الزغاوة كان يمر بها طريق درب الأربعين القادم من مصر ، كما كان يمر بها الطريق التجارى القادم من الشرق من وادى النيل الى بلاد الكانم والى غرب افريقيا(١٢٤) .

ولذلك فان الزغاوة كان لهم دور كبير فى استعمال المؤثرات الاسلامية القادمة عبر هذه الطرق ، كما أن امتداد بلادهم الى الشمال والغرب حتى تصل الى تشاد جعلهم على صلة ببلاد الكانم التى كانت قد تحولت الى الاسلام عند نهاية القرن الحادى عشر وأوائل الثانى عشر للميلاد ، وهذه الصلة بالاضافة الى وقوع الطرق التجارية عبر بلادهم جعلهم من أهم الجماعات التى كان لها دور فى نشر الاسلام فى دارفور .

وقد سبق القول ان المؤرخين والرحالة العرب القدامى كابن سعيد وغيره أشاروا الى أن هذه القبائل والجماعات كانت على الاسلام فى عصرهم الذي يعود الى القرن السابع للهجرة / الثالث عشر للميلاد . ومعنى ذلك أنهم كانوا من الدعاة الى الاسلام فى هذه البلاد .

اما الفلاين أو الفولانى الذين يسميهم أهل دارفور الفلاتة أو فلاتا وهم

---

(١٢١) المصدر السابق ، ص ٢٨١

(١٢٢) المصدر السابق ، ص ١٠٩ ، ١١٠

(١٢٣) المصدر السابق ، ص ٥٤

(١٢٤) انظر ، الخرائط الموجودة فى نهاية الكتاب .

أصح عند التونسى ، فهم من الحاميين الذين امتزجت دماؤهم بالدماء العربية وعاشوا أصلا فى شمال نيجيريا وغرب افريقيا ، وتعددت قبائلهم واعتنقوا الاسلام وتكلموا اللغة العربية بجانب لغاتهم الأصلية ، وكانوا من اكثر الناس دعوة لنشر الاسلام بجانب السوننك فى غرب افريقيا ، وهاجر بعضهم الى تشاد حيث اختلطوا بالعرب الموجودين بها ثم هاجروا الى دارفور(١٢٥) وسكنوا فى السهول الواقعة جنوبى جبل مرة حتى صارت مساكنهم تقرب من ديار المساليط من جهة الغرب ، وكان العرب من بنى هلبة والمسيرية الزرق يلونهم من جهة الشرق(١٢٦) ، وبلاد الكراكريت من الشمال والتموركة من الجنوب(١٢٧) .

وعلى ذلك فان بلادهم تقع فى الجزء الجنوبى من دارفور الذى يسمى دار أباديما(١٢٨) . أما بيرون فقد جعلهم حسب خريطته يعيشون فى غرب دارفور فى المناطق الواقعة جنوب دار المساليط وغرب جبل مرة الذى يفصل بينهم وبين بنى هلبة والمسيرية الزرق (١٢٩) . وهذا يجعلنا نميل الى القول بأن بلاد الفلان امتدت من الجنوب الى الغرب حتى اتصلت ببلاد باقرمى (باجرمى) التى كان فيها قوم من الفلان يسمون الفلبة(١٣٠) أو الفولة(١٣١) .

ونظرا لاتساع بلادهم على هذا النحو ، فقد كان الفلان فى

---

(١٢٥) التونسى : نفس المصدر ، ص ٦٣ هامش (٢) ، كولين ماكيفيدى : نفس المرجع ، ص ١٣٠ ، محمد بلو : انفاق الميسور ، ص ٢٠
(١٢٦) المصدر السابق ، ص ١٤٥
(١٢٧) انظر خريطة التونسى رقم (١) .
(١٢٨) التونسى : نفس المصدر ، ص ١٤٢ هامش (٢) .
(١٢٩) انظر ، خريطة بيرون ، رقم ٢
(١٣٠) التونسى : نفس المصدر ، ص ١٣٣ هامش (٤)
(١٣١) أحمد شلبى : نفس المرجع ، جـ٦ ص ٣٠٠

دارفور من القبائل الكثيرة العدد ، ومن قبائل البقارة الثرية التى لا تألف معيشة الحواضر والمدن كانوا يتبعون الكلأ أينما كان(١٣٢) ، وربما كان هذا هو السر فى امتداد بلادهم الى الغرب والى تشاد .

وطبيعى أن هذا التنقل والترحال وراء الكلأ والعشب يجعلهم من القبائل المفيدة فى نشر الاسلام فى دارفور ، فهم بطبيعة الحال وفدوا على هذا الاقليم وهم مسلمون ، ذلك أن انتشار الاسلام فى بلادهم الأصلية فى غرب افريقيا كان أسبق منه فى دارفور ، اذ ظهرت هناك ممالك اسلامية توالت وراء بعضها منذ القرن الحادى عشر للميلاد مثل مملكة التكرور وغانة ومالى وسنفى ، وعاش الفلان فى رحاب هذه الممالك الاسلامية ، ولما هاجروا الى دار فور حملوا معهم اسلامهم ونشروه بين الوثنيين فى هذا الاقليم ، وصارت لهم مكانة كبيرة عند السلاطين حتى استوزر أحدهم فقيها فولانيا يدعى مالك الفوتاوى ، نسبة الى فوتا فى غرب افريقيا . وقد تسبب هذا الفقيه فى علو شأن الفلان فى دارفور بعد أن دخلوا تحت أمره ، وصار يذب عنهم ويرفع من شأنهم فى مجلس السلطان حتى أعفوا من دفع ما كانوا يدفعونه للسلاطين من مال وصاروا من أقوى القبائل والجماعات وأغناها(١٣٣) ، حتى انهم أغاروا على قبيلة المساليط المجاورة لهم وقتلوا منهم خلقا كثيرا ونهبو منهم أموالا جزيلة من بقر وخيل ورقيق(١٣٤) ، واشتغل بعضهم بالسحر حتى صاروا أكثر من غيرهم شهرة فى هذه الناحية(١٣٥) ، وكان لهم تأثيرهم فى نشر الاسلام بين القبائل القريبة منهم والمتصلة بهم .

أما الجماعة الثالثة التى هاجرت الى دارفور وساهمت فى نشر

---

(١٣٢) التونسى : نفس المصدر ، ص ١٣٩

(١٣٣) المصدر السابق ، ص ١٢٥ - ١٢٦

(١٣٤) المصدر السابق ، ص ١٢٦

(١٣٥) المصدر السابق ، ص ٢٧٨ ، ٢٨١ ، ٣٢٥

الاســلام فيها هى جماعة التكرور • والتكرور شعب يسكن اصلا فوتا السنغالية وتنتشر منازلهم ايضـا فى انحاء من افريقيا الغربية على نهـر السنغال الأعلى ونهر النيجر وفوتا جالون ، ويعيشـون كذلك فيما بين نهر النيجر وبحيرة تشـاد وخاصـة فى سـكوتو(١٣٦) •

وكان التكرور أو التكارنة من اسـبق الشـعوب السودانية فى اعتناق الاســلام الذى كان قد تغلغل فى فوتا السـنغالية حوالى منتصف القرن الحادى عشر للميلاد عند بداية حركة المرابطين • وقد أخلص التكارنة للاسلام وقاموا على نشره حتى أصبح لفظ تكرور مرادفا لكلمة مسلم(١٣٧) ، مما أعلى من شأنهم حتى جرى العرف عند العرب على أطلاق اسم تكرور على جميع بلاد السودان التى دخلها الاسـلام والتى كانت تمتد من المحيط الأطلس الى حـدود وادى النيل ، واصبحت كلمة تكرورى فى نظرهم مرادفة لكلمة سودانى ، وتبعهم فى هـذا المؤرخون السودانيون الذين كتبوا بالعربية(١٣٨) واصبح السكان فى هـذه البلدان وحتى عصر التونسى اذا سـألت أيا منهم عن بلاده قال من التكرور ، سـواء كان من بورنو أم من باجرمى أو واداى أو غيرها(١٣٩) ، أو حتى من دار الزغاوة الذين يضمون فيما بينهم بعض التكرور(١٤٠) •

ولذلك صـار لفظ التكرور يدل على جميع المهاجرين من هـذه البلدان الى السـودان الشرقى حيث تفرقوا فى جهاته ولا سيما فى دارفور وكردفان وسـنار وكسـلا ، واتخذوا اللغة العربية لغة لهم ونسـوا لغتهم الأولى ، وتخلقوا بأخلاق العرب وعاداتهم(١٤١) ، وكانت لهم مساهماتهم

---

(١٣٦) دائرة المعارف الاسـلامية ، ج ١٠ ص ١١

(١٣٧) المرجع السـابق ، ج ١٠ ص ١٣ ، ١٤

(١٣٨) المرجع السـابق ، ج ١ ، ص ١٢

(١٣٩) التونسى : نفس المصـدر ، ص ١٣٥

(140) Mac Michael : A history of the Arabs in the Sudan, Vol 2, p. 195.

(١٤١) نعوم شـقير : نفس المرجـع ، ج١ ص٦٤

فى مجـال نشر الاسـلام بين الوثنيين فى دارفور ، بل وفى كل مكان نزلوا فيـه .

٢ - احاطة الاسلام بمعظم جهات دارفور :

معروف أن البلاد التى تحيط بدارفور هى بلاد النوبة من الشرق ، والصحراء المصرية والليبية وليبيا وتونس من الشمـال ، والممالك الكائنة فى حوض تشـاد من ناحية الغرب . وفى هـذه الأماكن والبلدان كان الاسـلام قد انتشر قبل أن ينتشر فى دارفور بعصور وقرون .

وقد سـبق القول أن بلاد النوبة بشقيها (مقرة وعلوة) والتى تقع فى شرق دارفور كان العرب قد هاجروا اليها زرافات ووحدانا منـذ أن وصل الاسـلام الى مصر . ونتج عن ذلك أن انتشر الاسـلام فى هـذه البلاد بالتدريج حتى اذا كان عام ١٣٢٣ م تحولت مملكة مقرة المسـيحية الى دولة اسـلامية ، وانتشر الاسـلام فى مملكة علوة المسـيحية حتى تحولت هى الأخرى الى مملكة اسـلامية فى بداية القرن السادس عشر للميلاد عندما انتقل الحكم الى أسرة الفونج ، فتسمت المملكة الاسلامية الوليدة بهذا الاسم وصارت تعرف باسم مملكة الفونج الاسلامية .

والملفت للنظر فى أمر هـذه المملكة أن البيت الحاكم فيها انحدر اليها اما من الشرق أو من الغرب ، وكلاهما له دلالة فيما نذهب اليه من تاثير الاسـلام فيها على دارفور . والرأى الذى يقول أن الفونج أتوا من الشرق هو رأى الأسـتاذ الشاطر بصيلى الذى يرى أن دولة اسـلامية قامت فى الجزء الغربى من أريتريا فى القرن الخامس عشر للميلاد وأنها ترجع فى أصولها الى البيت الذى كان يحكم اقليم الدجن منـذ القرن الثانى للهجرة / التاسع للميلاد على وجه التقريب ، وأن سلطان بيت الدجن وبيت فنج امتد الى عيذاب شـمالا فيما تحكيه المخطوطات المحلية وتشير اليه نقوش نقارة السـلطان عمارة دونقس وهو أول سلاطين مملكة الفونج الاسلامية والتى تقول أيضا بأن جدهم الكبير كان يعيش فى (مولا)

أو (لامول) التى تقع فى جنوب غرب ايتريا ، وتناسل منه ملوك حكموا هذه المنطقة حتى كان حكم السلطان عدلان والد السلطان عمارة دونقس(١٤٢) ، وان هذا السلطان وهو السلطان عمارة تولى الحكم حوالى عام ١٤٩٧ م ، وصار يتنقل بين الآونة والأخرى فى أرجاء مملكته التى امتدت الى حوض النيل الأوسط واحتفظ بكرسى الملك فى (لامول) حتى نهاية الربع الأول من القرن السادس عشر للميلاد على وجه التقريب حيث انتقل الى عاصمته الجديدة فى (سنار) فى حوض النيل الأزرق وانقطعت صلته بعاصمته الأولى لامول(١٤٣) .

وهذا الكلام يدل على أن الاسلام كان قد انتشر فى شرقى السودان قبل وصول الفونج الى سنار بكثير ، وعلى أن وصولهم الى السلطة فيها كان بمساعدة العرب الذين تواجدوا فيها منذ قرون عديدة والذين أشرنا اليهم من قبل(١٤٤) وكونوا عدة ممالك ومشيخات اسلامية فى حوض النيل الأوسط(١٤٥) ، ثم تحالف زعيمهم عبد الله جماع شيخ عرب القواسمة من جهينة وأصحابه الآخرون مع آل فنج وتمكنوا من القضاء على مملكة علوة المسيحية واقامة مملكة الفنج الاسلامية مكانها فى عام ٩١٠ هـ / ١٥٠٥ م (١٤٦) . واتصلت هذه المملكة الاسلامية الوليدة بالقوى الاسلامية المجاورة ، ومنها سلطنة دارفور التى كانت على اتصال بها قبل ذلك بكثير ، فكانت دارفور تستعين بفقهاء سنار ، وشجع سلطان دارفور سليمان سولون هؤلاء الفقهاء على النزوح الى بلاده مما أدى إلى انتشار الاسلام فيها(١٤٧) .

---

(١٤٢) الشاطر بصيلى : تاريخ وحضارات السودان الشرقى والأوسط ، ص ٢١٥ ، ٢٣١

(١٤٣) المرجع السابق ، ص ٢١٥

(١٤٤) انظر ، ص ٧٤

(١٤٥) مصطفى مسعد : الاسلام والنوبة ، ص ٢٠٤

(١٤٦) المرجع السابق ، ص ٢٠٦

(١٤٧) حسن محمود : نفس المرجع ، ص ٣٢٢

أما الرأى الثانى الذى يقول بان الفونج أتوا من الغرب من حوض بحيرة تشاد وهو رأى بالمر وآركل اللذين يقولان بأن سنار لم ينقطع اتصالها بدارفور وبرنو ، وان تاريخ برنو الذى كتبه الامام أحمد فرتوا ، وهو أحد العلماء البرنويين فى عهد المـاى ادريس ألوما ملك برنو (٩٧٩ – ١٠١٢ هـ) (١٥٧١ – ١٦٠٣ م) ، يشـير الى امتداد نفوذ برنو شرقا الى وادى النيل ، وان الروايات المحليـة فى هـذه البلاد تشـير الى أن سلطنة سنار اسسها المـاى عثمان الذى طرد من برنو عام ٨٩١ هـ – ١٤٨٦ م ، وان عمارة دنقس أول سـلاطين سنار من سلالة المـاى عثمان ، لا سيما اذا عرفنا أن لفظ عمارة يتردد فى جدول أسماء ملوك بورنو(١٤٨) .

والدلالة التى يمكن أن نستخلصها من هـذه الآراء على افتراض صحتها أن الفونج اقبلوا من الغرب من حوض بحيرة تشـاد ، واذا كان هذا الأمر صحيحا ، فلابد انهم حين اقبلوا الى سنار مروا بدارفور واستقروا فيها زمنا أو فترة من الوقت ، وانهم كانوا فى تلك الفترة مسلمين لأنهم انوا من دولة اسـلامية ، مما يجعل تأثيرهم فى نشر الاسلام فى دارفور أمرا محتملا اثناء اقامتهم بها ، ومن المحتمل ايضا أنهم عندما غادروها الى سـنار خلفوا فيها بعضا من قومهم المهاجرين معهم ، وكان لهـؤلاء المستقرين الجدد اثرهم فى نشر الاسلام فى دارفور .

وسواء جاء الفونج من الشرق أم من الغرب فانهم فى النهاية أحاطوا بدارفور من ناحيتها الشرقية وكانوا قوة اسـلامية لابد أنه كان لها تأثيرها فى نشر الاسلام فى دارفور التى لم تنقطع الصلات بينها وبين وادى النيل الأوسط سواء قبل ظهور الاسـلام فى هـذا الوادى أم بعد ظهوره .

واذا كان الاسـلام قد أحاط بدارفور من ناحية الشرق على هـذا النحو ، فانه أحاط بها ايضا من ناحية الشـمال . وفى هذا الشـمال

---

(١٤٨) المرجع السابق ، ص ٣١٤ – ٣١٥

تقع الواحات المصرية والصحارى الواسعة الممتدة منها غربا الى فزان وكاوار . وفى هذه الواحات وتلك الصحراء انتشر الاسلام ووفد منهما الى دارفور .

ففى الواحات المصرية التى تقع فى الصحراء الغربية وخاصة الواحات الداخلة والخارجة انتشر الاسلام فى نواحيها الخمس التى انقسمت اليها ، واشار ابن حوقل الى ذلك كما اشار الى من نزلها من العرب فقال « ان فيها من بنى هلال عدة غزيرة وأمة كثيرة »(١٤٩) ، كما قال ان هذه الواحات كانت في يد آل عبدون الذين كانوا يرحبون بالتجار ، وبلغت كثرة المسلمين فى هذه الواحات أن اتخذوا فيها « نحو خمسة عشر منبرا ، ولكل قرية من قرى هذه الخمس نواحى مساجد معمورة بالصلوات الخمس »(١٥٠) .

وقد أشار المسعودى المعاصر لابن حوقل الى هذه الحقيقة ، أى الى انتشار الاسلام فى هذه الواحات وقال ان حاكمها كان رجلا مسلما وكان يسمى عبد الملك بن مروان ، وهو رجل من لواتة(١٥١) ، ولعل ابن مروان تحريف لكلمة ابن عبدون التى ذكرها ابن حوقل ، أو لعله كان أحد الحكام الذين لم تصل أسماؤهم الى ابن حوقل . وبعد ذلك بعدة قرون أشار الادريسى الى عمران الواحات الداخلة والتى تقع فى صحرائها مدينة سنترية التى يسافر التجار منها الى أرض كاوار وسائر بلاد السودان وأوجله(١٥٢) .

وقد اشتد ساعد الاسلام فى هذه الواحات كثيرا حتى نسب اليها

---

(١٤٩) كتاب صورة الأرض لابن حوقل ، ص ١٤٥

(١٥٠) المصدر السابق ، ص ١٤٥ ، ١٤٦

(١٥١) مروج الذهب ومعادن الجوهر للمسعودى ، ج ٢ ص ٢٦

(١٥٢) نزهة المشتاق ، ج ١ ص ١٢٢ — ١٢٤

قوم من اهل العلم والفقه والأدب ، منهم الشيخ عبد الغنى بن بازل بن يحيى الواحى المصرى ابو محمد ، الذى روى عن أبى الصلت الطبرى ، وأبى الحسن الماوردى وآخرين ، وكان يعيش فى القرن الخامس للهجرة. ومنهم الشاعر ابو عبد الله الطباخ الواحى الذى اورد ياقوت الحموى شيئا من شعره(١٥٣) .

والجدير بالذكر ان هذه الواحات كانت تتصل بصعيد مصر بعدة طرق ، كما أنها كانت تتصل ببلاد النوبة ببرية تنتهى الى السودان(١٥٤) عامة ودارفور خاصة عن طريق ما يعرف بدرب الأربعين الذى سبق الحديث عنه بالتفصيل . كما انها كانت تتصل ببلاد كاوار التى تقع شمال بحيرة تشاد وما وراءها من بلاد السودان ، ولذلك فان هذه الواحات وخاصة الداخلة والخارجة اصبحت واسطة العقد أو مركز اتصال يصل الشرق بالغرب والشمال بالجنوب(١٥٥) ، وذلك بواسطة الطرق التجارية التى ربطتها بهذه الجهات . وقد افاد هذا الموقع الهام فى غنى أهل الواحات وثرائهم(١٥٦) ، كما افاد فى عملية التعريب وكذلك فى عملية نشر الاسلام بين الزغاوة الذين اشرنا اليهم والى انتشار الاسلام بينهم منذ عصر ابن سعيد المغربى من ناحية ، وبين اهالى دارفور من ناحية أخرى .

وفى ناحية الغرب من دارفور كانت هناك ممالك اعتنقت الاسلام قبل ظهوره فى دارفور بقرون عديدة ، وكان لها تاثيرها فى نشره فى

---

(١٥٣) ياقوت : نفس المصدر ، ج ٥ ص ٣٤٢

(١٥٤) الادريسى : نفس المصدر ، ج ١ ص ١٢٣ - ١٢٤

(١٥٥) ابن حوقل : نفس المصدر ، ص ١٤٣ - ١٤٥ ، الاصطخرى : مسالك الممالك تحقيق محمد جابر ، مصر سنة ١٩٦١ ، ص ٤١ ، ياقوت : نفس المصدر ، ج ٥ ص ٣٤٢

(١٥٦) الحسن الوزان : نفس المصدر ، ج ٣ ص ١٥٦

هـذا الاقليم . ومن أهم هـذه الممالك مملكة الكانم التى تحولت الى دولة اسـلامية بتحول الأسرة الحاكمة فيها الى الاسـلام فى عام ٤٧٨ هـ / ١٠٨٥ م (١٥٧) . وقد أشارت المصادر التاريخية الى انتشـار الاسلام فى هـذه المملكة ، فقال ابن سـعيد المغربى الذى عاش فى القرن السابع للهجرة / الثالث عشر للميلاد أن أهل كانم مسلمون(١٥٨) ، وأن سلطانها مشـهور بالجهاد وأفعال الخير ، وهو من ولد سيف بن ذى يزن وعنده الفقهاء والعلماء(١٥٩) . وقال ابن خلدون (ت ٨٠٨ هـ / ١٤٠٥ م) أن الكانم خلق عظيم والاسلام غالب عليهم »(١٦٠) ، وقال القلقشندى (ت ٨٢١ هـ/ ١٤١٨ م) أن سلطان الكانم من بيت قديم فى الاسلام(١٦١) .

وعلى ذلك فان الاسـلام تغلب على بلاد الكانم فى أواخر القرن الحادى عشر للميلاد ووصل اليها قبل ذلك بكثير عن طريق مصر والنوبة وفزان بليبيا(١٦٢) ، مما كان له أثره فى زحف الاسـلام من الكانم والممالك التى تدور فى فلكهـا الى دارفور شرقا والى البـلاد التى تقع جنـوب فزان شـمالا . فقـد دخلت بلاد البربر التى تقع فى الشـمال الغربى للكانم فى طاعة سلطان الكانم وانتشر بينهم الاسـلام على يد ابن جيل (المـاى أوم بن عبـد الجليل) سلطان هـذه البلاد(١٦٣) ،

---

(١٥٧) أحمد شلبى : نفس المرجع ، جـ ٦ ص ١٣٨ ،

(١٥٨) بسط الأرض ، ص ٢٦

(١٥٩) المصدر السابق ، ص ٢٧ ، ٢٨

(١٦٠) تاريخ ابن خلدون ، جـ ٦ ص ١٩٩

(١٦١) صبح الأعشى ، جـ ٥ ص ٢٨١

(١٦٢) نعيم قداح : افريقيا فى ظل الاسـلام ، دمشق ، بدون تاريخ ، ص ٨٤ ، توماس ارنولد : نفس المرجع ، ص ٣٥٧ ، الشـاطر بصيلى : تاريخ وحضارات السـودان الشرقى والأوسط ، ص ٤١٥ ، حسن محمود : نفس المرجع ، ص ٢٣٥

(١٦٣) ابن سعيد : نفس المصدر ، ص ٢٩

كما أن الزغاويين الذين تقع بلادهم فى الشمال والشمال الشرقى لبلاد الكانم انتشر بينهم الاسلام ودخلوا أيضا فى طاعة سلطان الكانم(١٦٤) ، وكذلك كان الحال فى مملكة كاوار التى تقع شمالى الكانم فقد تحولوا الى الاسلام ودخلوا « تحت طاعة الكانمى »(١٦٥) .

وفى شرقى كاوار وشمالى الكانم تقع مدينة (جاجه) ، وكانت هذه المدينة عاصمة لمملكة واسعة(١٦٦) ، سماها الحسن الوزان باسم (جاوجا) وقال أنها تتاخم اقليم بورنو (غرب بحيرة تشاد) من ناحية الغرب ، وتمتد شرقا الى حدود مملكة النوبة ، وتمتد شمالا الى صحراء سرت فى ليبيا وتخوم مصر ، ويبلغ طولها من الغرب الى الشرق نحو خمسمائة ميل ، وقال عن أهلها انهم اغنياء وأنهم قوم أحرار حتى تمكن منهم عبد زنجى منذ مائة سنة فى عام ٨٢٣ هـ / ١٤٢٠ م حيث قام بقتل سيده التاجر واستولى على أمواله وثيابه وأسلحته ووزعها على أصدقائه ، واشترى الخيل وأخذ يشن الغارات على أعدائه(١٦٧) .

وقد تضاعف جنود هذا المغتصب واشتد ساعده وزاد بطشه حتى تم تنصيبه رئيسا وأميرا على هذه البلاد ، وخلفه ابنة بعد موته ، ثم جاء بعده أحد أخوته واسمه موسى ، ثم خلفه أحد أحفاده المدعو عمر وهو الأمير الحالى الذى كان معاصرا للحسن الوزان الذى قال عنه أنه وسع كثيرا من رقعة أملاكه ، ونال صداقة سلطان مصر ورعايته بفضل هداياه ومجاملاته الكثيرة ، وحصل منه على الأسلحة والأقمشة والخيل التى كان يدفع فيها ضعف ثمنها متظاهرا بالسخاء ، مما جعل تجار

---

(١٦٤) المصدر السابق ، ص ٢٨ ، ٢٩

(١٦٥) المصدر السابق ، ص ٢٩ ، ٤٨

(١٦٦) المصدر السابق ، ص ٢٧

(١٦٧) الحسن الوزان : نفس المصدر ، ج ٢ ص ١٧٧ - ١٧٨

مصر لا يقصدون غير بلاطه ، وفقراء القـاهرة يفدون اليه حاملين بعض الهدايا الجميلة النادرة ، فيدفع اليهم ضعف ثمنها(١٦٨) . وقصة هـذا العبد وأسماء أولاده وأحفاده الذين حكموا من بعده تدل على أنهم كانوا مسلمين وحكموا بلادا اسـلامية .

وقد انتشر الاسـلام أيضا فى البلاد التى تقع شرقى هـذا الجزء من الصحراء الليبية والذى كان يسمى (تاجوه) التى كانت تبعد عن النيل بحوالى مائة ميل ، ودخل أهلها أيضا فى طاعة ملك الكانم(١٦٩) . ويشير ابن سـعيد الى أن تاجوه كانت قاعدة للزغاويين(١٧٠) الذين انتشروا جنوبا حتى وصلوا الى شـمالى دارفور كما سبق القول ، كما انتشروا أساسا فى الصحراء الواقعة شمال شرقى بحيرة تشـاد .

وهـذا يدل على أن مملكة الكانم سيطرت على البلاد التى تقع فى شمالها حتى فزان بما فيها كاوار ، والتيبو او التدا الذين يسـكنون هضبة تبستى(١٧١) ، وكذلك على الشـعوب والقبائل التى تسكن بين جنوب هـذه الهضبة حتى شمالى دارفور ، وفى شرقها حتى بلاد النوبة ، مما يؤكد ما ذهب اليه آركل وغيره من أن سلطان الكانم وخاصـة فى عهد ملكها العظيم المسمى دوناما دباليمى (٦١٨ — ٦٤٨ هـ / ١٢٢١ — ١٢٥٠ م) امتد الى جزيرة ساى Sai فى نهر النيـل فى عام ٦٣٨ هـ / ١٢٤٠ م ، وكذلك على كل الطرق التجارية التى تمر فى هـذه البلاد ومنها طريق درب الأربعين الذى يصل دارفور بالبـلاد المصرية ، وكذلك سـيطر هذا الملك على بلاد التدبو وفزان فى الشـمال ، وجنوبا اسـتولى على شـمالى دارفور(١٧٢) .

---

(١٦٨) المصدر السابق ، ج ٢ ص ١٧٨ — ١٧٩

(١٦٩) ابن سـعيد : نفس المصدر ، ص ٣٠

(١٧٠) المصدر السابق ، ص ٣٠

(١٧١) ابن خلدون : نفس المصدر ، ج ٦ ص ١٩٩

(172) Arkell : Ahistory of the Sudan, p. 194 & The history of Darfur, S. N. R., IV, pp. 264, 270 , 274.

وهكذا اتسع نفوذ الأسرة الحاكمة فى الكانم حتى بلغ حدود مصر شرقا وفزان شمالا ونيجيريا غربا ، وصار لها علاقات تجارية مع طرابلس ومصر ، وبهذا اتسعت حدودها فى كل اتجاه وذلك فى النصف الثانى من القرن الثالث عشر للميلاد(١٧٣) ، مما جعل تأثيراتها الاسلامية تتدفع فى الأماكن والبلدان المجاورة لها وخاصة دارفور التى ترتبط معها بروابط عديدة سبقت الاشارة اليها . ولذلك فان آركل يقول أن ثقافة دارفور يبدو أنها اشتقت أو نبعت كثيرا من بلاد الكانم والبورنو أكثر من غيرهما من البلدان الأخرى(١٧٤) ، ويبالغ آركل فيقول أن الكانم كانت هى القوة الافريقية الوحيدة الكبيرة التى من المحتمل أن تكون قد مارست تأثيرا مباشرا على تاريخ دارفور خلال النصف الأول من القرن الثالث عشر للميلاد(١٧٥) ، وأن هذا التأثير لم يضعف الا بعد دخول العرب الى دارفور فى القرن الرابع عشر للميلاد(١٧٦) .

وهكذا أحاط الاسلام بمعظم الجهات التى تحيط بدارفور ، وأصبح سائدا فى الأقطار المجاورة(١٧٧) مما جعل أمر انتشار الاسلام فيها شيئا لا مفر منه ، ولم يكن من المعقول أن ينتشر الاسلام على هذا النحو فى البلدان التى أحاطت بدارفور من الشرق والشمال والغرب ويقف عند حدود هذا الاقليم ، خاصة وان الاسلام كان قديما فى بعض هذه البلاد مثل مصر التى كانت لها علاقات تجارية كبيرة مع دارفور . وكما كان للتجارة شأنها فى انتقال بعض العرب الى دارفور ، كذلك كان لها شأنها الكبير فى انتقال الاسلام مع التجار أيا كانوا الى هذا الاقليم الذى احاطت به دول عربية واسلامية عديدة من جميع جهاته عدا الجنوب ،

---

(١٧٣) حسن محمود : نفس المرجع ، ص ٢٣٦ ، احمد شلبى : نفس المرجع ، جـ ٦ ص ٢٩١

(174) Arkell : The history of Dafur , S. N. R., IV, p. 270.
(175) Idib : S. N. R., IV, p. 265 .
(176) Ibid : S. N. R., IV, p. 271.
(177) Ibid : S. N. R., IV, p. 268.

مما كان له اثره الكبير فى تدفق الاسلام اليه ، لا سيما وان هذا الاقليم لم تقم فيه مملكة مسيحية ، ولا كنيسة مسيحية يمكن ان تقف عائقا امام انتشار الاسلام فيه كما حدث فى مملكتى مقرة وعلوة المسيحيتين ، فقد كانت دارفور على الوثنية ولم يثبت انتشار المسيحية بها(١٧٨) مما سهل على الاسلام اقتحام هذا الاقليم دون صعوبة بعد أن أحاط به من معظم نواحيه ، خاصة وأن هناك عاملا آخر ساعد على هذا الاقتحام وقوى من شأنه . هذا العامل هو الحج .

٣ - تأثير الحج والحجاج فى نشر الاسلام فى دارفور :

ذلك أن انتشار الاسلام فى بلاد السودان الممتدة من المحيط الأطلسى الى وادى النيل ادى الى وفود قوافل ضخمة وعديدة بغرض الوصول الى بيت الله الحرام فى مكة لأداء فريضة الحج . وقد سلكت هذه القوافل طريقين ، أولهما طريق شمالى عبر ساحل شمال افريقيا الى مصر ومنها الى بلاد الحجاز ، والثانى طريق يأتى من غربى افريقيا الى بلاد الكانم ومنها الى دارفور ، ثم يتجه الى ساحل البحر الأحمر عبر سودان وادى النيل ، ومنه عبر البحر الأحمر الى بلاد الحجاز(١٧٩) .

وبيدو أن قوافل الحجاج عند وصولها الى دارفور كانت تسلك طريقين ، أولاهما يتجه شرقا من دارفور الى ميناء مصوع أو سواكن على ساحل البحر الأحمر مخترقا النيل الأبيض والأزرق . والثانى يتجه شمالا بشرق ويبدأ من دارفور ويتبع طريق درب الأربعين الى اسيوط ، ومن هناك الى القاهرة ، أو يتبع درب الأربعين حتى يصل الى الواحات

---

(١٧٨) حسن محمود : نفس المرجع ، ص ٢٧٩ ، ٣٢٥

(١٧٩) الشاطر بصيلى : تاريخ وحضارات السودان الشرقى والأوسط ، ص ٤٣٢ ، ابراهيم طرخان : دولة مالى الاسلامية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، سنة ١٩٧٣ ، ص ٨٠ ،

Arkell : The history of Darfur, S. N. R., II, p. 216.

الداخلة والخارجة ، ومنها لا يتجه الى اسيوط فى الشمال ، وانما يتجه شرقا الى اسوان ومنها الى ميناء عيذاب الذى يقع على ساحل البحر الأحمر ومنه الى بلاد الحجاز(١٨٠) .

وقد تحول الحجاج القادمون من غرب افريقيا ووسطها الى هذا الطريق الأخير الذى يمر بدارفور وينتهى الى ميناء عيذاب ابتداء من القرن الثانى عشر للميلاد ، وذلك بسبب الحروب الصليبية التى كانت قائمة فى بلاد الشام وفلسطين وكانت تهدد الجزء الشمالى من البحر الأحمر فى القرنين الثانى عشر والثالث عشر للميلاد(١٨١) .

وقد وافتنا الروايات التاريخية بأخبار طيبة عن رحلات ملوك غرب افريقيا مثل ملوك مالى وصنغى ، وملوك وسط افريقيا مثل ملوك الكانم والبرنو الى بلاد الحجاز عبر مصر(١٨٢) ، وكانت قوافلهم يصحبها كثير من التجار وكثير من الحجاج من رعاياهم الذين كان بعضهم يفضل البقاء فى المدن والمراكز التجارية الواقعة على طول الطريق من بلادهم الى بلاد الحجاز سواء فى مصر أو فى دارفور ، حيث كان بعضهم يصاهر اهالى دارفور ومشايخ قبائلها الذين كانوا يحملون القاب الملوك والسلاطين . والمثال على ذلك أن زغاوة دارفور وغيرهم من الزغاوة الآخرين يدعون أنهم من اصل برنوى ، لكونهم نتيجة لزواج الحاج على البرنوى المتعام الذى كان فى طريقه الى الحج وتوقف فى دار الزغاوة بدارفور وصاهر سلطانها(١٨٣) .

---

(١٨٠) انظر الخريطة رقم ٣ ، ٤ ، ٥

(١٨١) حسن محمود : نفس المرجع ، ص ٥٦

(١٨٢) الشاطر بصيلى : تاريخ وحضارات السودان الشرقى والأوسط ، ص ٤٢٢ ـ ٤٢٣ ، حسن محمود : نفس المرجع ، ص ٢٣٧ ، ابراهيم طرخان : نفس المرجع ، ٦٣ ، ٦٤ ، ٧٩

(183) Arkell : The history of Darfur, S. N. R., 11, p. 218.

وبجانب وجود بعض الحجاج الكانميين والبرنويين فى دارفور ، فقد سبقت الاشارة الى وجود بعض التكارنة او التكرور ، وكذلك الفولانى فى دارفور ، ولم يكن وجود هؤلاء الناس فيها الا نتيجة لهجرات قاموا بها من بلادهم ، أو نتيجة للتخلف فى دارفور عند عودتهم من بلاد الحجاز .

وعلى اية حال فقد كان لموقع دارفور كمعبر للحجاج اثر كبير فى نشر الاسلام بين اهلها الذين اقبلوا على اداء هذه الفريضة ، حتى صار اكثرهم حجاجا(١٨٤) ، خاصة وأن الحج كان يهب صاحبه مركزا اجتماعيا وادبيا مرموقا بين أهله وعشيرته وفى محيط قريته ، وكان العرب فى دارفور واهاليها الذين اعتنقوا الاسلام يحرصون على اداء هذه الفريضة بما يصاحب ذلك من مظاهر البهجة والفرحة ، ومن حفلات كانت تنشد فيها الأغانى والأناشيد الدينية المؤثرة ، سواء قبل قيام الحجاج برحلتهم أو بعد عودتهم منها ، وكل ذلك كان يلفت نظرا الوثنيين فى دارفور ، وكانوا فى الغالب يشاركون فى هذه الاحتفالات مما كان يترك اثرا فى نفوسهم ويدفعهم - بجانب عوامل اخرى - لاعتناق هذا الدين الذى يرفع صاحبه الى هذه المكانة الاجتماعية المرموقة .

وهكذا تعددت وسائل اتصال دارفور بالبلاد الاسلامية المحيطة بها ، وكان الحجاج والتجار هم أهم وسائل هذا الاتصال ، مما ترك اثرا كبيرا فى عملية نشر الاسلام والثقافة العربية فى هذا الاقليم ، وافسحت الوثنية الطريق بسرعة أمام الاسلام ، وأصبح النظام القبلى العربى نظاما عاما مالوفا(١٨٥) ، وأصبح اتصال دارفور بالدول الاسلامية قويا سواء فى بلاد النوبة أم فى مصر التى كان يذهب اليها الطلاب لتلقى العلم فى الأزهر ، ولهم فيه رواق معروف باسم رواق دارفور ، كما اتصل أهل

---

(١٨٤) محمد بلو : انفاق الميسور فى تاريخ بلاد التكرور ، القاهرة سنة ١٩٦٤ ، ص ٢٩

(185) Baddour : op cit, p. 35 .

دارفور بثرنس ، وذهب كثير منهم الى خانو وتنبكت طلبا للعلم(١٨٦) ، كما اتصلوا ببلاد الكانم التى كان لها اثرها القوى فى أهل دارفور وثقافتهم وفى تحولهم الى الاسلام كما سبق القول ، نظرا لعدم وجود فواصل جغرافية كالجبال أو البحار تحول دون الاتصال بين البلدين ، بل ان الاتصال بينهما كان اتصالا دائما ومستمرا ، وسبقت الاشارة الى وجود كثير من القبائل العربية وغير العربية التى كانت تنقسم بينهما فيسكن بعض القبيلة فى دارفور ، ويسكن بعضها الآخر فى بلاد الكانم وما يجاورها من ممالك صغيرة مثل واداى وباجرمى وغيرهما .

واذا كان للعوامل السابقة التى تحدثنا عنها هذا الأثر فى ربط دارفور بما يقع حواليها من بلاد ، مما ساعد على نشر الاسلام فيها ، فان طبيعة الأرض وطبيعة هذا الاقليم الجغرافية وطبيعة حياة العرب فيه كان لها اثرها فى نشر الاسلام بين سكانه أيضا .

٤ ـ طبيعة حياة العرب وطبيعة دارفور الجغرافية وأثرها فى نشر الاسلام :

سبق القول أن القبائل التى نشرت الاسلام فى دارفور هى قبائل عربية فى الأساس . وهذه القبائل كانت اصلا قبائل تسكن البوادى وأطراف المدن والقرى فى صعيد مصر وبلاد النوبة وغيرها من البلدان التى هاجرت منها الى دارفور ، فهى أصلا قبائل بدوية رعوية أو شبه رعوية . والبدو عادة لا يستقرون فى مكان ، وانما هم فى انتقال دائم وراء مصادر الماء والعشب والكلأ اللازم لرعى ابلهم ومواشيهم . وقد عبر التونسى عن هذه الحقيقة فى حديثه عن قبائل العرب فى دارفور فقال ان البقارة منهم « أكثرهم أهل ثروة لا يألفون الحاضرة ، بل يتبعون الكلأ أينما كان »(١٨٧) .

---

(١٨٦) نعوم شقير : نفس المرجع ، جـ ٢ ص ١٤٦ ، عبده بدوى : مع حركة الاسلام فى افريقية ، القاهرة سنة ١٩٧٠ ، ص ١٣١ ، حسن محمود : نفس المرجع ، ص ٣٣٨

(١٨٧) تشحيذ الأذهان ، ص ١٣٩

والمعروف أن القبائل العربية فى دارفور انقسمت الى بقارة وأبالة كما سبق القول ، وكان الفريقان من البدو الرعاة ، وكان البقارة يعتمدون فى معاشهم على رعى البقر ، ومن ثم سموا بالبقارة ، وسبق القول انهم سكنوا الجزء الجنوبى من دارفور ، وكانوا يأخذون مواشيهم فى فصل الجفاف الى المناطق الجنوبية والى مشارف اقليم الزنوج وحول الأراضى النهرية الجنوبية التى تقع شمال بحر العرب وبحر الغزال ثم يتجهون فى فصل الأمطار وخاصة فى شهرى ابريل ومايو شمالا الى الأراضى التى كانت تنبت فيها الأعشاب الموسمية نتيجة لسقوط الامطار . وهم على ذلك كانوا فى رحلتهم الى الجنوب وفى رحلتهم الى الشمال بين خطى عرض ٩ و ١٣ شمال خط الاستواء ، وهى منطقة تشمل النصف الجنوبى من دارفور وكذلك الأراضى التى تقع جنوبا حتى بحر العرب الذى يعتبر الحد الجنوبى للبدو البقارة العرب ، والذى سمى باسمهم حيث تغلب الأسماء العربية على المسميات الجغرافية فى هذه المنطقة(١٨٨) .

وطبيعى أن هذه القبائل كانت فى انتقالها ورحلاتها تنشر عاداتها وتقاليدها وأهم من ذلك كانت تنشر ما تحمله من دين ولغة خلال عمليات الزواج والمصاهرة والاختلاط التى كانت تتم بينهم وبين الأهالى المحليين بكثرة ، حتى انهم صاروا فى النهاية يحملون ألوان هؤلاء الأهالى واشكالهم الجسمانية بمرور العصور والأيام ، نتيجة لهذا التداخل الذى تم بين الفريقين(١٨٩) ، كما أنهم بزواجهم من الدارفوريات خلفوا جيلا من المولدين اعتنق دين الآباء من العرب ، مما زاد من شدة تيار التحول الى الاسلام الذى اتخذت رقعته تتسع نتيجة لتوالى الزواج والاصهار

---

(١٨٨) دائرة المعارف الاسلامية جـ ٦ ص ٢٨٩ ، ٢٩١ ، جـ ٧ ص ٤٥٦ مادة « البقارة » ،

(١٨٩) التونسى : نفس المصدر ، ص ١٤٤ — ١٤٥ ، عبد الله حسين : السودان القديم والجديد ص ٢٢٢ ، حسن محمود : نفس المرجع ، ص ٣٠٩ ، دائرة المعارف الاسلامية ، جـ ٧ ص ٤٥٧

الى شعب الفور(١٩٠) ، مما حدا ببعض المؤرخين الأجانب الى القول بأن العرب انتصروا عن طريق الزواج المختلط أكثر من انتصارهم بقوة الجيوش(١٩١) .

على أن هذه القبائل تحولت الى تربية الماشية من أبقار وغيرها وتركت رعى الابل الذى كانت تعتاده فى بلادها الأصلية ، لأن الأراضى التى هاجرت اليها فى جنوبى دارفور لم تكن تصلح لرعى الابل ، واصبح اسم البقارة لصيقا بها ولا يطلق الا عليها وعلى القبائل العربية التى ترعى الماشية أيضا فى وادى وكردفان ، أما اخوانهم من العرب فى الكانم والبرنو فقد اطلق عليهم لفظ (الشوا)(١٩٢) ، وربما كان هذا الاسم مشتقا من كلمة الشاه .

اما الأبالة فى دارفور فقد كانوا يسكنون النصف الشمالى منها وينطلقون فى تجوالهم الى الصحراء المترامية فى الشمال والشرق والغرب ، وكانوا يحرسون القوافل المتجهة الى دارفور من هذه الجهات ، ويقدمون لها قرب الماء واللبن قبيل وصولها الى دارفور فى مكان يقع على مسيرة عشرة أيام من حدودها الشمالية يسمى بئر الزغاوى أو بئر النطرون كانت تستريح فيه القوافل وتنال حظها من الطعام والشراب والماء(١٩٣) . وتتكرر عملية تقديم هؤلاء العرب لهذه القوافل ما تحتاجه عند مكان آخر يسمى بئر المزروب الذى يعتبر أول أعمال دارفور ، ويقع فى وادى مسروق المعروف الآن بوادى زروق الواقع عند خط عرض ١٥ وخط طول ٢٥ درجة(١٩٤) .

وبطبيعة الحال فان الأبالة كانوا أكثر من البقارة انتقالا ورحلة ،

---

(١٩٠) حسن محمود : نفس المرجع ، ص ٣٠٩

(191) Mac Michael : The Coming of the Arabs to the Sudan p. **59.**

(١٩٢) دائرة المعارف الاسلامية ، ج ٧ ص ٤٥٥ ، ٤٥٧

(١٩٣) التونسى : نفس المصدر ، ص ٥١ ، ٥٢ ، ٥٤

(١٩٤) المصدر السابق ، ص ٥٤ ، هامش (٢) نفس الصفحة .

لطبيعة الابل التى كانت تساعدهم على ذلك ، ولطبيعة المنطقة التى كانوا يتنقلون فى أرجائها ، فهى سهول مكشوفة ذات اعشاب وحشائش قصيرة لا تعوق تقدم ابلهم . وقد سبق القول أن دارفور عبارة عن أراضى سهلية منبسطة تشقها من الشمال الى الجنوب سلسلة من الجبال تسمى جبال مرة ، وتنبسط السهول الرملية حول هذه الجبال من جميع الجهات مما أعطى فرصة واسعة للحركة لقبائل البدو من العرب ، ولذلك فان هذه القوافل لم تعش الا فى هذه السهول وعلى أطرافها حيث انها ملائمة لرعى ابلهم ان كانوا ابالة ، أو بقرهم ان كانوا بقارة .

وقد ساهم الأبالة ربما اكثر من البقارة فى نشر اللسان العربى والدم العربى والاسلام والثقافة العربية الاسلامية فى الجزء الشمالى من دارفور ، وحيثما كانوا يرتحلون وينتقلون . وهكذا انتشر الاسلام فى معظم نواحى دارفور نظرا لطبيعة القبائل التى نشرته فيها ، ونظرا لطبيعة أرض دارفور ذاتها ، ولم يستطع الاسلام التقدم جنوب هذا الاقليم بسبب عدم ملاءمة الأرض لزحف البدو حيث توجد المستنقعات والأمراض الفتاكة(١٩٥) التى كانت متوطنة حول روافد بحر الغزال وفى الأرض التى تمتد فى الجنوب بما لا يلائم أهل الابل أو الماشية التى كانت تفتك بها ذبابة تسى تسى .

وهو نفس ما حدث فى بلاد النوبة وفى بلاد الحبشة ، اذ وقفت الشلالات والجنادل عقبة كأداء أمام زحف الاسلام حتى القرن الرابع عشر للميلاد فى بلاد النوبة ، واستطاعت هضبة الحبشة المرتفعة أن ترد الاسلام عنها أكثر من مرة ، ولم يستطيع الاسلام أن يتوغل فى بلاد الحبشة الا من ناحية الشرق والجنوب الشرقى حيث لم يستطع أن ينفذ اليها من الشمال عبر الصحراء المصرية أو عبر بلاد البجة الا فى وقت متأخر نوعا ما(١٩٦) .

---

(١٩٥) حسن محمود : نفس المرجع ، ص ٦٧

(١٩٦) المرجع السابق ، ص ٦٧

واذا كانت طبيعة حياة العرب فى التنقل والترحال فى دارفور قد أدت الى انتشار الاسلام فى معظم جهات هذا الاقليم فى العصور الوسطى ، فان هذه الطبيعة ذاتها هى التى جعلت هذا الانتشار وان كان غامرا الا انه كان بطيئا ، بمعنى أنه استغرق عددا كبيرا من السنين قد تصل الى قرون ، اذ لم تكتمل حركة انتشار الاسلام ويصبح الاسلام دين الدولة الرسمى الا على يد سليمان سولون الذى اقام سلطنة دارفور الاسلامية فى عام ٨٤٨هـ / ١٤٤٥م ، وكان أول سلطان لها(١٩٧)

ذلك أن العرب وكما قلنا أتوا الى دارفور فى شكل قبائل بدوية اشتغلت بالرعى واكثرت من الترحال ، فلم تساعدها ظروف البيئة الطبيعية على الاستقرار والتأثير السريع فى نشر الاسلام ، ذلك أن اهتمامهم الرئيسى كان منصبا فى البحث عن المراعى التى لا تقوم حياتهم الا بها(١٩٨) ، ولذلك لم يقوموا بحملات تبشيرية اسلامية واسعة ، بل اكتفوا فى الغالب بمساكنة السكان الأصليين والتقرب اليهم ومصاهرتهم ، وترك الاسلام ينتشر تدريجيا بين هؤلاء السكان بفعل المخالطة والمصاهرة(١٩٩) دون تبشير ودون دعوة مباشرة ، ولعب الايحاء والتأثر التلقائى بالعرب والمسلمين المقيمين فى دارفور دوره فى تحول الناس فيها الى الاسلام(٢٠٠) .

هذا من ناحية ، ومن ناحية اخرى فان الهجرات العربية التى اتجهت الى دارفور لم تكن فتحا عسكريا يمكن أن يقارن بما قامت به بعض هذه الهجرات فى البلدان الأخرى وانما كانت هجرات سلمية تتسرب الى

---

(١٩٧) المرجع السابق ، ص ٣٢٣

(١٩٨) توماس ارنولد : نفس المرجع ، ص ٣٥٩ ،

(١٩٩) مكى شبيكه : مملكة الفونج الاسلامية ، معهد الدراسات العربية ، القاهرة ، سنة ١٩٦٤ ، ص ١٩

(٢٠٠) الشاطر بصيلى : تاريخ وحضارات السودان الشرقى والأوسط ، ص ١٦

الحياة فى هدوء ، وتحتاج الى عنصر الوقت لتحقق غاياتها واهدافها (٢٠١) ، سواء فى نشر الاسلام أم فى غير ذلك من الأمور . وترتب على ذلك نتيجتان : أولاهما هى انتشار الاسلام فى بطء وهو ما أشرنا اليه ، وثانيهما هى وجود بعض الوثنيين فى دارفور حتى اليوم .

والدليل على ذلك أنه فى عصر التونسى أى فى بداية القرن التاسع عشر للميلاد كان يوجد سبعة ملوك أو بمعنى أصح سبعة حكام اقاليم وثنيين من بين سبعة وعشرين ملكا فى دارفور (٢٠٢) ، كما اشار سلاطين باشا فى أوائل القرن الحالى أن قبيلة البدايات التى تشكن فى الشمال الغربى من دارفور لا تزال على الفتشية ، وأن أهلها يعبدون الشجر ولهم عاداتهم الوثنية فى ارث الابن لأموال أبيه وزوجاته (٢٠٣) .

وقد اشار التونسى ايضا الى بعض العادات ذات الطابع الوثنى والتى ظلت ملازمة لكثير من عامة الناس (٢٠٤) ، كما أشار لظاهرة انتشار السحر والشعوذة (٢٠٥) . واشار نعوم شقير الى غير ذلك من المعتقدات الباطلة كالتكهن والتطير والعزائم السحرية والطلاسم وغير ذلك مما يأباه الشرع ولا يأمر به الكتاب والسنة ، ولا يسلم به المسلمون (٢٠٦) .

ويخبرنا المؤرخ السودانى الشاطر بصيلى عبد الجليل بأن هذه المعتقدات والأياطيل لم تكن وليدة الهجرات العربية ، بل هى عريقة فى القدم وتوارثها القوم من آبائهم واجدادهم عن أقدم القصور الوثنية ،

---

(٢٠١) حسن محمود : نفس المرجع ، ص ٢٩٦

(٢٠٢) نعوم شقير : نفس المرجع ، جـ ٢ ص ١١٣ ـ ١١٤

(٢٠٣) نعوم شقير : نفس المرجع ، جـ١ ص ١٩٤

(٢٠٤) تشحيذ الأذهان ، ص ١٥٩

(٢٠٥) المصدر السابق ، ص ١٦١ ـ ١٦٤

(٢٠٦) تاريخ السودان القديم والحديث وجغرافيته ، جـ١ ص ١٤٠

وأخذت تتطور مع انتقالها من عصر الى عصر ، حتى جاء العهد الاسلامى فتمسك بها بعض الناس الذين رأوا فيها فائدة لهم(٢٠٧) ، مما يدل على اثر البيئة المحلية فى المجتمع الاسلامى الذى نشأ فى دارفور فى تلك العصور الغابرة . وطبيعى انه لا يمكن لأى مجتمع أن يتخلص تماما من تأثيرات العصور السابقة عليه بسهولة وفى سرعة ، سواء فى الحياة الدينية أو غيرها من مظاهر الحياة الأخرى .

وان دل هذا الأمر على شىء فانما يدل على أن الاسلام انتشر فى دارفور دن قهر أو اجبار ، ودون سيف أو تعنت أو اكراه ، فانتشاره فى بطء فى دارفور على هذا النحو ووجود بعض الوثنيين حتى اليوم ، لا يقلل من الجهد الكبير الذى تم بذله فى سبيل نشر الاسلام فى هذا الاقليم ، ويكفى أن الصورة العامة لهذا المجتمع هى الصورة الاسلامية ، والصبغة الغالبة هى الصبغة العربية . فهو مجتمع عربى مسلم لا يقل فى ذلك شأنا عن غيره من المجتمعات الاسلامية فى البلدان العربية والاسلامية الأخرى ، ويعود الفضل فى ذلك الى القبائل العربية التى هاجرت اليه على مدى عصور متتالية وقرون عديدة ، والى تلك الدولة الاسلامية التى قامت فيه نتيجة لتطور الحركة الاسلامية وازدهارها فيه الى درجة جعلت من قيام هذه الدولة أمرا محتوماً لا مفر منه . ذلك أن ظهور هذه الدولة كان يتوقف تماما على عمق التيار الاسلامى وعلى صبغ البلاد بالصبغة الاسلامية الواضحة(٢٠٨) .

وقد تم هذا الأمر فى القرن الخامس عشر للميلاد ، مما أدى الى قيام هذه الدولة قبيل منتصف ذلك القرن وليس فى القرن السادس عشر أو السابع عشر للميلاد كما قال بذلك بعض المؤرخين ، وتمكنت هذه الدولة التى تلقب أول سلاطينها بلقب سولون (سولونج) أى العربى المسلم من تعميق الحركة الاسلامية وتكريس العروبة والاسلام فى هذا

---

(٢٠٧) معالم تاريخ سودان وادى النيل ، ص ٥٣ - ٥٤

(٢٠٨) حسن محمود : نفس المرجع ، ص ٣٢٣ ، ٣٢٥

الاقليم الهـام من اقاليم السـودان الشقيق ، مما جعل الحديث عن قيامها أمرا لابد منـه لتوضيح اثرها فى تحقيق هـذه النتيجة ٠

٣ ـ قيـام سلطنة دارفور الاسـلامية

يعتبر قيـام هـذه السلطنة فى الواقع ابلغ دليل على نجاح القبائل الغربية التى هاجرت الى دارفور فى نشر العروبة والاسـلام بها ، وعلى بلوغ الحركة الاسـلامية فيها قمة النضج والازدهار ، وهو فى نفس الوقت تعبير عن نفس التطور الذى شـهدته هـذه الحركة فى البلدان الافريقية الأخرى التى تقع جنوب الصحراء وتمتد من المحيط الأطلسى الى البحر الأحمر وبحـر الزنج ٠

وفى هـذه البلدان بما فيها دارفور كان الاسـلام يتسرب اليها تسربا سلميا وفى هدوء مع التجار وقوافل التجارة ، ومع المهاجرين والمرتحلين ، ومع الحجاج فيما يمكن أن يعرف بمرحلة التهيؤ ، ثم تنتهى هـذه المرحلة بعد أن تستمر سـنوات قد تبلغ القرون الى مرحلة جديدة هى مرحلة النضج والازدهـار ٠

وقد شهدت دارفور المرحلة الأولى فيما حكيناه عن قدوم القبـائل العربيـة مهاجرة الى دارفور فى بضع قرون لأسـباب وعوامل سـبق التعرض لهـا بالتفصيل ، وقامت هـذه القبائل بما قامت به من نشر العروبة والاسـلام والثقافة العربية الاسـلامية فى دارفور ، وتعزز هـذا الدور الذى قامت به هـذه القبائل فى هـذا المجال بما قام به التجار الذين اتصلوا بهـذا الاقليم أو تجار هـذا الاقليم الذين اتصلوا ببلدان العالم الاسـلامى القريبة ، كما تعزز بعوامل أخرى سـبق الحديث عنها بتفصيل ، ومن ثم اتى دور النضج والازدهار الذى تمثل فى قيـام سلطنة دارفور الاسـلامية فى اخريات العصور الوسـطى ٠

وقد تفاوتت الآراء حول الزمن الذى قامت فيه هـذه السلطنة ٠ وفى هـذا الصدد هناك اربع روايات ، الرواية الأولى تقول بأن سلطنة دارفور الاسـلامية قامت فى عام ٨٤٨هـ /١٤٤٥م على يد سليمان سولونج

الذى حكم لفترة تمتد من ذلك العام الى عام ٨٨٠ هـ / ١٤٧٦ م . وقد قال بهذا الراى الأستاذ نعوم شقير وتبناه عدد من المؤرخين (٢٠٩).

والرواية الثانية تجعل قيام هذه السلطنة على يد سليمان سولونج فى عام ١٠٠٥ هـ / ١٥٩٦ م ، وصاحب هذا الراى هو ترمنجهام (٢١٠) ، وهلمنت Helmont اللذان جعلا سليمان يحكم من ذلك العام الى عام ١٠٤٧هـ / ١٦٣٧م (٢١١) .

أما الرواية الثالثة فقد انفرد بها الدكتور مصطفى مسعد الذى قال بأن سليمان سولونج أقام سلطنته فى عام ١٠١٩هـ / ١٦١٠م ، واستمر فى الحكم حتى عام ١٠٨١ هـ / ١٦٧٠ م (٢١٢) .

وتخبرنا الرواية الرابعة بأن سليمان سولونج حكم فى الفترة ما بين سنتى ١٠٥٥هـ/١٦٤٥م و ١٠٧٦هـ/١٦٦٥م كما قال بذلك نختيجال (٢١٣) او ما بين سنتى ١٠٥٠هـ / ١٦٤٠م و ١٠٨١هـ / ١٦٧٠م حسبما يعتقد آركل (٢١٤) وغيره من الكتاب والمؤرخين الذين تابعوه (٢١٥) ، وان كان آركل يقول فى موضع آخر انه يميل الى راى براون الذى يقول بأن سليمان حكم قرب نهاية القرن الخامس عشر للميلاد (٢١٦) .

---

(٢٠٩) نعوم شقير : نفس المرجع ، جـ٢ ص ٢١٣ ، حسن محمود ص ٣٢٦ ، أحمد شلبى : جـ٦ ص ١٤٢ ، عبد الله حسين : السودان من التاريخ القديم جـ١ ص ٢٧٧ ، السودان القديم والجديد ص ٦١ ، الشاطر بصيلى : تاريخ وحضارات السودان الشرقى والأوسط ، ص ٣٨٤

(٢١٠) حسن محمود : نفس المرجع ، ص ٣٢٦

(٢١١) دائرة المعارف الاسلامية ، جـ ٩ ص ٨٦

(٢١٢) مصطفى مسعد : سلطنة دارفور ، ص ٢٢٧ ، ٢٢٨

(213) Arkell : The history of Darfur, S. N. R., IV, p. 266.
(214) Ibid : S. N. R., IV, p. 275 & Ahistory of the sudan, p. 213
(215) Mandour : op . cit, pp 55, 46.
(216) Arkell : The history of Darfur , S. N. R., IV, p. 266.

هـذه هى مجمل الروايات التى تفاوتت كما ترى تفاوتا كبيرا فى تعيين أو تحديد الزمن الذى قامت فيه سلطنة سليمان سولونج . وهـذا التفاوت الكبير يدل على انه ليست هنـاك نصوص قاطعة فى هـذا الشأن كما يدل على أن معظم الروايات التى جعلت قيام هـذه السلطنة فى وقت متأخر يعود الى حوالى منتصف القرن السـابع عشر هى روايات وردت عند الكتـاب الأوربيين ، وهى روايات لا دليل عليهـا أو هى ضعيفة الدليل ، وقيامها على هـذا النحو لا يتمشى مع طبيعة التطور فى المنطقة على اتساعها حيث كان العرب والمسلمون قـد أخذوا بزمام التجـارة وازدادت قوافلهم التجارية(٢١٧) التى كانت تمر بدارفور من الغرب الى الشرق ومن الشمال الى الجنوب منذ قرون عديدة سبقت هـذا القرن الذى قالوا أنه كان ميقاتا لظهور هذه السلطنة . وأدت هذه التجارة بجانب عوامل أخرى تعرضنا لها من قبل الى نشر الاسلام بين جميع القبائل والشعوب التى كانت تعيش فى الساحل العشـبى الممتد جنوبى الصحراء الكبرى ابتداء من قبيلة الفولانى التى تسـتوطن نهر السـنغال من ناحية الغرب الى العرب الذين كانوا يستوطنون النيل الأعلى من ناحية الشرق(٢١٨) .

هـذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فان المنطقة التى تمثلها دارفور كانت ميدانا تقابلت فيه الهجارات العربيـة(٢١٩) وغير العربيـة التى وفدت من الشرق والغرب والشـمال قبل القرن السـابع عشر بقرون عديدة حسـبما ذكرنا حين حديثنا عن هـذه الهجرات الى هـذا الاقليم .ذلك أن العرب فى القرن السـابع كانوا قد اسـتقروا فى وادى النيل منـذ

---

(٢١٧) الشـاطر بصيلى : تاريخ وحضـارات السـودان الشرقى والأوسـط ، ص ٣٧٣

(٢١٨) كولين ماكيفيدى : نفس المرجـع ، ص ١٠٥

(٢١٩) الشـاطر بصيلى : تاريخ وحضـارات السـودان الشرقى والأوسـط ، ص ٣٧٣



قرون ، وليس هنـاك دليل على قيـام دليل هجرات واسـعة اتجهت الى دارفور أو بلاد السـودان فى القرن السـابع عشر ، لان ذروة تدفق هـذه الهجرات كان القرن الخامس عشر وما سـبقه من قرون(٢٢٠) ٠

وربما كان الهدف من هؤلاء الكتـاب الأوربيين الذين قالوا بقيام السلطنة الاسـلامية فى دارفور فى أواخر القرن السـابع عشر هو الايحاء بأن قيـام دولة اسـلامية فى هـذا الجزء الهـام من السودان أمر تم فى العصر الحديث ، وأن هـذه السلطنة ليس لها جـذور ضاربة فى التاريخ مثل غيرهـا من السلطنات التى قامت قريبـا منها فى بلاد السودان الأوسـط والغربى ، وأيضـا فى بلاد النوبة ٠ والهدف من وراء هـذا القول واضح ولا يحتاج الى بيـان ، اذ أن الفرق فى الزمن لا يمكن أن يكون قرونا ، ولكن ذلك ليس بالأمر الغريب اذا جاء من مثل هؤلاء القوم ، وخاصة اذا ما تذكرنا محاولات التشكيك العديدة التى جاءت فى كتاباتهم عن عروبة هـذا الاقليم ٠ فعروبته عندهم مشكوك فيها ، واسلامه فى نظرهم اسلام قشرى وهو عندهم أمر حديث لا يتعدى قرنين أو ثلاثة قرون على أحسن الأحـوال ٠

ولكى يحققوا هـذا الهدف فانهم ينكرون وجود سلطانين فى دارفور تسـمى كل منهما باسم سليمان ٠ فهناك السلطان سليمان الأول الذى يسـمى سليمان سـولونج أى العربى الذى حكم فى الفترة (٨٤٨ - ٨٨٠هـ/ ١٤٤٥ - ١٤٧٦م) ، وهناك السلطان سليمان الثانى الذى حكم فى الفترة (١١٠٦ - ١١٢٦هـ / ١٦٩٥ - ١٧١٥م) (٢٢١) ، وبين هذين السلطانين اربعـة عشر سلطانا يحملون اسـماء عربية(٢٢٢) ، وينكرهم هؤلاء

---

(٢٢٠) حسن محمود : نفس المرجـع ، ص ٣٢٦

(٢٢١) نعوم شـقير : نفس المرجع ، جـ٢ ص ١١٣ ، ١١٤

(٢٢٢) المرجع السابق ، جـ٢ ص ١١٤ ، مصطفى مسعد ، سلطنة دارفور ، ص ٢٢٧

الباحثون الأوربيون ويجعلون من سليمان الثانى هو سليمان الأول(٢٢٣) ، وينسبون اليه كل ما نسب الى السلطان سليمان الأول المعروف باسم سليمان سولونج ، وبذلك يلغون فترة من حكم سلاطين الفور المسلمين تبلغ قرنين ونصف قرن من الزمان .

ولذلك كله فاننا نؤيد الرواية الأولى التى ارجعت قيام سلطنة دارفور الاسلامية الى ما قبل منتصف القرن الخامس عشر للميلاد بقليل ، لأن هذه الرواية جاءت عند مؤرخين نظروا الى هذا الأمر نظرة مبنية على الوقائع التاريخية الخاصة بهجرات العرب الى دارفور ، والى البلدان المجاورة لها والمحيطة بها ، والى انتشار الاسلام فى هذه البلدان ، اذ لا يمكن ان يؤخذ تاريخ دارفور على حدة او يفصل عن مجرى التاريخ الذى تشكل فى هذه البلدان .

أما هجرات العرب الى دارفور فقد سبق الحديث عنها بتفصيل ، ورأينا ان هجرات عديدة وصلت الى دارفور وخاصة فى القرون الثلاثة الأخيرة السابقة على قيام سلطنة سليمان سولون فى عام ٨٤٨هـ / ١٤٤٥م(٢٢٤) . وكانت هجرة التنجور الذين يرجح انهم عرب من بنى هلال قد وفدت على البلاد من تونس فى القرن الثالث عشر أو بداية القرن الرابع عشر للميلاد وصاهرت شعب الداجو ، ونتج عن ذلك قيام هؤلاء التنجور فى حكم البلاد ، خاصة بعد أن كان الداجو قد تعرضوا لهجوم من بلاد النوبة فى منتصف القرن الثانى عشر للميلاد ، وتمكن النوبيون وقتها من اضعافهم وتحطيم مملكتهم فى دارفور(٢٢٥) ،

---

(٢٢٣) نعوم شقير : نفس المرجع ، جـ٢ ص ١١٤ ،

Arkell : The history of Darfur , S. N. R., IV, p. 266

(٢٢٤) انظر ، ص ٥٩ — ٦٠ ، الشاطر بصيلى : تاريخ وحضارات السودان الشرقى والأوسط ، ص ٣٨٣

(٢٢٥) الشاطر بصيلى : تاريخ وحضارات السودان الشرقى والأوسط ص ٣٧٣ ، Arkell : The history of Darfur : S. N. R., IV, p. 273

فتهيأ الأمر لقيام حكم التنجور ، واستطاعت الهجرة العربية التى كانت تتكون من الهلالية واتخذت اسم التنجور الذى جعله البعض تحريفا لكلمة التجار كما سبق القول ان تسيطر على البلاد وتقيم فيها أسرة حاكمة ٠

وكانت هذه الهجرة فيما يبدو هجرة قليلة العدد ، فقد تشربتها البلاد وبذلك لم تستطع أن تغير من تركيبة السكان الاجتماعية ، ولا من احوالهم الدينية والثقافية الا قليلا(٢٢٦) ، حتى تم القضاء على مملكة دنقلة المسيحية فى عام ٧٢٣ هـ / ١٣٢٣ م وانفتح الباب على مصراعيه امام الهجرات العربية القادمة من مصر الى هذه البلاد ، وتوجه منها الكثير الى دارفور واستطاعوا ان يتغلبوا على مملكة التنجور(٢٢٧) التى كانت قد تعرضت لضغط من سلاطين الكانم الذين فرضوا نفوذهم على شمال دارفور والمناطق التى تقع شمالا وتمتد من تشاد وحتى بلاد النوبة(٢٢٨) ٠

انتهز هؤلاء العرب المهاجرون الى دارفور الفرصة وصاهروا فرعا من فروع الفور وهم الكنجارة الذين كانوا قد اختلطوا بالعرب كثيرا وجرت فى عروقهم الدماء العربية واعتنقوا الاسلام(٢٢٩) ، ونتج عن هذه المصاهرة جيل من المولدين كان على رأسه سليمان سولونج الذى تولى الحكم قبيل منتصف القرن الخامس عشر للميلاد نتيجة لتطبيق التقاليد السودانية فى انتقال الحكم الى ابن البنت أو ابن الأخت ، وبذلك ظهرت سلطنة دارفور الاسلامية التى قال سلاطينها انهم من سلالة

---

(٢٢٦) حسن محمود : نفس المرجع ، ص ٣٢٥

mandour : op. cit, p. 55.

(227) Arkell op. cit, S. N. R, IV, p. 273

(228) Ibid : S. N. R.. IV, 1, 270.

(٢٢٩) مصطفى مسعد : سلطنة دارفور ، ص ٢٢٦ ، ٢٢٧ ،

بنى العباس ، زيادة فى ربط انفسهم بالنسب العربى وبعالم العروبة والاسلام(٢٣٠) ٠

وقد رأينا فيما سبق كيف احاط العرب بدارفور وكيف انتشر الاسلام فى البلدان المحيطة بها ٠ فقد تحولت مملكة مقرة الى الاسلام فى عام ٧٢٣هـ / ١٣٢٣م وصارت تعرف بدزلة الكنوز الاسلامية ، وانتشر الاسلام فى مملكة علوة المسيحية التى تقع فى جنوبها وتمكن العرب من اقامة كثير من المدن والمشيخات العربية داخل هذه المملكة ، وزحفوا منها ومن دولة الكنوز الى دارفور حيث اقاموا فيها نفس النظام وكونوا زعامات ومشيخات عربية تمكنت احداها من تسلم زمام الحكم فى الاقليم كله قبيل منتصف القرن الخامس عشر للميلاد(٢٣١) ٠

ولم تستطع هذه المشيخات أن تفعل ذلك قبل هذا التاريخ ربما بسبب تنافر زعماء القبائل العربية حين استقرارهم فى البلاد ، ربما بسبب تنازعهم على اراضى المراعى فى مختلف انحاء دارفور ٠ وكان هذا هو حال من سبقهم من العرب النازحين الى بلاد النوبة أيضا ، « مما جعلهم رحالة بادية يتبعون مواقع القطر شأن بوادى الأغراب » ، ولم يبق فى بلادهم الجديدة التى هاجروا اليها رسم للملك(٢٣٢) ٠

واذا كان هذا هو شأن العرب فى دارفور وفى البلدان المحيطة بها والذى يجعلنا نأخذ بالرواية الأولى التى تقول بقيام سلطنة دارفور الاسلامية فى عام ٨٤٨هـ/ ١٤٤٥م ، فان تاريخ الاسلام فى البلدان

---

(٢٣٠) عبد الله حسين : السودان من التاريخ القديم ، جا ص ٧٧ : السودان القديم والجديد ، ص ٦١ ، احمد شلبى : نفس المرجع ، ج ٦ ص ١٤١ ، ١٤٢ ، عبده بدوى : نفس المرجع ، ص ١٣٠

(٢٣١) الشاطر بصيلى : تاريخ وحضارات السودان الشرقى والأوسط ، ص ٣٧٣

(٢٣٢) ابن خلدون : نفس المرجع ، ج٥ ص ٤٢٩ ، حسن محمود : نفس المرجع ، ص ٢٩٥

المحيطة بدارفور يجعل هذه الرواية مقبولة . ذلك أن الاسلام وكما هو معروف كان أسبق فى الوصول والانتشار فى البلاد التى تقع غرب دارفور حيث تحولت بلاد الكانم والبرنو الى الاسلام منذ القرن الحادى عشر للميلاد كما سبق القول ، اما فى الشمال فان سكان الواحات التى تقع فى طريق درب الأربعين الذى يصل دارفور بمصر والذى يمر بشعب الزغاوة والتاجو ، كانوا قد تحولوا الى الاسلام منذ القرون الأولى لظهور الاسلام ، وتحول كذلك التاجو الى الاسلام فى عصر ابن سعيد المغربى كما سبق القول ، وكذلك الزغاوة الذين امتدت بلادهم الى شمال بلاد الكانم الذين نشروا بينهم الاسلام حسبما بينا من قبل .

ومعنى ذلك كله ان الاسلام كان قد أحاط بدارفور من معظم جهاتها تقريبا ولم يبق الا الجنوب . وفى الجنوب نسمع ان مملكة اسلامية قامت هناك حوالى منتصف القرن السادس عشر للميلاد ، وهى مملكة تقلى الاسلامية التى قامت فى جبال النوبا التى تقع جنوب كردفان ودارفور . وقد قامت هذه المملكة نتيجة وصول الفقيه محمد الجعلى الى هذه المنطقة حوالى عام ١٥٣٠ م مع مجموعة من الفقهاء للدعوة الى الاسلام فى أوائل القرن السادس عشر للميلاد ، واستطاع ان يتزوج من اميرة من البيت الحاكم فانتقل الحكم الى ابنه المسمى قيلى ابو جريدة . وقد أسس هذا الابن أول أسرة اسلامية حاكمة فى تقلى وجبال النوبا وكان هو أول سلاطينها (٢٣٣) .

فكيف تعتنق مملكة تقلى التى تقع فى الجنوب الشرقى من دارفور الاسلام وتظهر فيها سلطنة اسلامية فى ذلك التاريخ ، بينما تظهر السلطنة الاسلامية فى دارفور بعد ذلك فى منتصف القرن السابع عشر للميلاد ، مع أن العرب انتشروا فيها وأحاط بها الاسلام الذى كان قد انتشر من قبل فى البلدان المحيطة بها ، وتقبله معظم اهل دارفور أنفسهم

---

(٢٣٣) الشاطر بصيلى : تاريخ وحضارات السودان الشرقى والأوسط ، ص ٣٦٢

على يد العرب المهاجرين اليها . كل ذلك وبلا شـك يجعل الرواية الأولى التى تقوم بقيـام سلطنة دارفور الاسـلامية قبيل منتصف القرن الخامس عشر للميلاد هى الرواية الجديرة بالقبول والترجيح .

اذن تحولت دارفور الى دولة عربية اسلامية فى منتصف القرن الأخير من العصور الوسطى ، ولا نريد ان نخوض فى تاريخ سلاطين هـذه الدولة من الفـور ، لأنه امر مطروق فى بحـوث قليلة تناولت تاريخ سلطنة دارفور السـياسى منذ سليمان سـولون ، ولأننا لو فعلنا سوف يخرجنا ذلك عن الفترة الزمنية التى حددناها لهـذا الكتـاب وهى العصـور الوسـطى بمفهومها الغربى الذى يأخذ به معظم المؤرخين ، والتى تنتهى بنهاية القرن الخامس عشر للميلاد وان كانت العصور الوسطى فى نظرنا بالنسـبة لدارفور والسودان بصفة عامة تمتد حتى تصل الى الفتح المصرى لهـذه البلاد فى القرن التاسـع عشر للميلاد .

ولذلك فاننا سنكتفى بالحديث عن مؤسس هذه السلطنة وعن الظروف التى اسـتطاع فيها أن يقيم هـذه الدولة الاسلامية التى استكملت عقـد الدول الاسـلامية المنتشرة جنوب الصـحراء والذى يمتد من المحيط الأطلسى الى البحر الأحمر .

ومؤسس سلطنة دارفور الاسلامية هو سليمان الأول الملقب بسولونج والتى تخفف الى سولون ، وهـذا اللقب الذى عرف به سليمان معناه فى لغـة الفور « العربى » أو من يتكلم العربية أو من يدين بالاسـلام دين العرب ، ذلك أن سليمان وكما سـبق القول فى الغالب من أب عربى وأم فوراوية من أسرة تعرف باسم اسرة كيرا(٢٣٤) ، ولذلك عرفت الأسرة الحاكمة التى تولت حكم دارفور منذ سليمان سـولون باسم اسرة كيرا .

---

(٢٣٤) مصطفى مسـعد : سلطنة دارفور ، ص ٢٢٧ — ٢٢٨

ويقول آركل أن الاسم (كيرا) يحتمل أنه مشتق من الكلمة المروية qere التى تعنى الملك king انظر ، The history of the Sudan, p. 213.

وقــد نشــات هــذه الأسرة فى مكان يسمى طرة (٢٣٥) Turra عند النهاية الشمالية لجبل مرة باواسط دارفور ٠ وقد عثر فى هــذه المنطقة على بقايا قصــور حصينة مبنية من الحجارة ترجع الى عهد أولئك الســلاطين الثلاثة الذين بدأ بهم بيت كيرا ! كما يوجد الى الشرق من طرة بقايا قصر آخــر ينسب الى زعيم يســمى تونســام تجعله روايات الفور اخا لسليمان ويبدو انه نازع أخــاه سليمان فى الزعامة(٢٣٦) ، فاتفقا على ان يقتسما اقليمى دارفور وكردفان ، فأخذ السلطان سليمان اقليم دارفور واخــذ تونســام كردفان ورحل اليها حيث أقام لنفســه هنــاك سلطنة سميت باسم سلطنة المسبعات ، نســبة الى اسمه الذى كان يعرف به وهو المســبع(٢٣٧) ، أو لأن هــذه الكلمة تعنى فى لغة الفور « الناس الذين ذهبوا الى الشرق » تحقيرا لهم(٢٣٨) ٠

اســتقل سليمان سولون الأول بدارفور (٨٤٨ – ٨٨٠هـ / ١٤٤٥ – ١٤٧٦م) واتخذ من بلدة (نامى) التى تقع فى اقليم طرة عاصمة

---

(٢٣٥) طرة مكان يدفن فيه ســلاطين الفور اذا ماتوا ميتة طبيعية ، أما اذا مات أحدهم ميتة غير طبيعية كأن يموت قتيلا فانه يدفن فى المكان الذى قتل فيــه ٠

انظر التونسى : تشحيذ الأذهان ، ص ١١٣ هامش (٢) ، ص ٨٣ – ٨٤ – هامش (٥) ،

Arkell : The history of Darfur, S. N. R., IV , p. 268.

(٢٣٦) مصطفى مسعد : سلطنة دارفور ، ص ٢٢٨ ،

Arkell : Ahistory of the sudan, p . 213 & The history of Darfur, S. N. R., IV, p. 245.

(٢٣٧) التونسى : نفس المصــدر ، ص ٨٣ – ٨٤ ٠

(٢٣٨) مصطفى مســعد : نفس المرجع ، ص ٢٢٨ ،

Arkell : Ahistory of the Sudan, p. 213 & The history of Darfur, S. N. R., IV, p. 255

لدولته الوليدة(٢٣٩) ، ونظرا لعروبته أو لأصله العربى فقد حبب اليه العرب الوافدين ، واستعان بالقبائل العربية التى كانت تضرب فى الصحراء من حوله فى اخضاع الخارجين عليه من سلاطين وملوك الفور فى جبال مرة والمناطق المحيطة بها ، وعلمهم دين الاسلام ، وبذلك حقق وحدة البلاد كلها ربما لأول مرة ، وخاض فى سبيل ذلك غمار ثلاث وثلاثين معركة اخضع فيها جماعات البرتى والبيقو وبعض جماعات المساليط ، كما قضى على حركة قام بها التنجور لاسترداد ملكهم(٢٤٠) .

بعد ذلك تفرغ سليمان لبناء سلطنته ودولته على أسس سليمة ، فبنى المساجد واستأنف حركة نشر الاسلام التى يحتمل أن يكون قد أصابها شىء من الركود خلال الحروب الداخلية ، ونجح فى ذلك نجاحا كبيرا وبذلك استكمل سليمان حركة التعريب ونشر الاسلام فى بلاد دارفور ، وتم صبغ هذه البلاد بالصبغة الاسلامية الواضحة ، واتم توحيد عناصر السكان تحت لوائه ، وعمد الى تثبيت دعائم الحركة الاسلامية

---

(٢٣٩) تعرف عاصمة دارفور الآن باسم الفاشر . وكان هذا اللفظ يدل أصلا على أى مكان يسكنه السلطان أو ينزل فيه أو يتخذ فيه مجلسه ، ثم أصبح يطلق على المكان الذى يحمل هذا الاسم اليوم والذى اتخذه السلطان عبد الرحمن الرشيد بن أحمد بكر (١٧٨٧ — ١٨٠٢ م) مقراً وعاصمة لدارفور .

انظر التونسى : تشحيذ الأذهان ، ص ٦٤ ،

Mandour, op, cit, p. 57 & Arkell : Ahistory of the Sudan, p. 214.

(٢٤٠) التونسى : نفس المصدر ، ص ٨٣ — ٨٤ هامش (٥) ، نعوم شقير : نفس المرجع ، ج٢ ، ص ١١٣ ، مصطفى مسعد : سلطنة دارفور ، ص ٢٢٨ ، حسن محمود : نفس المرجع ، ص ٣٢٦ ، عبده بدوى : نفس المرجع ، ص ١٣٠ ،

باستقدام الفقهاء من الشرق لتعليم الناس اصول دينهم ، وبدأ العرب يلعبون دورا بارزا فى تاريخ البلاد ، مما صبغها بالصبغة العربية والاسلامية الواضحة وأرسى قواعد الحياة الاسلامية فى مختلف نواحيها ومجالاتها (٢٤١) . وكان لذلك مظاهره العديدة والواضحة .

٤ - مظاهر الحياة الاسلامية فى دارفور

اتسعت دائرة الحياة الاسلامية ووضحت مظاهرها فى سلطنة دارفور الاسلامية أشد الوضوح منذ عهد سليمان سولون ، ويعنى ذلك أن هذه المظاهر كانت موجودة قبل قيام هذه السلطنة ، ولكنها أخذت فى البروز والظهور بعد أن خضع جميع الحكام فى دارفور لسليمان سولون وتحول معظمهم الى الاسلام ، ومن أهم هذه المظاهر انشاء المساجد فى مختلف أنحاء البلاد .

وهذا العمل لم يأت بداية فى عهد سليمان سولون ، وانما كان موجودا قبل ذلك بزمن طويل ، لأن الحركة الاسلامية كانت قديمة قبل قيام سلطنة الفور بكثير كما بينا من قبل . فهناك اشارات تفيد بوجود هذه المساجد فى جبل الفور فى عهد التنجور وقبل ظهور سلطنة سليمان سولون (٢٤٢) ، ويقول آركل أن شو Show آخر سلاطين التنجور ينسب اليه مسجد (٢٤٣) . وبطبيعة الحال كان للعرب الوافدين والمهاجرين وكذلك التجار مساجدهم التى كانوا يؤدون فيها الشعائر الدينية .

وقد كثر انشاء وانتشار هذه المساجد منذ عهد السلطان سليمان

---

(٢٤١) المصادر والمراجع السابقة ونفس الصفحات .

Mandour : op. cit, p. 56. & Arkell : Ahistory of the Sudan, pp. 214 , 215.

(242) Arkell : The history of Darfur. S. N. R., IV, p. 249

(243) Ibid : S. N. R., IV, p. 259.

سولون (٨٤٨ - ٨٨٠هـ / ١٤٤٥ - ١٤٧٦م) ، فقد بنى المساجد واقام صلوات الجمعة والجماعة ، واهتم اهتماما كبيرا بنشر العقيدة الاسلامية حتى غطى الاسلام كل دارفور فى عهده وعهد خلفائه ، وان كان بقى القليل من الاهالى وثنيين (٢٤٤) . وتشير المراجع الى أن جملة ملوك دارفور الذين خضعوا لهذا السلطان سبعة وعشرون ملكا منهم عشرون ملكا من المسلمين ، والباقى من الذين ظلوا على الوثنية ، مما يدل أن السلطان سليمان سولون لم يكره احدا على الدخول فى الاسلام (٢٤٥) .

وكان الملوك المسلمون هم ملوك البرقد والتنجر (التنجور) وكبقة والمية والمسبعات فى الشرق من جبل مرة ، والمراريت والعورة وسميار والمساليط والقمر وتامة والجبلاوين ، واب درق ، وجوجة ، وأسمور فى الغرب والشمال الغربى . وزغارة كبا والميدوب فى الشمال والشمال الشرقى . والبيقو والداجو ورنقا فى الجنوب والجنوب الغربى (٢٤٦) . أما الملوك السبعة الوثنيون فهم ملوك كارة ، ودنقو ، وفنقرو ، وبنة ، وباية ، وفروقى وشالا ، وكلهم فى بلاد فرتيت فى الجنوب الغربى لدارفور (٢٤٧) .

وتبع انتشار الاسلام على هذا النحو تأسيس المساجد والمدارس من اجل نشر التعاليم الدينية وتعليم القرآن الكريم ، فقد كان فى كل بلدة مسجد أو اكثر لتعليم الكتابة والقراءة والقرآن ، وكان كل شيخ أو فقيه أو مدرس دين له مسجد صغير بجانب منزلة ، حيث يؤم خمسة مصلين ويعلم القرآن وعلوم الدين . وبجانب هذا المسجد خلوات للمجاورين

(244) Mandour : op . cit, pp. 56-60.

(٢٤٥) نعوم شقير : نفس المرجع ، جـ ٢ ، ص ١١٣ - ١١٤ ، الشاطر بصيلى : تاريخ وحضارات السودان الشرقى والأوسط ص ٣٨٠ - ٣٨١

(٢٤٦) المرجعين السابقين ونفس الصفحات .

(٢٤٧) نعوم شقير : نفس المرجع ، جـ٢ ص ١١٣

يعلمهم فيها العلوم الشرعية ، وله (حاكورة) هبة من السلطان يعيش هو وتلاميذه من ريعها ، مما جعلهم متفرغين للعلم وطلبه ونشره الى حد كبير(٢٤٨) ٠

ومع ذلك فقد كانت قراءة القرآن وتعلم العلوم الدينية والعربية غير واسعة الانتشار فى دارفور(٢٤٩) اذا ما قورن ذلك بما كان موجودا فى البلاد الاسلامية الأخرى ٠ أولا ، لأن الاسلام انتشر فى دارفور فى وقت متأخر بالنسبة لهذه البلاد ، وثانيا ، بسبب طبيعة الترحال والتنقل الذى دابت عليه القبائل العربية التى سكنت دارفور ، ومن ثم لم يتمكن معظمها من الاستقرار الدائم الذى ينتج عنه ازدهار العلم(٢٥٠) ٠ وخاصة فى مجال العلوم العقلية التى اشار التونسى الى أن دراستها كانت قليلة(٢٥١) وان كان هذا الأمر كان امرا شائعا فى معظم البلاد الاسلامية فى تلك الفترة ٠ وثالثا ، بسبب قلة العلماء الذين ظهروا أو رحلوا الى هذا الاقليم(٢٥٢) ، ربما بسبب بعده عن مراكز الثقافة الاسلامية الزاهرة فى بغداد ودمشق والقاهرة ٠

وليس هذا الأمر غريبا اذا ما قارناه بما كان موجودا فى بلاد مجاورة لدارفور وهى بلاد النوبة ٠ ومعروف أن هذه البلاد كانت أقرب الى مراكز الثقافة الاسلامية من دارفور ، وكان تدفق القبائل العربية عليها أغزر وأكثر من دارفور ، ومع ذلك فان غلام الله بن عائد الذى قدم اليها من اليمن فى النصف الأول من القرن الرابع عشر للميلاد

---

(٢٤٨) المرجع السابق ، ج ٢ ، ١٤٦ ،
Mandour : op. cit, p. 60.

(٢٤٩) التونسى : نفس المصدر ، ص ٢٨٠

(٢٥٠) حسن محمود : نفس المرجع ، ص ٣٣٩

(٢٥١) التونسى : نفس المصدر ، ص ٢٧١

(٢٥٢) المصدر السابق ، ص ٢٨٠

يقول انه لم يجد بدنقلة عاصمة البلاد أى مظهر من مظاهر التعليم ، أو اية شبهة من حركة علمية ، « فعمر المساجد وقرأ القرآن وعلم وعلم العلوم مباشرة لأولاده وتلامذته أولاد المسلمين »(٢٥٣) .

وقد انتهز هذه الفرصة بعض الكتاب الأجانب فهونوا بصفة عامة من شأن العرب حتى قال احدهم انهم اجانب وليسوا من اهل دارفور والسودان عامة ، كما هونوا من شان الثقافة العربية فى السودان ، وقالوا أن هذه الثقافة حديثة العهد بهذه البلاد ، لأن العرب كان نجاحهم قليل جدا فى نقل لغتهم ودينهم للشعوب الموجودة هناك قبل القرن السادس عشر للملاد(٢٥٤) ، مستدلين على ذلك بوجود عدد من اللغات المحلية بين بعض القبائل التى اعتنقت الاسلام فى دارفور لاسيما قبائل الفور(٢٥٥) .

والهدف واضح من هذا التهوين بن أمر العرب والتشكيك فى قيامهم بنشر اللغة العربية والثقافية العربية سواء فى دارفور أم فى السودان بصفة عامة ، دون اعتبار لظروف هذه البلاد التى اكتملت فيها الحركة الاسلامية بعد عدة قرون من اكتمالها فى البلدان الاسلامية الأخرى التى دخلها الاسلام منذ القرن الأول للهجرة ، فهذا أمر داب عليه معظم الكتاب الأوربيين الذين كتبوا عن هذه البلاد كما اشرنا من قبل ، وأن كان الواقع يبين عدم الدقة فى آرائهم وكتاباتهم .

فالثقافة الاسلامية فى دارفور ثقافة عربية خالصة فى جوهرها ومظهرها ، لأن دارفور ببساطة لم تشهد ثقافة قديمة كالتى شهدتها مصر أو الشام أو العراق ، ويمكنها أن تؤثر الثقافة الوافدة ، ولذلك لم تتاثر الثقافة الاسلامية فى دارفور باية تقاليد محلية انما بدت عربية

(٢٥٣) حسن محمود : نفس المرجع ، ص ٢٩٧

(254) Mac Michael : Ahistory of the Arabs in the Sudan, Vol2 p. 197 & Evans Princhard : op. cit, pp. 82 - 83.

(255) Evans princhard : op . cit, p. 84.

خالصة(٢٥٦) ، مما يدل على مدى تأثير العرب والعروبة فى هذا الاقليم ، رغم ما حاوله أركل أن يدعيه من تاثير الكانميين فى الثقافة فى دارفور(٢٥٧) .

فتأثير العرب والثقافة العربية الاسلامية هو التأثير الغالب على ثقافة هذا الاقليم . ومهما كان القول فى مستوى هذه الثقافة فان هناك من المظاهر الاسلامية الأخرى ما كان بعيد الغور عميق الجذور واسع الانتشار وذا دلالة كبيرة على عمق انتشار الاسلام بين أهل دارفور .

من هذه المظاهر اتباع الشريعة الاسلامية والتزام أحكام الكتاب والسنة فى الشئون الشخصية كالزواج والطلاق والميراث ، حيث كان تنفيذها موكولا الى علماء الدين(٢٥٨) . كما التزم الأهالى والسلاطين بالشريعة بالنسبة لتعدد الزوجات ، فكان للواحد منهم أربع زوجات والباقيات محظيات(٢٥٩) . كما طبقوا الشريعة بالنسبة لغير ذلك من الأحوال الشخصية وأحوال الدولة حتى ثقلت مسئولية الحكم على بعض السلاطين فخرج أحدهم بعد توليه بثلاثة أيام الى مجلس خاصته وطلب منهم أن يولوا احد أعمامه بدلا منه « لأن طاقية الملك ثقيلة »(٢٦٠) .

وكذلك كان دخل السلطان الذى كان ينفق منه على بيته وأهله وجنوده وشئون دولته خاضعا للتعاليم الشرعية اذ كان يجمعه بالطريقة الاسلامية من العشر والزكاة ، وكان هناك مسئول عن جمع هذا الدخل او الجباية كان يسمى ملك الجبائين أى الذين يجبون الغلال من البلاد . وكان هؤلاء الجباة يأخذون عشر ما يخرج من الحبوب كزكاة ويجعلونه فى

---

(٢٥٦) حسن محمود : نفس المرجع ، ص ٣٣٤

(٢٥٧) أنظر ، ص ٢٣٣

(258) Mandour : op. cit, p. 59.

(٢٥٩) نعوم شقير : نفس المرجع ، حـ٢ ص ١٤٢

(٢٦٠) حسن محمود : نفس المرجع ، ص ٣٢٩ ، ٣٣٢

مطامير لاحتياج السلطان(٢٦١) ، وكذلك كانوا يجبون العشر من التجار وأهل الحضر ، ويأخذون الزكاة من أهل البادية ، بالاضافة الى ضرائب وهدايا اخرى كان يفرضها العرف المتداول بينهم ، وكانت تأتيهم من الحكام والأتباع ، مضافا اليها نصف الغرامات المالية التى كان يفرضها القانون المدنى وقانون العقوبات الذى كان يعرف بقانون دالى(٢٦٢) . اما النصف الآخر من هذه الغرامات فكان من نصيب الحكام على اختلاف درجاتهم(٢٦٣) .

وقانون دالى هذا عبارة عن مجموعة من التقاليد والأعراف تعارف الفور عليها وجمعوها فى كتاب واحد عرف ((بقانون دالى)) نسبة الى اسم أحد ملوك الفور الأوائل ، أو لان كلمة (دالى) فى لغة الفور تعنى اللسان ، فالمراد بقانون دالى هو لسان السلطان أى أوامره ونواهيه ، وكان هذا القانون العرفى بمثابة قانون الجزاء عندنا ، وكان تنفيذه فى دارفور موكولا الى المقاديم حكام المقدوميات أى الولايات ومن دونهم من الحكام . أما المرجع الأعلى لقانون دالى فشخصية كبيرة فى الدولة تحمل لقب « ابو شيخ » ، وهو كبير الخصيان ومقامه أكبر مقام فى السلطنة بعد السلطان . ويلاحظ أن احكام هذا القانون لا تتفق كلها مع احكام الشريعة الاسلامية بالنسبة للعقوبات ، وانما كانت تخالفها فى بعض الأمور القليلة التى جرى عليها العرف قبل دخول الاسلام الى هذه البلاد(٢٦٤) .

---

(٢٦١) التونسى : نفس المصدر ، ص ١٨٤

(٢٦٢) نعوم شقير : نفس المرجع ، جـ٢ ص ١٣٩ ،

Mandonr : op. cit, pp. 57 - 58

(٢٦٣) التونسى : نفس المصدر ، ص ٤٠٢

(٢٦٤) نعوم شقير : نفس المرجع جـ٢ ص ١٣٧ ، ١٣٨ ، حسن محمود : نفس المرجع ، ص ٣٣٢ ، Mandour : op. cit, p. 59.

ومن أمثلة احكام هـذا القانون سـواء كانت مطابقة ام غير مطابقة للشريعة الاسلامية ، ان الملك يكون وراثيا للابن الأكبر ، الا كان هـذا الابن غير جدير بتولى مسئوليته الحكم فيولون غيره ممن تتوافر فيه هـذه الصفة . وقصـاص السـارق أن يغرم ست بقرات أو قيمتها مالا ، فاذا لم يفعل حبس حتى يفتديه أهله . وقصـاص القاتل القتل اذا كان القتل عمدا ، والا فانه يدفع الدية ومقدارها مائة بقرة اذا كان من البقارة أو مائة بعير اذا كان من الأبالة .

واما الزانى فان زنى بمحصنة فغرامته ست بقرات ، وان زنى بأيم أو ببكر فغرامته بقرة واحدة . وقصـاص الضـارب ان يغرم ثوبا من الدمور ان أصيب المضروب بجرح ، وان لم يصب بذلك فالغرامة نصف ثوب ، وهكذا جزاء الشـاتم لغيره . وقصاص شـارب الخمر أن يجلد ثمانين جلدة وتكسر أوانى الخمر فى بيته . واذا حدث حريق فى العشب الذى ترعاه المواشى فى الصحراء ، تغرم اقرب بلدة الى مكان هـذا الحريق بقرة عن كل مساحة محروقة طولها درقة ، وذلك حتى لا يفكر احـد فى احراق الزرع ، وحتى يسرع الناس الى اطفـاء أى حريق حتى لا تزيد الغرامة عليهم جميعا(٢٦٥) .

وكما قلنا فان الأمور غير المطابقة تماما للشريعة الاسلامية بمقتضى هـذا القانون قليلة جـدا ونادرة ، وفى غير ذلك كان القضـاء فى دارفور تطبق فيـه احكام الشريعة الاسـلامية تطبيقا كاملا ، مما أدى الى استتباب الأمن والى صبغ البلاد بالصبغة الاسـلامية الواضحة .

ومن المظاهر الاسـلامية الأخرى التى وضحت فى سلطنة دارفور الاسلامية ان سـلاطينها كانوا يتلقبون بالقاب اسـلامية مثل امير المؤمنين ، وخادم الشريعة ، والمهدى ، والمنصور بالله (٢٦٦) . كما كانت أسـماء

---

(٢٦٥) التونسى : نفس المصدر ، ص ٤٠١ — ٤٠٢

(٢٦٦) نعوم شـقير : نفس المرجع ، جـ٢ ص ١٣٩ ، ١٤٠

ملوك جبل مرة - حيث يقيم أعاجم الفور - واسماء حكام قراه اسماء اسلامية ، وكان بعضهم يحرص على ان تتقدم اسمه كلمة (الفقيه) ، فكان يقال لرئيس بلده نمليه فى جبل مرة على سبيل المثال الفقيه نمر ، ويقال لولده الفقيه محمد(٢٦٧) . وكان شيخ جبل مرة يجلس معظم وقته فى (خلوته)(٢٦٨) ، وهى مكان خاص بالعبادة ، كما كان شوق سلاطين دارفور الى الأراضى المقدسة عظيما وكانوا يحرصون على ارسال محمل وصرة الحرمين الشريفين كل عام الى مكة والمدينة ، فكانت ترسل قافلة المحمل الى مصر محملة بالبضائع مثل ريش النعام وسن الفيل والصمغ وغير ذلك من خيرات البلاد فتباع فى مصر ويتم بثمنها نقود الصرة ، وتحمل هذه الصرة بواسطة القافلة التى كانت تصاحب قوافل الحجاج المصريين الى الأراضى المقدسة(٢٦٩) .

وكان هؤلاء السلاطين يحرصون ايضا على ان تحمل اختامهم التى يختمون بها كتبهم ورسائلهم آية من القرآن(٢٧٠) ، كما كانوا يحرصون على الانتساب الى نسب عربى شريف كعادة الحكام فى كافة ممالك السودان زيادة فى اضفاء الصبغة العربية والاسلامية عليهم وعلى دولتهم ، وايجادا لصلة ورابطة قوية تصلهم وتربطهم ببلدان العالم الاسلامى الأخرى ، فكانوا ينتسبون لبنى العباس(٢٧١) .

اما حكمهم وكيفية تولى كرسى العرش فكان يتم على اسس وتقاليد اسلامية . فقد كانوا يتولون الحكم على اساس الشورى فى نطاق الأسرة

---

(٢٦٧) التونسى : نفس المصدر ، ص ١٥٤

(٢٦٨) المصدر السابق ، ص ١٥٦

(٢٦٩) نعوم شقير : نفس المرجع ، ج ٢ ، ص ١٣٩ ، Mandour : op. cit, p. 60.

(٢٧٠) التونسى : نفس المصدر ، ص ٤٠٥

(٢٧١) حسن محمود : نفس المرجع ، ص ٣٢٧

الحاكمة أو البيت المالك(٢٧٢) . وعادة كان مجلس السلطان يقوم بذلك ، وكان هذا المجلس يتكون من اثنى عشر وزيرا يشملون حكام الأقاليم الأربعة الملقبون بألقاب أبو ديما ، وأبو اوما ، والتكنياوى ، والأب الشيخ وكذلك شراتى غربى دار (فيا) ، وكرنى الذين يحضرون من اقاليمهم ، بالاضافة الى ملك الجبائيين (الجباه) والقاضى ، والأمناء الأربعة اى الوزراء الأربعة العظام الذين كانوا يحكمون جبل مرة ، وهم ابو سارنجا ، وابو وادنجا ، وأبو أيرانجا ، والسوميندقله (كاتم أسرار السلطان) والذين يكونون عادة موجودين فى البلاط(٢٧٣) .

وكان كل هؤلاء الأعضاء الاثنى عشر يجتمعون لاختيار خليفة السلطان ، واذا لم يكن هناك وقت كاف لذلك كأن يتوفى السلطان فجأة عند ذلك يقوم القاضى وملك الجبائين والامناء الأربعة ويتشاورون ويقرون اختيار خلف للسلطان من بين ابنائه بعد استشارة وجوه القوم من اخوة السلطان وأبناء السلاطين السابقين والعلماء والرعية الذين يحضرون عملية الاختيار حتى يأتى هذا الاختيار موافقا ومريحا للجميع(٢٧٤) .

وبعد ان يستقر الرأى على الشخص المختار يستدعى هذا الشخص سرا الى مكان به ستارة يرقد خلفها جثمان ابيه ، وهناك يسمع لأول مرة عن

---

(٢٧٢) التونسى : نفس المصدر ، ص ١٦٧

(273) Arkell : S. N. R., 11, pp. 232 - 23[illegible]

التونسى : نفس المصدر ص ٨٠ - ٨١ هامش (٣) ، ص ٩٧ - ٩٨ ، ص ١٥٠ هامش ٢ ، ٣ ص ١٥٠ - ١٥٢ ولمعرفة دلالات ومعانى مناصب والقاب الوزراء الاثنى عشر ، انظر : الصفحات المشار اليها فى هذا المصدر .

(٢٧٤) المصدر والمرجع السابقان ونفس الصفحات .

(275) Arkell : The history of Darfur, S. N. R. , II, p. 233.

موت والده ، ويعلم بأنه اختير سلطانا ، ويقسم ان يحكم بالعدل ويحترم الوزراء الموجودين وإلا يطردهم من مناصبهم أو يعزلهم منها(٢٧٥) . بعد ذلك يجلس السلطان الجديد على (الككر) أى كرسى العرش ، فيبايعه أهل الحل والعقد ليلا ، وفى الصباح يبايعه العامة ، فيقول الواحد منهم للسلطان « بايعتك على السمع والطاعة ، الأمر أمرك والنهى نهيك على الكتاب والسنة »(٢٧٦) .

وهكذا يلاحظ أن التقاليد الاسلامية متوافرة فى اختيار السلطان الجديد ، فهناك الشورى وان كانت فى نطاق محدود ، وهناك البيعة الخاصة التى تأتى من أهل الحل والعقد ، وهناك البيعة العامة التى تأتى من عامة الناس والتى كان يشترط فيها الحكم بالكتاب والسنة . يضاف الى ذلك ان النظام القديم الذى كان يقضى بتولية ابن الأخت أو ابن البنت انتهى ، وصار السلطان الجديد يختار كما رأينا من بين أبناء السلطان السابق أو اخوته(٢٧٧) ، وهو نفس النظام القبلى الذى ورد فى ركاب القبائل العربية التى هاجرت الى دارفور .

ولم يكن تأثير هذه القبائل فى نظام الحكم وحده كما رأينا ، بل ان هذا التأثير امتد الى حياة المجتمع ومظاهر نشاطه الاقتصادى والسياسى، فقد أزالت ما كان قائما من فوارق بين الراعى والرعية ، وما كان بينهما من عبودية مطلقة ، واستردت الرعية حريتها الفردية ، وصارت الأرض ملكا للجماعة القبلية متمثلة فى شخص زعيمها ، بعد أن كانت ملكا خاصا لرئيس الدولة أو موقوفة على المعابد أو الآلهة الوثنية فى نظام كان الأهلون فيه عبيدا لا يملكون الأرض ، بل يعملون عليها لمصلحة الحاكم ورئيس المعبد أو من ينوب عنهما ، فصارت الأرض توزع على الجماعة يقومون على استغلالها والانتفاع بها ودفع جعل معين لشيخ

---

(٢٧٦) نعوم شقير : نفس المرجع ، ج ٢ ص ١٤٣

(٢٧٧) الشاطر بصيلى : معالم تاريخ سودان وادى النيل ، ص ٥

القبيلة أو زعيم الدار الذى يقوم بدوره باعطـاء جزء منها لحاكم القبيلة الذى يعطى هو الآخر جزءا مما اخـذ لسلطان البلاد (٢٧٨) ، وهى تقريبـا نفس النظم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التى كانت موجودة فى كثير من دول العالم الاسـلامى وقتذاك ٠

ولم يكن تأثير الاسـلام وتقاليده فى هـذه النواحى فقط ، بل ان هـذا التأثير امتد الى نواحى أخرى ، منها الزى الذى كان يتزيا به الناس فقد التزموا باللباس الخفيف الذى يغطى العورة(٢٧٩) ، كما لبس الحكام والملوك العمائم البيضاء عدا ملك التنجور الذى كان يرتدى عمامة سـوداء حزنا على فقـد مملكته التى كان يحكمها اجداده والتى تغلب عليهـا سلطان الفور من أسرة كيرا الفوراوية (٢٨٠) ، ويخبرنا الشاطر بصيلى ان هـذا العادة أى عادة لبس حاكم التنجور للعمامة السـوداء قد اختفت على أيامه(٢٨١) ٠

وقـد اثر الاسـلام فى دارفور أيضـا فى مظاهر الاحتفال بالأعياد والاحتفالات الملكية ، وخاصة العيد السـنوى الكبير الذى كان يجلد فيه النحاس وهى الطبول الملكية ، فكانت تنزع جلود هـذه الطبول ويأمر الملك بتغطيتها بجلود جـديدة منتقاة من جلود الثيران(٢٨٢) ٠ وكان موسم تجليد الطبول الذى يستمر سـبعة ايام فى السـنة عيدا من اعياد الربيع يحتفل به وفق السـنة الشمسية ، وتقدم فيـه القرابين للملوك الراحلين فى قبورهم ، ثم تأثر هـذا العيد بالاسـلام تأثرا كبيرا حتى

---

(٢٧٨) المرجع السابق ، ص ٥١

(٢٧٩) عن الزى والملابس فى دارفور ، انظر ، التونسى : تشحيذ الأذهان ، ص ٢١٠ - ٢١٢

(٢٨٠) التونسى : نفس المصـدر ، ص ١٣٨

(٢٨١) تاريخ وحضارات السـودان الشرقى والأوسط ، ص ٣٧٦

(٢٨٢) التونسى : نفس المصـدر ، ص ١٧٣ - ١٧٤

أصبحت آيات من القرآن الكريم تتلى على القبور وعلى روح السلاطين المسلمين مع تقديم القرابين(٢٨٣) .

وبالاضافة الى الثيران التى كانت تذبح وتؤخذ جلودها لتجليد الطبول الملكية كانت تذبح ابقار واغنام كثيرة يعمل منها وليمة كانت تقدم لرجال البلاط والوزراء واصحاب المناصب المختلفة ، ويقال ان البقرة أو الشاة التى كانت تذبح فى هذه الوليمة حلت فى الاسلام محل عذراء كانت تذبح أيام الوثنية لنفس الغرض(٢٨٤) .

وقد ظهر تأثير الاسلام حتى فى الشعر الذى ظهر فى دارفور ، فقد غلبت عليه النزعة الدينية وروح الايمان ، وان كان شعرا ليس فصيحا أو متفقا مع قواعد العربية واوزان الشعر المعروفة ، الا اذا كان قد صدر عن اناس اتصلوا بلغة العرب اتصال تعلم وتثقيف . اما العرب فى دارفور فقد كان لهم شعر اشبه فى موضوعاته بشعر الأقدمين ، فهو ينزع الى الحماسة والفخر بالعشيرة ، والأنفة وإباء الضيم ، والحب والرثاء وغير ذلك من الأغراض الأخرى(٢٨٥) .

ومن المظاهر السلامية الجديرة بالذكر فى دارفور ارتفاع منزلة العلماء عند السلاطين والناس . فاذا دخل احد على السلطان حتى ولو كان اخاه فانه كان يلقى بنفسه على الأرض(٢٨٦) ثم يحبو على ركبتيه ويديه كالسلحفاة ، الى ان يكون على بعد اربعة أمتار من السلطان فيقف جاثيا على ركبتيه منكس الرأس ، ويدعو للسلطان . وقد كانت

---

(٢٨٣) دائرة المعارف الاسلامية ، ج ٩ص ٨٧
(٢٨٤) المرجع السابق ، ج ٩ ص ٨٨
(٢٨٥) عبد الله حسين : السودان من التاريخ القديم ، ج٢ ص٥٢١
(٢٨٦) التونسى : نفس المصدر ، ص ١٦٩

هـذه هى تقاليد الدخول على السلاطين والتى يلتزم بها الداخلون عليهم عـدا العلماء ، فان الداخل ،ندوم على السلطان كان يحنى رأسـه ، ويسـير حتى يكون على بعد اربعة أمتار منه فيجلس على الأرض جلسـة المصلى ، ثم يرفع كفيه فيرفع السلطان كفيه أيضا ويقرآن الفاتحة معا ، ثم يأخذ العالم فى الدعاء للسلطان وهو يصفق بكفيه ، والسلطان يؤمن على دعائه الى أن يتم الدعاء(٢٨٧) ، مما يدل على أن العلماء كانوا معفون من عادة التذلل والتمرغ على التراب التى كانت تحـدث عند مقابلة السلطان ، وذلك احتراما لهم واعترافا بمكانتهم .

ونظرا لارتفاع مكانة العلماء فى دارفور على هـذا النحو ، فقد كان مجلس السلطان لا يتم الا بحضورهم ، وكانوا يجلسون على يمينه ويجلس الأشراف والفقهاء وعظماء الناس على يسـاره ، بينما كان وزيراه المسـميان بالأمينين يقفـان بين يـديه(٢٨٨) ، ونظـر لارتفـاع مكانة العلماء عند السلطان على هـذا النحو فقد كان يقطعهم الاقطاعات الواسعة حتى يتفرغوا للعلم والتدرس(٢٨٩) .

ولم يكن هـذا التشجيع وقفا على السـلاطين وحدهم انما شـارك فيه الشعب . فقد كان سكان الحلة (القرية) التى بها مسـجد أو خلوة يستضفون الطلبـة الغـرباء فى بيوتهـم ويعاملونهم كأبنائهم أو ذوى قرباهم(٢٩٠) . كما كانوا يسارعون لمقابلة العلماء الوافدين ويستضيفونهم ويجلسون اليهم للاسـتفادة من علمهم . وكان السلطان اذا ما سـمع بقـدوم أحدهم كان يطلب لقاءه ويغدق عليه ويطلب منه تاليف بعض الكتب فى مجال العلوم الاسـلامية والعربية ، أو يكتب شرحا لبعض الكتب المتداولة

(٢٨٧) نعوم شـقير : نفس المرجـع ، جـ٢ ص ١٤٣

(٢٨٨) التونسى : نفس المصـدر ، ص ١٩٧ ـ ١٩٨

(٢٨٩) حسن محمود : نفس المرجـع ، ص ٣٤٠

(٢٩٠) المرجع السابق ، ص ٣٤١

والمطلوبة الدارسين لهذه العلوم(٣٩١) ، مما يدل على مدى اعتناء السلاطين بتشجيع العلم والعلماء وحرصهم على دفع التاليف فى العلوم المختلفة ويدل على مكانة العلماء عند هؤلاء السلاطين .

ومما يدل أيضا على هذه المكانة ، أن الفقهاء والعلماء كان لهم دورهم كما لاحظنا فى تنصيب السلاطين ، اذا كانوا ضمن جملة أهل الحل والعقد ، واذا ما تأزمت الأمور كانوا هم الذين يسعون بين الفرقاء حتى تتقارب وجهات النظر ويتم اختيار السلطان الجديد(٣٩٢) ، مما أدى الى سمو منزلتهم والى ارتفاع مكانتهم حتى انهم كانوا لا يخشون بأس أصحاب المناصب العليا فى الدولة(٣٩٣) .

وهكذا كانت مظاهر انتشار الاسلام فى دارفور عامة وغامرة وواضحة فى النواحى العديدة التى اشرنا اليها ، وكذلك فى مجال آخر وهو الاتصال بالبلدان الاسلامية لتوطيد العلاقات معها وخاصة فى النواحى التجارية والثقافية والدينية . فقد اتصلت دارفور بمصر اتصالا وثيقا فى الناحيتين التجارية والثقافية ، وكثر رحيل طلاب دارفور الى مصر لطلب العلم حيث انشىء لهم رواق بالأزهر خاص بهم يسمى رواق دارفور ، فيتعلمون ويعودون شيوخا الى دارفور فينشرون العلم بين أهليهم ومواطنيهم ، ولا يستبعد أن يكون بعض علماء مصر قد شدوا الرحال الى دارفور لمتابعة رسالتهم العلمية(٣٩٤) .

كما اتصلت دارفور ببلاد الحجاز اتصالا أملته العلاقات الاقتصادية بين البلدين ، كما أملاه اختلاف أهل دارفور الى البلاد المقدسة طلبا

---

(٣٩١) التونسى : نفس المصدر ، ص ١١٦ ، ١١٧

(٣٩٢) المصدر السابق ، ص ٩٧ - ٩٨

(٣٩٣) المصدر السابق ، ص ٢٥٣ - ٢٥٤

(٣٩٤) حسن محمود : نفس المرجع ، ص ٣٢٨ ،
Mandourr : op. cit, p. 60.

للحج والزيارة ، كما وفد بعض الأشراف والعلماء من الحجاز الى دارفور حيث أقاموا فيها ونهلوا من تشجيع سلاطينها وكبار رجالها(٢٩٥) ، منهم الشريف مساعد من اشراف اهل مكة(٢٩٦) ، وغيره من اشراف البكرية والحسنية الذين سكنوا دارفور واتخذوها موطنا لهم كما سبق القول حين حديثنا عن الهجرات الى دارفور(٢٩٧) .

واذا كانت دارفور قد اتصلت بمصر وبلاد الحجاز فانها اتصلت أيضا بتونس وبلاد المغرب ، وذهب بعض أبنائها الى هذه البلاد للدراسة ، كما اتجهوا أيضا لنفس الغرض الى بلاد الكانم وما يليها غربا من مراكز علمية مثل كانو وتنبكت(٢٩٨) ، وتأثرت دارفور بهذه البلاد التى ينتشر فيها الفقه المالكى ، فتحول أهلها الى اعتناق هذا المذهب(٢٩٩) .

كذلك اتصل أهل دارفور بالحركة العلمية المزدهرة فى سنار عاصمة مملكة الفونج الاسلامية ، ورحل كثيرون من علماء الفونج الى دارفور حيث اقاموا فيها واشتغلوا هناك بالنواحى العلمية ، كما رحل طلبة دارفور الى سنار لاستكمال الدراسة وتلقى العلم(٣٠٠) .

وهكذا نجحت الحركة الاسلامية فى دارفور كل النجاح ، وانفعل هذا الاقليم بالعروبة والاسلام كل الانفعال وشارك فى الحياة الاسلامية بمقدار ما أتاحت له ظروف الموقع والبيئة والمكان ، وساهم فى نشر الاسلام ليس فى داخله وبين اهله فحسب ، بل وفى بعض البلدان

---

(٢٩٥) حسن محمود : نفس المرجع ص ٣٣٨

(٢٩٦) التونسى : نفس المصدر ، ص ١١٧

(٢٩٧) انظر ، ص ١٢٢

(٢٩٨) حسن محمود : نفس المرجع ، ص ٣٣٨

(٢٩٩) القلقشندى صبح الأعشى جـ٥ ص ٢٨١ ، حسن محمود ، نفس المرجع ص ٣٣٨ - ٣٣٩

(٣٠٠) حسن محمود : نفس المرجع ، ص ٣٣٩

والأقاليم المجاورة(٣٠١) ، نتيجة لتنقل القبائل العربية بين دارفور وبين هذه البلدان مثل واداى وباجرمى وذلك اثناء رحلتها وراء العشب والكلأ وصيد الغزلان والحيوانات الأخرى التى كانت تعيش فى الصحراء الواقعة بين دارفور وهذه البلاد وغيرها من البلدان الأخرى التى تحيط بها ، ونتيجة ايضا للنشاط التجارى والقوافل التجارية التى كانت تعبر دارفور او تقوم منها الى هذه البلاد ذاهبة آيبة(٣٠٣) .

نستخلص من هذا كله ان دارفور لم تكن بالاقليم المنعزل وراء الصحراء الكبرى ، او البعيد بعدا يعزلها عن وادى النيل ، بل انها بفضل الطرق التجارية التى اشرنا اليها كانت اقليما مرتبطا بالبلدان المجاورة حتى منذ ما قبل ظهور الاسلام .

وقد نتج عن هذا الاتصال وبواسطة هذه الطرق ومن خلالها ان رحل اليها كثير وكثير من القبائل العربية سواء من مصر ام من بلاد الشمال الافريقى أم من غيرها من البلدان القريبة والبعيدة ، وذلك خلال أزمنة متفاوتة وعصور متعاقبة ، واشتد ساعد هذه الهجرة وبلغت الذروة فى القرون الثلاثة الأخيرة من العصور الوسطى لأسباب عديدة خاصة بالعرب فى بلدانهم التى كانوا يقيمون فيها قبل رحيلهم منها الى دارفور ، ولغير ذلك من اسباب سبق بيانها .

ونتج عن هذه الهجرة أن انفتح هذا الاقليم على العروبة والاسلام كل الانفتاح ، وتهيأ لذلك كل التهيؤ ، فانتشر فيه الاسلام وتدفقت فى عروق أبنائه الدماء العربية ، وبفعل المصاهرة والاختلاط تحول اهله

---

(٣٠١) عبده بدوى : نفس المرجع ، ص ١٣٠

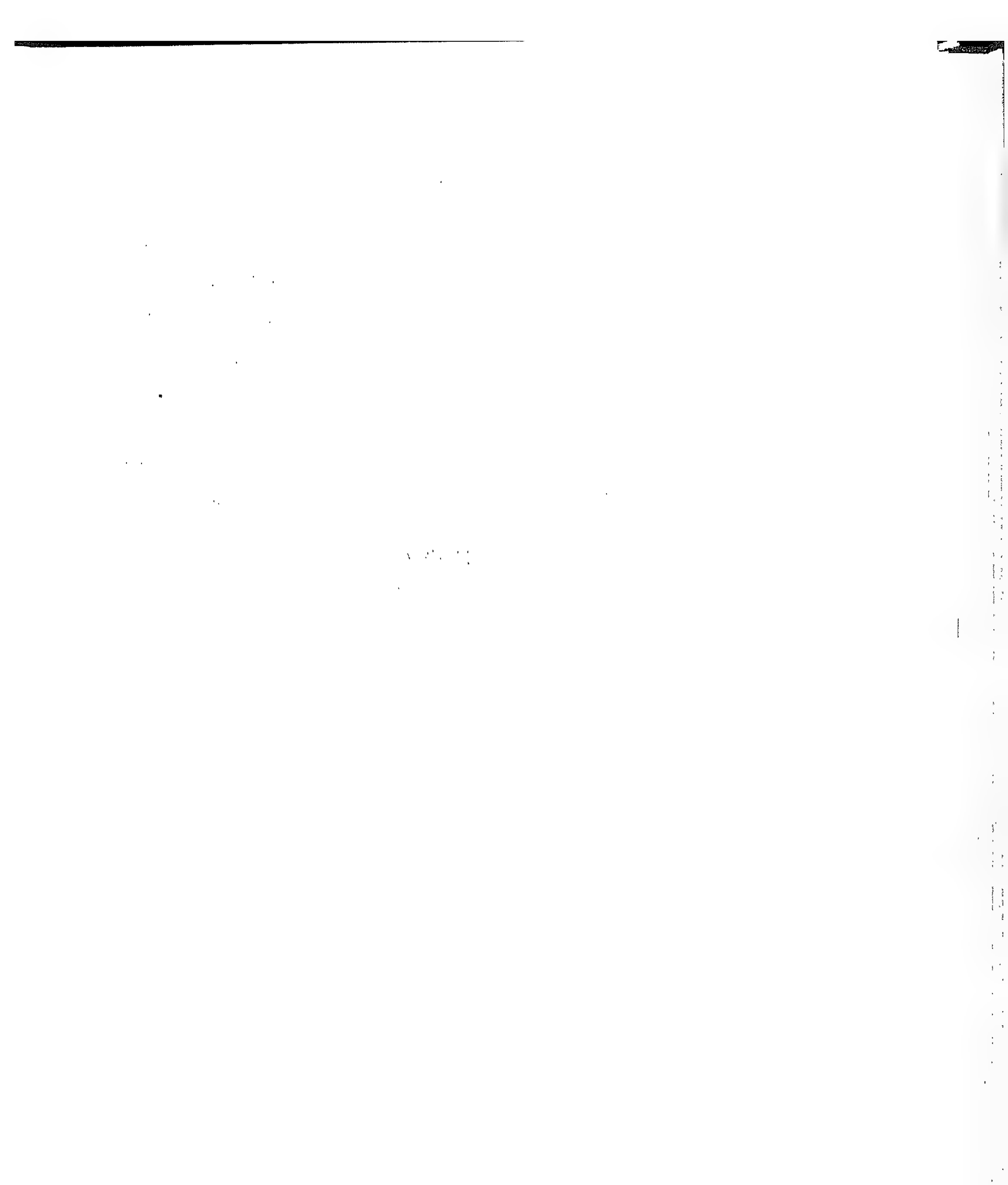
(٣٠٢) التونسى : نفس المصدر ، ص ٢٩٣ - ٢٩٤ ، دائرة المعارف الاسلامية ، جـ٦ ص ٢٢٤ ، ٢٢٧

(٣٠٣) نعوم شقير : نفس المرجع ، جـ٢ ص ١٤٦

الأصليون مع المهاجرين الى شعب واحد يحمل صفة العروبة ويدين بالاسلام ويشترك فى الحياة الاسلامية وينفعل بها كل الانفعال ، لا يقل فى ذلك شأنا عن غيره من البلدان ، ويصل هذا الانفعال الى الذروة مع قيام سلطنة اسلامية فيه قبيل منتصف القرن الخامس عشر للميلاد بقليل ٠

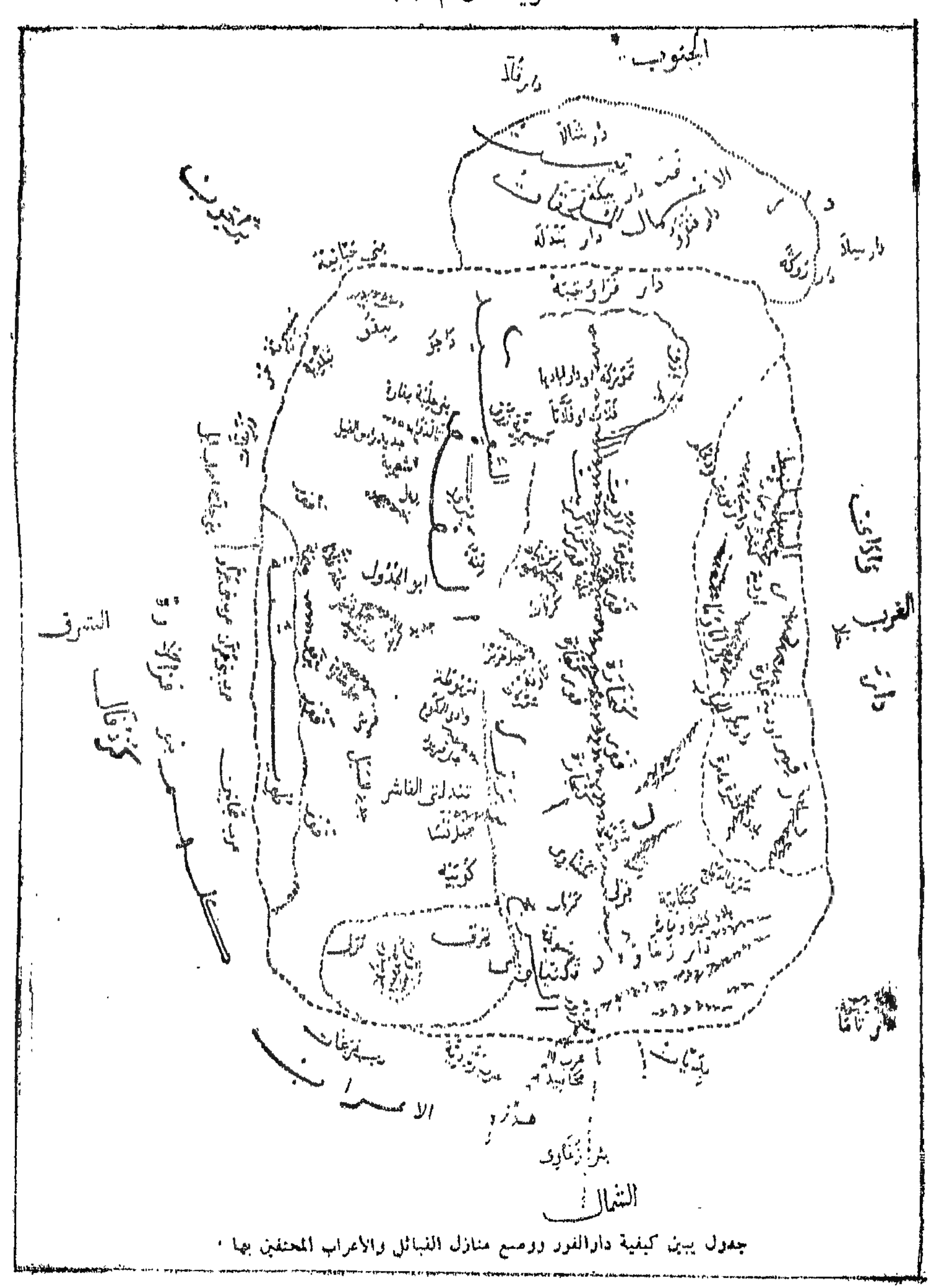
وعلى ذلك يمكن القول أن هذا الاقليم وضحت شخصيته العربية والاسلامية ليس فى منتصف القرن السابع عشر للميلاد كما قال بذلك كثير من الباحثين ومن لف لفيفهم ، وانما تحقق هذا الأمر ذلك بقرون ٠





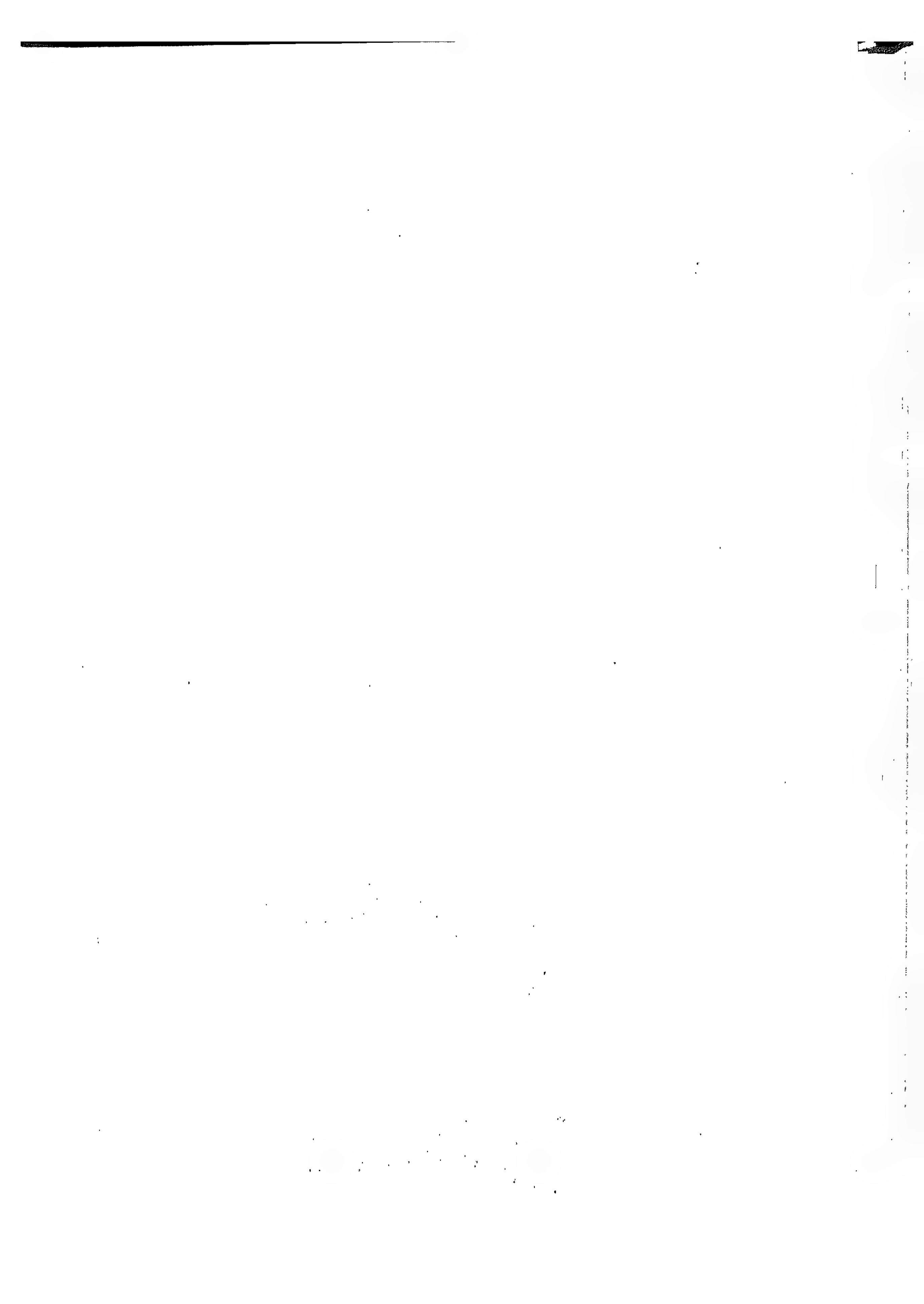
الخرائـط

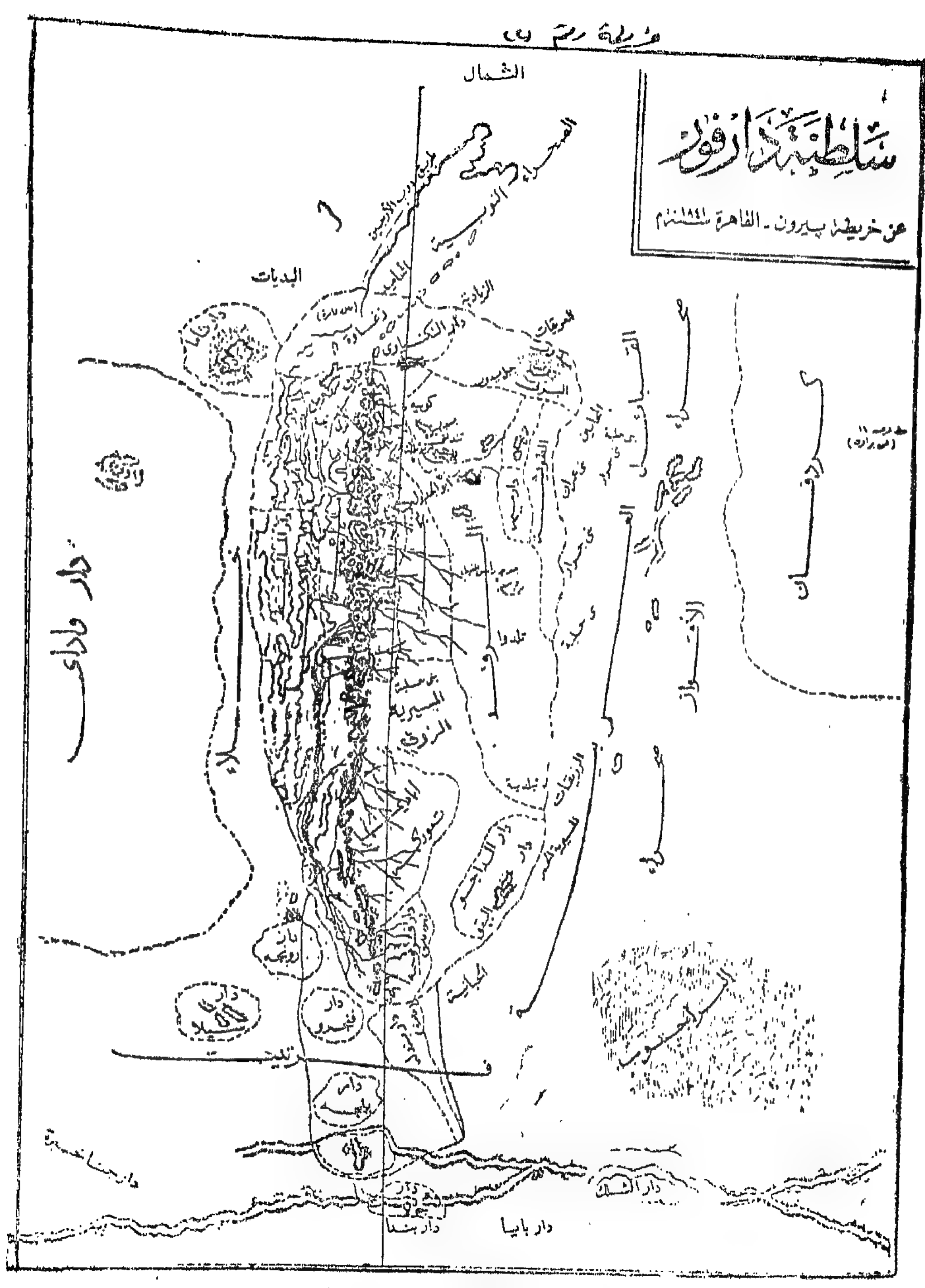
خريطة رقم (١)



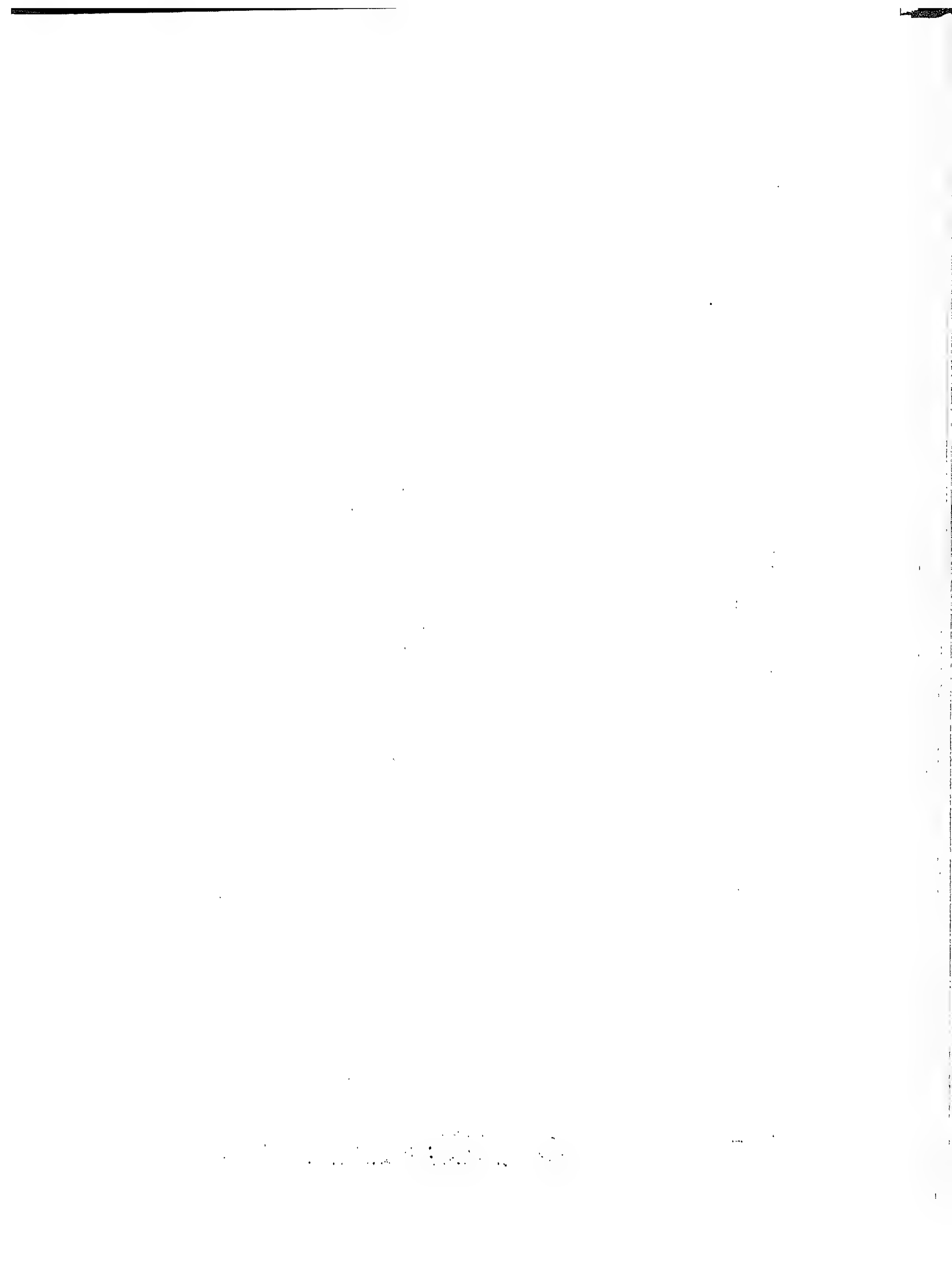
جدول يبين كيفية دارالفور ووضع منازل القبائل والأعراب المحتفين بها .

المصدر : التونسي - تشحيذ الأذهان ص ١٤٧

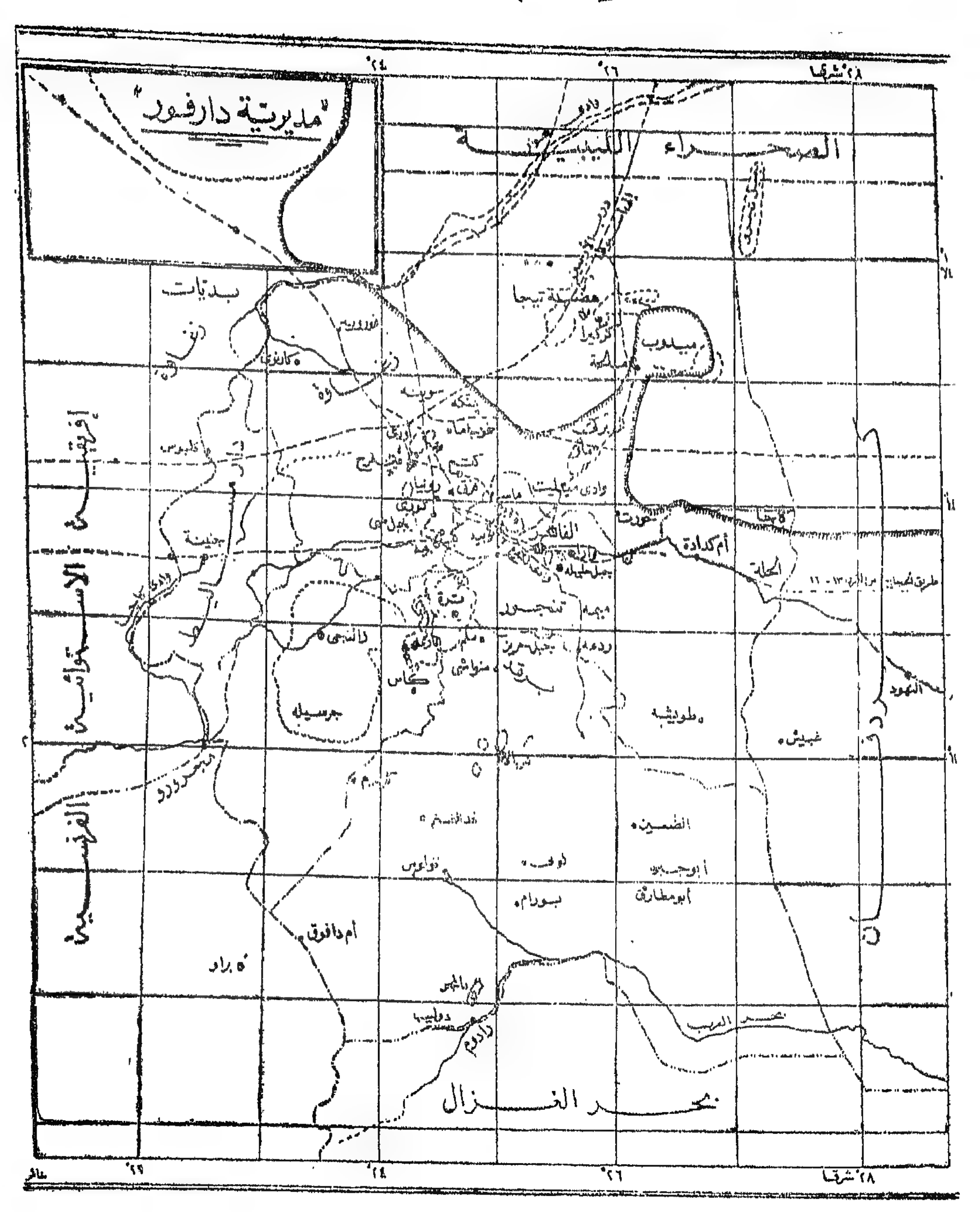




المصدر : التونسي ـ تشحيذ الأذهان ص ٤٧٩

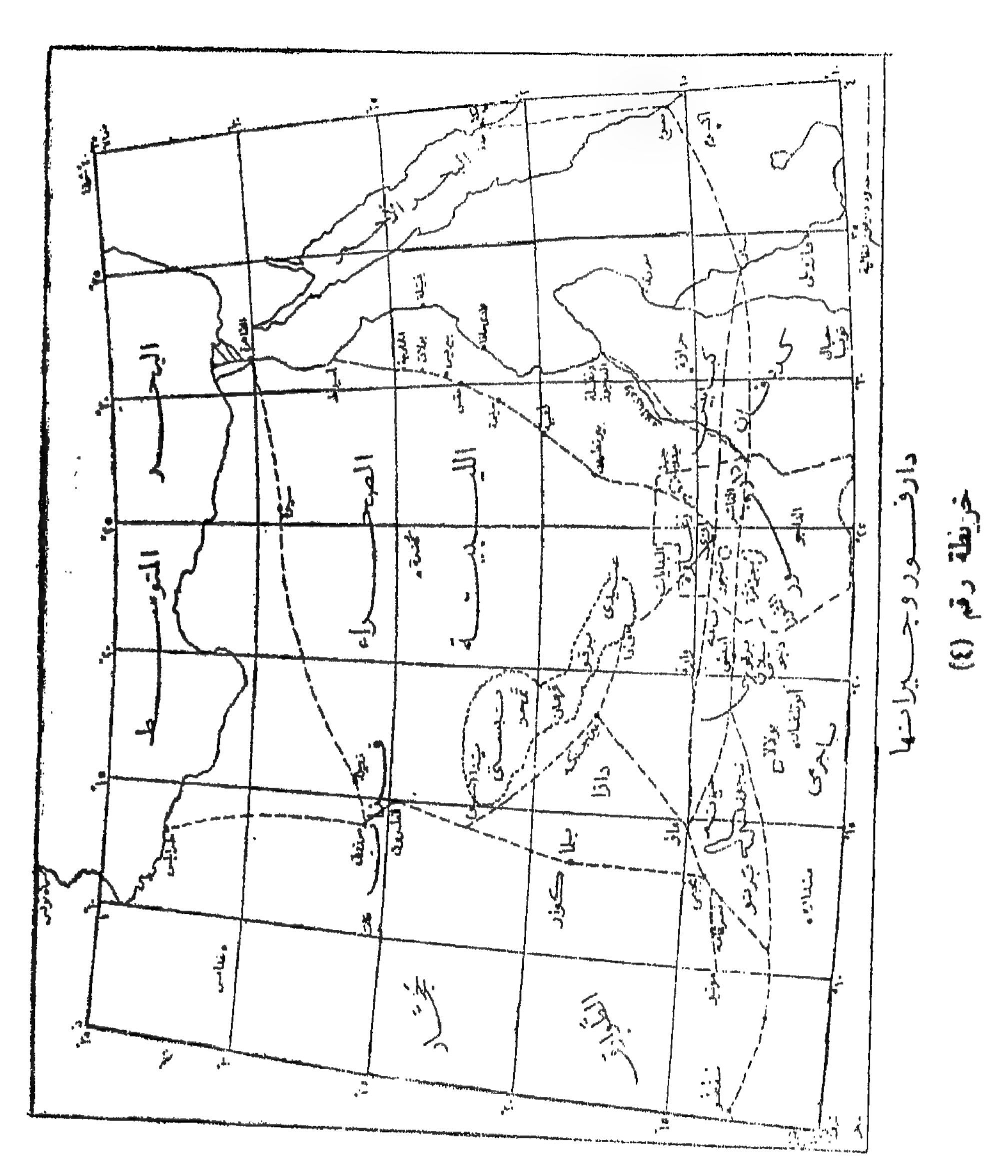


خريطة رقم (٣)



المصدر : التونسي ـ تشحيذ الأذهان ص ٤٨١

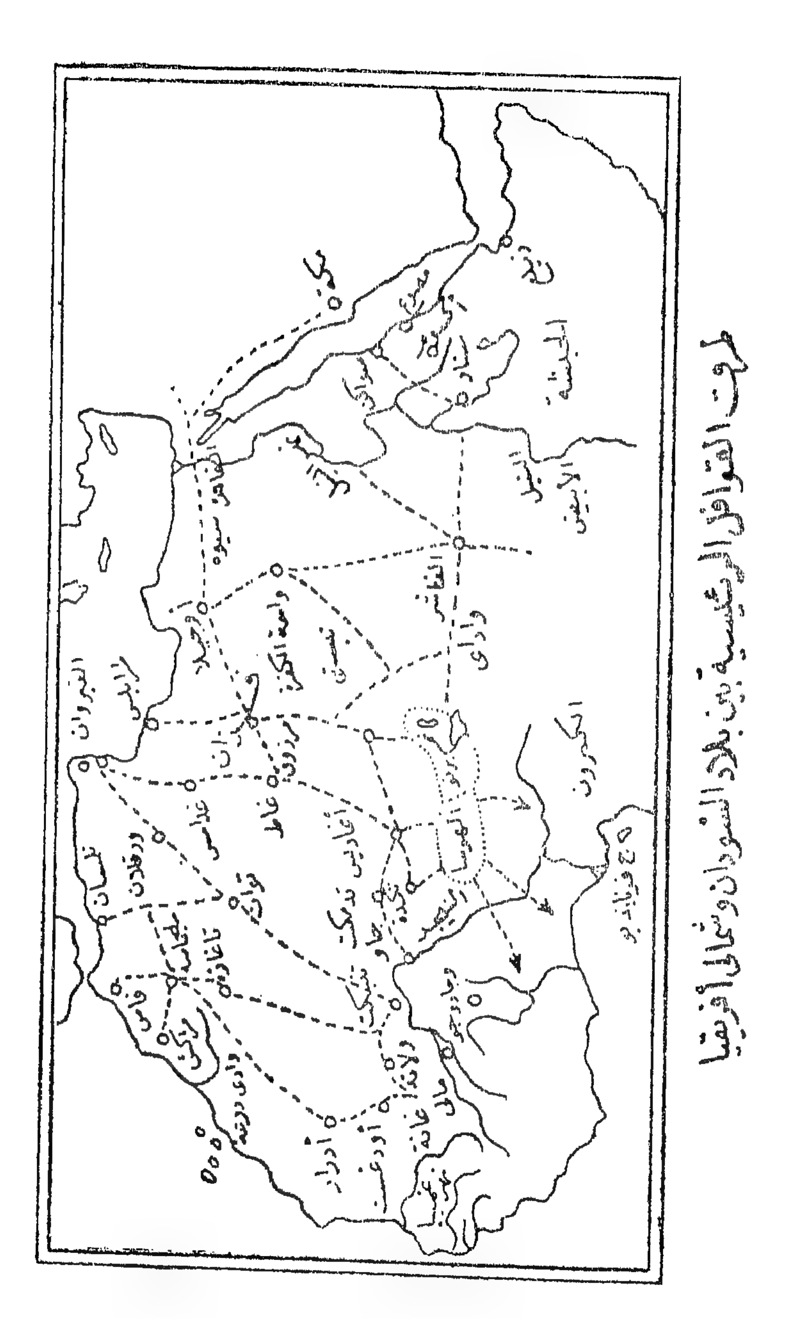




خريطة رقم (٤)

دارفور وجيرانها

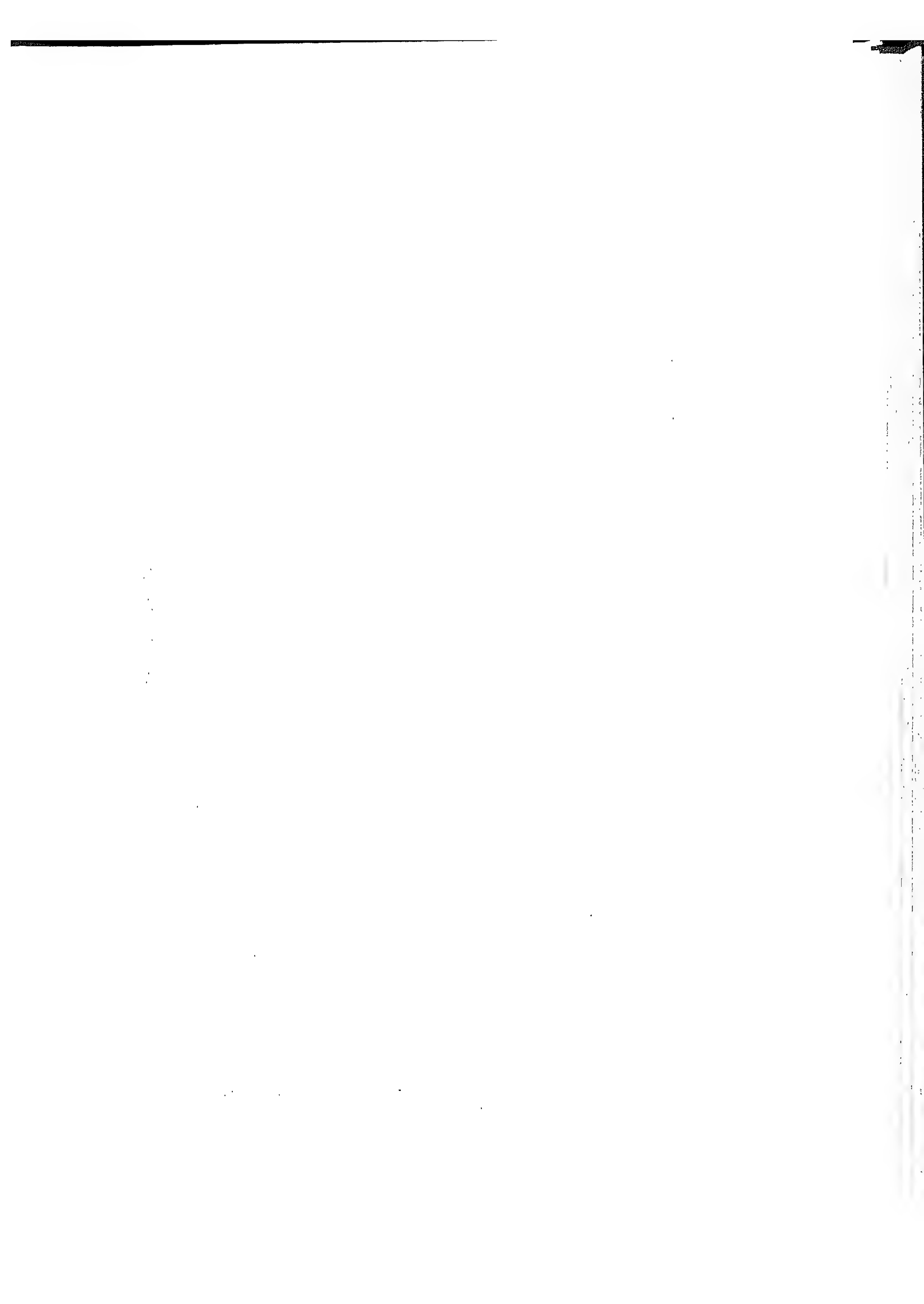
المصدر : التونسي ـ تشحيذ الأذهان ص ٤٨٣



طرق القوافل التجارية بين بلاد السودان وشمال أفريقيا

خريطة رقم (٥)

المصدر : د. ابراهيم طرخان ــ دولة مالى الاسلامية ص ١٤٦



المصـــادر والمراجـــع

أ ـ المصـــادر العربية القـــديمة

الادريسى (ت ٥٥٧هـ / ١١٦٢م) : ابو عبد الله محمد بن عبد الله ابن ادريس الحمودى الحسنى المعروف بالشريف الادريسى ٠
١ ـ نزهة المشـتاق فى اختراق الآفاق ، جزءان ، عالم دار الكتب ، بيروت ، الطبعة الأولى سـنة ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م ٠

الاصطخرى (توفى قبل عام ٣٥٠هـ / ٩٦١م) : أبو اسحاق ابراهيم ابن محمد المعروف بالكرخى ٠
٢ ـ مسـالك الممالك ، تحقيق محمد جابر ، مصر ، ١٣٨١هـ / ١٩٦١م ٠

ابن اياس (٨٥٢ ـ ٩٣٠ هـ / ١٤٤٨ ـ ١٥٢٣ م) : ابو البركات محمد بن احمد الحنفى ٠
٣ ـ بدائع الزهـور فى وقائع الدهور ، الجزء الأول القسم الأول والثانى ، القاهرة ، الطبعة الثانية سنة ١٣٨٣هـ / ١٩٦٣م ٠

ابن بطوطة (ت ٧٧٩هـ / ١٣٧٧م) : ابو عبد الله محمد بن عبد الله اللواتى الطنجى ٠
٤ ـ رحلة ابن بطوطة ، جزءان فى مجلد ، تحقيق محمد عبد المنعم العريان ، دار احيـاء العلوم ، بيروت الطبعة الأولى ، سـنة ١٤٠٧هـ / ١٩٧٨م ٠

ابن تغرى بردى (٨١٣ ـ ٨٧٤ هـ / ١٤١٠ ـ ١٤٦٩ م) : جمال الدين ابو المحاسن يوسف ٠
٥ ـ النجوم الزاهرة فى اخبـار مصر والقاهرة ، ج ١٦ تحقيق د ٠ جمال الدين الشـيال ، والأسـتاذ فهيم محمد شـلتوت ، الهيئة المصرية العـامة للكتاب ، القاهرة ، سنة ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م ٠

التونسى (ت ١٢٧٤هـ / ١٨٥٧م) : محمد بن عمر
٦ — تشحيذ الأذهان بسيرة بلاد العرب والسودان ٠ تحقيق د ٠ خليل محمود عساكر ، د ٠ مصطفى محمد مسعد ، مراجعة د ٠ محمد مصطفى زيادة ، الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، سنة ١٣٨٥هـ / ١٩٦٥م ٠

ابن حزم (ت ٤٥٦هـ / ١٠٦٤م) : ابو محمد على بن احمد
٧ — جمهرة أنساب العرب ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، سنة ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م ٠

الحسن الوزان (عاش فى القرن ١٦م) : الحسن بن محمد الوزان الفاسى المعروف باسم ليو الافريقى ٠
٨ — وصف افريقيا ، جزءان فى مجلد ، ترجمة محمد حجى ، محمد الأخضر ، دار الغرب الاسلامى ، بيروت ، الطبعة الثانية ، سنه ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م ٠

الحميرى (قرن ٩هـ / ١٥م) : محمد بن عبد المنعم الصنهاجى ٠
٩ — الروض المعطار فى خبر الأقطار ، جمعه عام ٨٦٦هـ /١٩٦٣م ؛ تحقيق د ٠ احسان عباس ، مؤسسة ناصر للثقافة ، مصر ، الطبعة الثالثة ، سنة ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م ٠

ابن حوقل (ت ٣٦٧هـ / ٩٧٧م) : ابو القاسم محمد بن على النصيبى ٠
١٠ — كتاب صورة الأرض (المسالك والممالك) ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، سنة ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م ٠

ابن خرداذبة (ت حوالى عام ٣٠٠هـ / ٩١٢م) : ابو القاسم عبيد الله بن عبد الله ٠
١١ — المسالك والممالك ، مكتبة المثنى ، بغداد ، سنة ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م ٠

ابن خلدون (ت ٨٠٨هـ / ١٤٠٥م) : عبد الرحمن بن محمد

١٢ - تاريخ ابن خلدون (العبر وديوان المبتدأ والخبر) ، ج ٥ ، مؤسسة جمال للطباعة والنشر ، بيروت ، بدون تاريخ .

ابن سعيد المغربى (٦١٠ - ٦٧٣هـ / ١٢١٤ - ١٢٧٥م) أبو الحسن على بن موسى .

١٣ - بسط الأرض فى الطول والعرض ، تحقيق خوان قرنيط خينيس ، تطوان ، معهد مولاى الحسن ، سنة ١٣٧٨هـ / ١٩٥٨م .

ابن عبد الحكم (ت ٢٥٧هـ / ٨٧١م) : أبو القاسم عبد الرحمن ابن عبد الله بن عبد الحكم بن اعين القرشى المصرى .

١٤ - فتوح مصر وأخبارها ، ليدن ، سنة ١٣٣٩هـ / ١٩٢٠م .

القلقشندى (ت ٨٢١هـ / ١٤١٨م) : أبو العباس احمد بن على .

١٥ - صبح الأعشى فى صناعة الانشا ، ١٤ مجلد ، طبعة وزارة الثقافة والارشاد القومى ، مصر ، سلسلة تراثنا ، بدون تاريخ .

١٦ - قلائد الجمان فى التعريف بعرب الزمان ، تحقيق ابراهيم الابيارى ، دار الكتاب اللبنانى ، بيروت ، الطبعة الثانية ، سنة ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م .

كاتب الشونة : احمد بن الحاج أبو على .

١٧ - مخطوطة كاتب الشونة .

الكندى (ت ٣٥٠هـ /٩٦١م) : ابو عمر محمد بن يوسف الكندى المصرى .

١٨ - تاريخ ولاة مصر وقضاتها ، مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، سنة ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م .

محمد بلو بن عثمان بن فودى : (عاش فى القرن ١٩م) .

١٩ - انفاق الميسور فى تاريخ بلاد التكرور ، القاهرة سنة ١٣٨٤هـ / ١٩٦٤م .

المسعودى (ت ٣٤٦هـ / ٩٥٧م) : ابو الحسن على بن الحسين ابن على .

٢٠ - مروج الذهب ومعادن الجوهر ، جـ١ ، ٣ ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، دار المعرفة ، بيروت سنة ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م .

المقريزى (ت ٨٤٥هـ / ١٤٤١م) : تقى الدين ابو العباس احمد ابن على .

٢١ - الخطط المقريزية ، جـ١ ، ٣ ، مطبعة النيل ، مصر ، سنة ١٣٢٥هـ / ١٩٠٧م .

٢٢ - السلوك لمعرفة دول الملوك ،جـ١ القسم الثانى والثالث ، تحقيق د . محمد مصطفى زيادة ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة الطبعة الثانية ، سنة ١٣٧٧هـ / ١٩٥٧م .

٢٣ - البيان والاعراب عما بأرض مصر من الأعراب ، تحقيق د . عبد المجيد عابدين ، عالم الكتب ، القاهرة ، الطبعة الثانية سنة ١٣٨١هـ / ١٩٦١م

النويرى (ت ٧٧٣هـ / ١٣٧١م) : شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب .

٢٤ - نهاية الأرب فى فنون الأدب ، جـ٢٧ ، ٣٠ ، مخطوط بدار الكتب المصرية ، معارف عامة رقم ٥٤٩

ياقوت (ت ٦٢٦هـ / ١٢٣٠م) : الامام شهاب الدين ابو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموى الرومى البغدادى .

٢٥ - معجم البلدان ، ٦ مجلدات ، دار صادر للطباعة والنشر ، بيروت ، سنة ١٣٧٦هـ / ١٩٥٧م

اليعقوبى (ت ٢٧٢هـ / ٨٩٥م) : احمد بن أبى يعقوب بن جعفر ابن وهب بن واضح الكاتب العباسى المعروف باليعقوبى .

٢٦ - تاريخ اليعقوبى ، ٣ أجزاء ، مطبعة العزى ، النجف ، العراق ، سنة ١٣٥٨هـ / ١٩٣٩م .

ب ـ المراجع العربية الحديثة

ابراهيم على طرخان : (دكتور) ٠

٢٧ ـ دولة مالى الاسلامية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة، سنة ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م ٠

احمد شلبى : (دكتور) ٠

٢٨ ـ موسوعة التاريخ الاسلامى والحضارة الاسلامية ، جـ٦ ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة الطبعة الثانية ، سنة ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م ٠

أحمد فخرى : (دكتور) ٠

٢٩ ـ مصر وافريقيا فى العهد الفرعونى ، مجلة نهضة افريقيا ، السنة الأولى العدد الرابع ، فبراير ، سنة ١٩٥٨م ٠

بتشر : أ ٠ د ٠

٣٠ ـ تاريخ الأمة القبطية ، حـ٣ ، القاهرة ، سنة ١٣٢٤هـ / ١٩٠٦م

بوركهارت :

٣١ ـ رحلات بوركهارت فى بلاد النوبة والسودان ، تعريب فؤاد أندراوس ، نشر الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، القاهرة ، سنة ١٣٧٩هـ / ١٩٥٩م ٠

توماس ارنولد :

٣٢ ـ الدعوة الى الاسلام ، ترجمة د ٠ حسن ابراهيم حسن ، د ٠ عبد المجيد عابدين ، اسماعيل النحراوى ، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ، الطبعة الثالثة ، سنة ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م ٠

حسن احمد محمود : (دكتور) ٠

٣٣ ـ الاسلام والثقافة العربية فى افريقية ، دار الفكر العربى ، القاهرة ، سنة ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م ٠

٣٤ ـ دائرة المعارف الاسلامية ، تعريب ، ابراهيم زكى خورشيد وآخرون ، طبعة دار الشعب ، مصر ، بدون تاريخ ٠

زاهر رياض : (دكتور)

٣٥ ـ مصر وافريقيا ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، سنة ١٣٩٦ هـ / ١٩٧٦ م ٠

٣٦ ـ الاسلام فى اثيوبيا ، دار المعرفة ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، سنة ١٣٨٤ هـ / ١٩٦٤ م ٠

سر الختم عثمان على :

٣٧ ـ العلاقات بين مصر والسودان فى العصور الوسطى بين القرنين الثانى عشر والرابع عشر ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة القاهرة ، سنة ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩ م ٠

سيدة اسماعيل الكاشف : (دكتور)

٣٨ ـ مصر فى عصر الأخشيديين ، القاهرة ، سنة ١٣٧٠ هـ/ ١٩٥٠ م٠

الشاطر بصيلى عبد الجليل : (دكتور)

٣٩ ـ معالم تاريخ سودان وادى النيل ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، سنة ١٣٧٥ هـ / ١٩٥٥ م ٠

٤٠ ـ تاريخ وحضارات السودان الشرقى والأوسط ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، سنة ١٣٩٣ هـ / ١٩٧٣ م ٠

عبد الله حسين :

٤١ ـ السودان القديم والجديد ، القاهرة ، سنة ١٣٦٥ هـ / ١٩٤٥ م٠

٤٢ ـ السودان من التاريخ القديم الى رحلة البعثة المصرية ، جزءان ، القاهرة ، سنة ١٩٥٤ هـ / ١٩٣٥ م ٠

عبد المجيد عابدين : (دكتور)

٤٣ - تاريخ الثقافة العربية فى السودان منذ نشأتها الى العصر الحديث ، مكتبة الخانجى ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، سنة ١٣٧٣ هـ / ١٩٥٣ م .

٤٤ - دراسات فى تاريخ العروبة فى وادى النيل ، بحث ضمن كتاب البيان والاعراب عما بأرض مصر من الأعراب ، عالم الكتب ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، سنة ١٣٨١هـ / ١٩٦١م .

عبده بدوى : (دكتور)

٤٥ - مع حركة الاسلام فى افريقية ، القاهرة ، سنة ١٣٩٠ هـ / ١٩٧٠ م .

عطية القوصى : (دكتور)

٤٦ - محاولة العرب والمسلمين كشف منابع النيل فى القرون الأولى للاسلام ، بحث فى كتاب العرب وافريقيا ، دار الثقافة العربية ، القاهرة ، سنة ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م .

عمر رضا كحالة :

٤٧ - معجم قبائل العرب القديمة والحديثة ، خمسة مجلدات ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، سنة ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م .

كولين ماكيفيدى :

٤٨ - اطلس التاريخ الافريقى ، ترجمة مختار السويفى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، سنة ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م .

محمد عبد الرحيم :

٤٩ - محاضرة عن العروبة فى السودان ، القيت بمعهد البحوث والدراسات الافريقية بالقاهرة .

محمد عوض محمد : (دكتور)

٥٠ ـ السودان الشمالى ، سكانه وقبائله ، لجنة التأليف والترجمة والترجمة والنشر ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، سنة ١٣٧١هـ / ١٩٥١م ٠

٥١ ـ الشعوب والسلالات الافريقية ، الدار المصرية للتاليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، سنة ١٣٨٥هـ / ١٩٦٥م ٠

مدثر عبد الرحيم : (دكتور)

٥٢ ـ الامبريالية والقومية فى السودان (١٨٩٩ ـ ١٨٥٦ م) ، دار النهار للنشر ، بيروت . ١٣٩١هـ /١٩٧١م ٠

مصطفى محمد مسعد : (دكتور)

٥٣ ـ الاسلام والنوبة فى العصور الوسطى ، الأنجلو المصرية ، سنة ١٣٨٠ هـ / ١٩٦٠ م ٠

٥٤ ـ سلطنة دارفور ، تاريخها وبعض مظاهر حضارتها ، بحث فى مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، العدد ١١ ، سنة ١٩٦٣ م ٠

٥٥ ـ امتداد الاسلام والعروبة الى وادى النيل الأوسط ، بحث فى المجلة المصرية للدراسات التاريخية ، العدد ٨ سنة ١٩٥٩ م ٠

مكى شبيكة : (دكتور)

٥٦ ـ مملكة الفونج الاسلامية ، معهد الدراسات العربية ، القاهرة ، ١٣٨٤ هـ / ١٩٦٤ م ٠

٥٧ ـ السودان عبر القرون ، دار الثقافة ، بيروت ، سنة ١٣٨٤ هـ / ١٩٦٤ م ٠

مونسينجر بك : (مدير عموم مديريات السودان الشرقية)

٥٨ ـ رسالة جغرافية تتعلق بالكلام على ما تيسرت معرفته الآن من بلاد السودان ٠ تعريب يعقوب صبرى ، مطبعة المدارس الملكية ، القاهرة ، سنة ١٢٩١ هـ / ١٨٧٤ م ٠

٥٩ ـ الموسوعة العربية الميسرة ، دار نهضة لبنان للطباعة والنشر ، بيروت ، سنة ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م .

نعوم شقير :

٦٠ ـ تاريخ السودان القديم والحديث وجغرافيته ا جزءان ، القاهرة ، سنة ١٣٢١ هـ / ١٩٠٣ م .

نعيم قداح : (الدكتور)

٦١ ـ افريقيا الغربية فى ظل الاسلام ، مراجعة عمر الحكيم ، مكتبة اطلس ، دمشق ، بدون تاريخ .

(جـ) ـ المراجع الأجنبيـة

Arkell, A. J :

62 — A history of the Sudan to A. D. 1821, London, 1953.

63 — The history of Darfur 1200 - 1700 A. D. (gournal of the Sudan Notes and Records E . S. N. R) XXX II, part II, 19[illegible] & XXX III, part IV, 1942 .

Baddour, Abd El Fattah Ibrahim :

64 — Sudanese — Egyptian Relations, Martinus 1960.

Davies , R. :

65 — Economics and Trade . (in the Anglo Egyptian Sudan from within by Hamilton, J. A) London 1933.

Evans Princhard, E :

66 — Ethnological Survey of the Sudan . (in the Anglo Egyptian Sudan from within) . London 1935.

Hamilton, J.A :

67 — The Anglo Egyptian Sudan from within. AESW, London 1935.

Jacques Maquet :

98 — Civilization of Black Africa, New York, 1972.

Lamben, G. D :

69 — The Baggara Tribes (in the Anglo Egyptian Sudan from Within), , London, 1935 .

Lucy Mair :

70 — African Kingdoms, Oxford, 1979.

Mae Michael, H :

71 — A history of the Arabs in the Sudan, 2 Vol., Combridge 1922.

72 — The Coming of the Arabs to The Sudan .) in the Anglo Egyptian Sudan from within) London 1935.

Mandour El Mahdi :

73 — A short history of the Sudan, London 1965.

Parves , W. D. C. L :

74 — Som Aspects of the Northern Province. (in the Anglo Egyptian Sudan From wihtin) London 1935 .

Ried , J. A :

75 — The Nomad Arab Camel Brading Tribes of the Sudan (in the Anglo Egyptian Sudan from within), London, 1934.

Robert, W. July :

76 — A history of the African People, London, 1970.

Trimingham : J. Sa. :

77 — The influence of Islam upon Africa, London, 1968.

محتويات الكتاب

الصفحة

الفصـــل الثالث

القبائل العربية المهاجرة الى دارفور

(١١٣ — ١٩٠)

الفصـــل الرابـــع

نتائج هجرة العرب الى دارفور

(١٩١ — ٢٧٠)

الصفحة

الملاحـــق :

رقم الايداع بدار الكتب ٣٥٧٦ / ٩١

